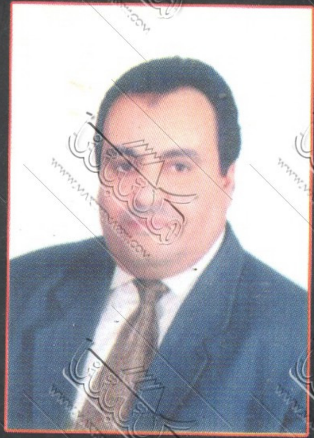
289



الكاتب / محيى الدين مرعى

Ahmed Mady

المشهد الأخير في حياة الطغاه



الجزء الأول



الناشر

إن المشهد الأخير فى حياه الطغاه مشهد مثير للغاية ، نعيش فيه اللحظات الأخيرة فى حياتهم ...... إنها لحظات مثيرة تشفى الغليل فى الصدور وتطفىء النار فى قلوب المظلومين.

فالطاغى يتجاوز كل حد .... لا يعترف بسلطة القوانين ولا رغبات وأحلام شعبه ،فهو ذئب مفترس يلتهم لحوم البشر ويعشق رائحة الدم ويغتصب السلطات دون الإهتمام برضا الشعب فلا يهتم إلا بمنافعه الخاصة وهدفه من الحكم .... المتعة وجمع المال والجاه

والطغاه متشابهون فى المضمون مختلفون فى الشكل والمظهر وموقف الطاغيه كالذى يقطع الشجرة لكى يقطف الثمرة.

وفى المشهد الأخير سنرى لحظات مأساوية فى حياه الطغاه

Wed.
7/11/2012
Riyadh



من الأدب الساخر

كتابنا القادم

أنا لا أكتب ولكنى أتأمل

يوسف معاطى



الدار المصرية اللبنانية

المشهد الأخير فى حياة الطغاة

اللحظات الأخيرة في حياة طغاة التاريخ

محيى الدين مرعى

الجزء الأول

الناشر

إهداء

إلى روح أبي وأمي

أبي الذي علمني أن الطغيان هوسلب للعدل.

وأمي التي علمتني أن الظلم إهدار للحق.

وإلى زوجتي وأبنائي كريم ومحمد ونورهان خوفاً

عليهم من الظلم والطغيان.

أهدي إليهم هذا الكتاب

المؤلف

محيي الدين مرعي

الجيزة / الهرم

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)
صدق الله العظيم

تنويـــه

لم نهتم بالترتيب الزمني للطغاة لأنهم في كل الأزمنة متشابهين في الطغيان. ولكن ما يهمنا أن نغوص في أعماق شخصية الطاغي

المؤلف

مقدمة

إن المشهد الأخير في حياة أي طاغية مشهد مأساوي للغاية مشهد يندى له الجبين خزياً وعاراً وذلاً ومهانة لهذا الطاغية فبقدر ما أذل الناس وأطاح بأعناقهم. بقدر ما تكون نهايته المأساوية، ها هو الطاغية المتجبر (ستالين) يبصق عليه (لافرنت بريا) أعز الناس عنده ويده اليمنى التي نفذت كل تعاليمه، وكان ستالين يطلق عليه المارشال المطيع المروع رغم ذلك بصق (بريا) على وجه الطاغية وتقيأ بكلمات كريهة تفيض بغضاً وكرهاً لستالين ولي نعمته.

وقال له: «فلتذهب إلي الجحيم أيها السكير».

ونيرون طاغية الرومان الذي حكم لمدة ١٤ عاماً قتل وشرد الكثيرين بل حرق أكثر من مدينة وباع كل شيء في سبيل لذاته وشهواته سجن الأصدقاء وقتل الأتباع والمقربين كان المشهد الأخير في حياته صعباً للغاية. فبعد أن طارده الثوار من كل ناحية هرب لينجو بنفسه ومعه سكرتيره الخاص كان لا يجد قطعة خبز أو كوب ماء يشربه وكان ينام على فراش أحد العبيد وتملكه الرعب حينما اقترب الثوار منه فقام بخلع خنجره ووضعه بالقرب من رقبته ولكنه جَبنُ في اللحظة الأخيرة فقام سكرتيره الخاص بفعل ما لم يفعله نيرون وطعنه طعنة قوية بخنجره انتفض على أثرها نيرون انتفاضة شديدة ثم سقط على الأرض فسالت الدماء من فمه ثم ضرب الهواء بيده اليسرى وتحشرجت الكلمات في فمه وارتطمت رأسه بحجر صلد فتهشمت.

ونظر إليه سكرتيره الخاص نظرة طويلة وركله بقدميه وتركه وهرب.

إن المشهد الأخير في حياة الطغاة مشهد مثير للغاية إنه أعظم كتاب يخطه القدر لكي نتعلم منه أن الحق سبحانه وتعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهوعلى كل شيء قدير.

في هذا الكتاب نعيش مع اللحظات الأخيرة في حياة الطغاة إنها لحظات رهيبة ومثيرة. قد تشفي الغليل في الصدور وتطفئ النار في قلوب المظلومين لأن الحق سبحانه وتعالى قد اقتص لهم من هذه الطاغية، أليس هوالقائل في كتابه العزيز في سورة «غافر» الآية «٢١».

بسم الله الرحمن الرحيم

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق).

صدق الله العظيم

المؤلف/ محي الدين مرعي

فيصل / الجيزة

الفصل الأول

١- من هو الطاغي ؟

باديء ذي بدء لابد أن نعرف معنى كلمة «طغى» فجاء في المعجم الوجيز (طغى) طغياً وطغياناً أي جاوز الحد المقبول، والماء فاض وتجاوز الحد في الزيادة ويقال: طغى الموج أي فاض وتجاوز الحد، وفلان طغى أي غلا في العصيان وتجبر وأسرف في الظلم ويقال للطاغية أطغاه المال والسلطان فجعله طاغياً.

من هذا التعريف اللغوي لكلمة طاغية نفهم أن الطاغي هوالشخص الذي يطغى بإراداته على كل من حوله حتى أنه يتجاوز كل حد فلا يعترف بسلطة القوانين ولا يهتم برغبات وأحلام شعبه كل الذي يشغله أنه خليفة الله في الأرض وأن العناية الإلهية اختارته ليحكم بمشيئته وإراداته وما على الشعب سوى السمع والطاعة العمياء.

إن أول من تعرض لوصف الطاغية وصفاً دقيقاً وبليغاً هوالقرآن الكريم كتاب الله الحق العزيز الجبار المتكبر ولم يتوقف عند وصف الطاغية وتعدد مساوئه وخصاله وصفاته بل ضرب لنا مثلاً الطاغية (فرعون) تنطبق عليه كل الصفات الخسيسة والطباع اللئيمة المغروسة في قلب الطاغية إذا كان له قلب وهي أكثر من ثلاثين صفة سيئة وطبع سيء قام بسردها الدكتور صلاح حسن الأستاذ بكلية الطب جامعة أسيوط في مقال له نشر بجريدة الأهرام يوم ١٧ مايو٢٠٠٣ تحت عنوان (سقوط طاغية).. وهي كالآتي:

١- الحاكم الطاغية يسوّم شعبه سوء العذاب.

٢- الحاكم الطاغية حاشيته فاسدة وتحرضه دائماً على الانتقام.

٣- في عهده تتعرض البلاد بكثرة للكوارث الطبيعية عقاباً من الله

كما حدث أيام فرعون.

فيقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لَعَلَّهُم يذكرون»

وأيضاً يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الأنفال:

«فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين». الآية ٥٤

٤- الحاكم الطاغية: يعلوفي الأرض وهومن المسرفين.

٥- الحاكم الطاغية: يكثر في الاحتفالات والزينات والسفه في إنفاق الأموال.

٦- الحاكم الطاغية: من صفاته ضلال الرأي.

٧- الحاكم الطاغية: من صفاته تلفيق التهم الظالمة للأبرياء.

٨- الحاكم الطاغية: من صفاته نهايته مخزية وهذه الصفة هي التي سنركز عليها في هذا الكتاب.

٩- الحاكم الطاغية: من صفاته الطغيان في البلاد.

١٠- الحاكم الطاغية: من صفاته تضليل الرعية.

١١- الحاكم الطاغية: من صفاته إضفاء صفة الألوهية على نفسه.

١٢- الحاكم الطاغية: من صفاته الأخذ بمبدأ فرق تسد.

١٣- الحاكم الطاغية: من صفاته فساد الإدارة.

١٤- الحاكم الطاغية: من صفاته الاستكبار والاستهزاء وعدم الأخذ بالنصيحة.

١٥- الحاكم الطاغية: من صفاته الشراهة في إرتكاب جرائم القتل والتعذيب.

١٦- الحاكم الطاغية: من صفاته الاستبداد بالرأي والغرور.
١٧- الحاكم الطاغية: من صفاته نشر الأفكار الشاذة وإصدار الأوامر الغريبة.
١٨- الحاكم الطاغية: من صفاته تزيين سوء الأعمال وشرها.
١٩- الحاكم الطاغية: من صفاته الخسارة والفشل في الكيد والمؤامرات التي يدبرها ضد أعدائه.
٢٠- الحاكم الطاغية: من صفاته الديكتاتورية والحكم المطلق.
٢١- الحاكم الطاغية: من صفاته سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.
٢٢- الحاكم الطاغية: من صفاته الاعتماد على القوة العسكرية في تثبيت أركان حكمه وتعذيب المعارضين.
٢٣- الحاكم الطاغية: من صفاته شيوع الرشوة واستغلال النفوذ في عهده.
٢٤- الحاكم الطاغية: من صفاته نفاق الحاشية له.
٢٥- الحاكم الطاغية: من صفاته تبرؤ أقرب الناس إليه من سوء أفعاله وأعماله مما يجعلهم يتوارون خجلاً منه.
٢٦- الحاكم الطاغية: من صفاته نقض العهود والمواثيق.
٢٧- الحاكم الطاغية: من صفاته الفكر المادي الجامد فلا تهتز مشاعره للمساكين والفقراء من الشعب.
٢٨- الحاكم الطاغية: من صفاته بذاءة اللسان وسوء الأخلاق.
٢٩- الحاكم الطاغية: من صفاته الكذب وقلب الحقائق وفقاً لمزاجه الشخصي.
٣٠- الحاكم الطاغية: من صفاته وجود جهاز إعلامي ضخم موجه

لخدمة الطاغية وإفساد عقول الشعب حتى لا يفكر ولا يفيق.

٣١- الحاكم الطاغية: من صفاته الإصرار على ارتكاب الخطأ.

٣٢- الحاكم الطاغية: من صفاته الاعتقاد في أمور الشعوذة والخرافات.

٣٣- الحاكم الطاغية: من صفاته زوال الحكم وضياع القصور والضياع كله.

وهذا هوالمشهد الأخير في حياة هؤلاء الطغاة.. سنرى لحظات مأساوية متنوعة وكأننا نرى مشاهد لنهايات مسلسلات درامية مختلفة ولأفلام سينمائية متنوعة.

لقد استخلص الدكتور صلاح حسن هذه الصفات من قصة (فرعون الطاغية) التي ذكرها القرآن الكريم وهو تعريف جامع مانع لكل صفات الطاغية لكن هذا لا يمنع من أن نسرد بعض التعريفات المتفرقة لمن هوالطاغية المستبد وما صفاته وطبائعه؟

فلقد وصف الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) الطغاة المستبدين بأنهم يشاركون الله في حكمه «ما من» مستبد سياسي إلا ويتخذ له صفة قديسية يشارك بها الله ولذلك تكون نهايتهم نهاية مأساوية إما القتل أوالتعذيب، أول الذل أوالمهانة.

أما أفلاطون فقد عرف الطاغية بأنه ذئب مفترس يلتهم لحوم البشر فكلنا نعرف طبائع الذئب فهويعشق رائحة الدم وتثير غرائزه كما أنه غادر يعطي لمن حوله إحساساً بالأمان ولكنه ينقض عليه في لحظة غادرة وكائن وخير مثال على ذلك المنصور طاغية بني أمية والذي غدر بأبومسلم الخراساني الذي ساعده في الحكم وغدر به بعد أن أمنه.

أعطاه الأمان إنه مثل الذئب بل هوذئب بشري التهم لحوم البشر كما قال أفلاطون.

فقد ذكر (أفلاطون) في كتابه (جمهورية أفلاطون) أن من قتل الناس ظلماً وعدواناً، ويذق بلسان وفم دنسين دماء أهله ويشردهم ويقتلهم فمن المحتم أن ينتهي به الأمر إلى أن يصبح طاغية ويتحول إلى ذئب.

أما (أرسطو) فيعرف الطاغي بأنه شخص إغتصب السلطة اغتصابا دون الاهتمام برضا الشعب ويحكم بمزاج السيد الذي يسيطر على عبيده وهذا أسوأ أنواع الطغاة لأنه يدمر روح شعبه ويقضي على البارزين فيه ويفرق (أرسطو) بين الطاغي والملك ويقول إن الطاغي لا يهتم إلا بمنافعه الخاصة أما الملك لا يهتم إلا بحماية الشعب والطاغي هدفه من الحكم المتعة وجمع المال والجاه والمجد والسلطان أما الملك فهدفه الخير والشرف والفضيلة ويعتمد الطاغية في حراسته على جيش من المرتزقة الأجانب في حين يعتمد الملك في حراسته على أبناء وطنه ومن شعبه.

أما (جون لوك) فقد عرف الطاغية بأنه شخص يمارس سلطة لا تستند إلىْ أي حق ويستحيل أن تكون حقاً لإنسان ما.

أما (جيمس) ملك إنجلترا الأول. فيحدد في خطاب له أمام البرلمان الإنجليزي سنة ١٦٣٠ من هو الطاغية فيقول:

«إن الفرق بين الملك والطاغية هو أن الملك يجعل من القوانين حداً تنتهي عنده سلطته كما أنه يجعل من خير المجموع الفرض الأساسي لحكمه أما الطاغية فلا حد لسلطانه كما أنه يسخر كل شيء لإرادته ورغباته».

بعد كل هذه التعريفات للطاغي لا نستطيع إلا أن نقول أن الطاغي

شخص بشع لا يحب إلا نفسه ولا يفكر إلا في رغباته ولا يحترم إلا إرادته ومبادئه (أنا ومن بعدي الطوفان) ودائماً يحدث نفسه أنا الأوحد في هذا العالم. . أنا القهار الذي يقهر كل شيء يعوقه. . إن الغرور والكبرياء من أبرز صفات الطاغي ولذلك سنرى خلال صفحات هذا الكتاب كيف أذل الله هؤلاء الطغاة وجعلهم عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه أن يشارك الله عز وجل في صفة من صفاته جل شأنه.

٢- ما هي أنواع الطغاة ؟

هل للطغاة أنواع وأشكال؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول أن الطغاة متشابهون في المضمون مختلفون في الشكل وفي المظهر فالطغيان في جوهره الظلم والبغي والاستبداد والاستئثار بالسلطة المطلقة والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة كما قال (لورد أكتون) (١٨٣٤ - ١٩٠٢) وجميع مواقف الطغاة واحدة كما يقول (منتسيكو) أن موقف الطاغية هوموقف الذي يقطع الشجرة لكي يقطف الثمرة. . إذن كل الطغاة هدفهم واحد هوالدمار الشامل لكل من حوله إلا هويريد أن ينجو بنفسه وعلى حساب البشر.

لكن هذا لا يمنع أن البعض قد وضع تصنيفاً للطغاة في العالم فعلى سبيل المثال يقولون أن هناك طاغي يرتدي عباءة الدين ويطغى على شعبه تحت هذه العباءة.

وطاغي آخر يطغي تحت عباءة النظام الملكي وآخر يطغي تحت عباءة النظام الملكي المطلق فيحكم شعبه بنظرية مزاج السيد الذي يسيطر على عبيده فالحكم يسير وفقاً لإرادته هوومشيئته وحده وآخر يطغي تحت

شريعة السلطة وأنه وصل إلى الحكم بناء على رغبة الشعب ولكنه ما يلبث أن يسعى إلى مصالحه الشخصية وأهدافه الخاصة ورغباته الملحة في الثروة والجاه أوالمتعة والاستمتاع بشهواته ونزواته: لكن كل هذه التصنيفات تتفق على أن كل الطغاة متشابهون في الجوهر مختلفون في المظهر، وأنهم أشرار وفجار، نشروا شرهم وفجرهم في ربوع الأرض فأخذهم الله أخذ عزيزاً مقتدر.

٣- لماذا يطغي الطغاة ؟

إن التحليل النفسي لشخصية الطغاة تكاد تجزم بأن جميع الطغاة يعتبرون أنفسهم غير أنفس الناس فيعتقدون أنهم قد خلقوا من طينة غير طينة البشر فضلاً عن العقد النفسية التي يخزنها عقلهم الباطن فمنهم من هومصاب بجنون العظمة ومنهم من هومصاب بالشزوفرينا ومنهم من أصيب بمرض الهوس العقلي وغيرها من الأمراض النفسية المستعصية. .
ألا نرى ما فعله أبوالعباس السفاح طاغية بني العباس من إخراج جثث بني أمية من قبورهم وسحقهم ونثر عظامهم مع الرياح نوعاً من الهوس العقلي فضلاً عما فعله في رأس (مروان بن عبد الملك) طاغية بني أمية حين وضعها بين يديه وسجد وأطال السجود ثم رفع رأسه وقال «الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك، وقبل رهطك الحمد الله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك» ثم ما فعله في (هشام) حين نبش قبره ووجد جثته سليمة فأخرجها وظل يضربها بالسيف ثم صلبها أياماً ثم أحرقها ثم دق عليها حتى تحولت إلى رماد فرماها مع الرياح، أليست هذه الأفعال تدل على الهوس العقلي؟

ومن الأسباب العلمية التي تجعل الطاغي يطغي المنافقين والمتملقين ودائرة السوء فهم الذين يساعدونه على الظلم والعدوان لأن لهم مصالح يجنوها من وراء ذلك الطاغي. . إن (عمر بن الخطاب) فطن إلى هؤلاء المنافقين فخطب في الناس :ـ يقول لهم يوم توليه الخلافة

«ألا من رأي منكم في إعوجاجاً فليقومه ما أنا إلا أحدكم، منزلتي منكم كمنزلة ولي اليتيم منه ومن ماله».

أيضاً من الأسباب التي تجعل الطاغي يطغي عدم النقد الصحيح فالكل يخاف منه وإلا يستبيح دمه والكل يهلل له ويصفق له ناسين أومتناسين موقف سيدنا عمر بن الخطاب حين نقده أحد المسلمين فقال له عمر:

«ويل لكم إن لم تقولوها. . وويل لنا إن لم نسمعها» وأيضاً قصة المرأة التي اعترضت عمر وهو ينهي عن المغالاة في المهور في إحدى خطبه في المسجد حتى قال لها «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

المشهد الأخير في حياة الطاغية

(ستالين)

بصق عليه أقرب الناس إلى قلبه



لم يفهم الجنود الواقفين أمام باب الكرملين ما يحدث أمامهم من حركة غير عادية مساء الأحد الموافق ١ مارس من عام ١٩٥٣م فلقد رأووزير الداخلية (لافونت بريا) يأتي مهرولاً ومسرعاً وقد ذهب لونه وامتقع وجهه وتصلبت نظراته وورائه جاءت سيارة (خروششيف) ثم سيارة

(مولونوف) ثم اتبعها سيارة الوزير (ترتياكوف) وزير الصحة الذي نزل ومعه تسعة من الأطباء المهرة بالاتحاد السوفيتي. . نظر الحراس إلى بعضهم البعض نظرات ذات مغزى تتساءل ماذا حدث في هذا المساء إنها حركة غريبة لم نعهدها من المسئولين في الحزب الشيوعي الحاكم أجل أنهم أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لكن لم نرى علامات الخوف والرعب هكذا على وجوههم من قبل إن السر والغموض يكتنفان المكان.

لقد سقط على الأرض مغشياً عليه الزعيم الأوحد وفخر العالم ونوره وضميره ومشعل النور لهداية النوع الإنساني كله (ستالين) هكذا كان يطلقون عليه في الاتحاد السوفيتي كانت تنحني له رؤوس القادة والسفراء والخبراء خوفاً منه لا احتراماً له كان طاغية مستبد حكم ١٥٠ مليون فرد بالحديد والنار ورغم ذلك كانوا يمجدونه ويعظمونه فيقولون عنه أنه النسر المحلق فوق سماوات النسور وكانت تسمى المدن باسمه فها هي

(ستالنجراد، ستالنبار، ستالينمس، ستالنكا، ستالينور جورسك) سقط الطاغية على الأرض مغشياً عليه إثر انفجار شريان من شرايين المخ وقد أعقب الانفجار نزيف شديد في الجهة اليسرى من المخ أدى ذلك إلى شلل في اليد اليمنى. . تلك اليد التي أعدمت وقتلت وشردت الملايين

فلقد قتل نحو ٧٠٪ من أعضاء لجنة الحزب المركزية التي كان يرأسها فلقد قتل واعتقل ٩٨ وأعدمهم رمياً بالرصاص من بين (١٣٩) عضواً باللجنة المركزية وذلك خلال عام (١٩٣٧ ١٩٣٨).

هذه اليد التي شلت حركتها الآن هي اليد التي أمرت بالقبض على ١١٠٨ شخص من (١٩٦٦) من المندوبين الذين اشتركوا في المؤتمر السابع عشر للحزب بتهمة ارتكاب جرائم مناهضة للثورة.

يحاول ستالين أن يرفع يده مشيراً إلى (لافونت بريا) حاول لافونت أن يقترب منه بريا مقبلاً يد الزعيم والطاغية والتي تسقط على الأرض من بين يدي (لافونت بريا) فمه تتساقط منها رغاوي ممزوجة بالدماء حتى لطخت وجه (ستالين) الطاغية ومالت رأسه ناحية الشمال ومات الطاغية دون أن يكون أحد حوله من أسرته فابنته الوحيدة (سفتلانا) كانت قد هربت أثناء حياته إلى أمريكا أما زوجته الثانية كان قد أجبرها على الانتحار.. كان كل من حوله ينتظرون موته.. فبعد أن اطمئن

(لافونت بريا) مارشال الاتحاد السوفيتي أن الطاغية لم يعد يتحرك وأن الموت قد حل بجسده هب واقفاً واعتدل وأمسك لياقة بدلته العسكرية وشدها إلى الأمام وبنعلي حذائه ركل الطاغية ستالين وتنفس الصعداء وقال «فلترحل إلى الجحيم.. يابن الأسكافي السكير»

«فجأة يصرخ (ستالين) آه ياللجحيم الذي أنا فيه تظهر على وجهه علامات من الرعب والفزع.. هل رآى (ستالين) شيئاً أفزعه وأرعبه؟ أم من أي شيء هومرعوب وخائف؟ لقد أفزع العالم وألقى الرعب في جوف شعبه لقد قتل ما يقرب من ٣٠ مليون نفس ها نحن اليوم نكتشف مقبرة جماعية بها ٣٠ ألف جثة قتلها هذا اللعين يا إلهي !..

مم هوخائف ويرتعد؟

لابد أنه رأى مصيره بعد الموت. . لابد أن روحه قد رأت ما أعده الله لتعذيبها فترفض أن تخرج من جسد الطاغية (ستالين) لا تريد أن تتعذب وتفضل البقاء محبوسة في أنفاس هذا الطاغية المرعب.

ليس أحد بجوار (ستالين). . فجأة يدخل أعضاء المكتب السياسي. . يجرون ناحية الطاغية وقد تملكهم الرعب الممزوج بالغبطة لقرب نهاية الرعب الستاليني ينظرون إلى الطاغية وهوملقي على الأرض يجري (خروشتيف) تجاه التليفون. . يطلب الطبيب الخاص للطاغية لكن وزير الصحة (ترتياكوف يظهر فجأة ومعه تسعة من الأطباء المهرة) الوزير يرتجف ويخشى أن يعلن أن الطاغية قد أصابته السكتة المخية وهذه هي المرة الثالثة. . ربما يشفى الطاغية ويعلم بما قاله الوزير فيطيح برقبته. . أيمكن أن يحدث هذا؟ ولما لا يحدث وقد فعلها الطاغية قبل ذلك أثناء سطوته فقد فعل مذبحة الأطباء حيث أطاح بكل الأطباء المتحذلقون تحت دعوى التطهير وقد أعمل فيهم القتل الجماعي وقتل الملايين منهم.

فجأة نرى ستالين يفتح عينيه بصعوبة بالغة فيركض (لافونت بريا) يقبل يده وكل جزء في جسده ويقول للطاغية: وهويبكي بكاءاً حاداً

بريا: ماذا دهاك أيها الرفيق الأعظم.

ستالين: «يهمهم بكلمات غير مفهومة»

بريا: كلنا تحت أقدامك نرعاك يا سيد روسيا وبانيها الأعظم.

ستالين: (يرمقه بنظرة ذات مغزى) وكأنه يقول له لا تبالغ في مشاعرك تجاهي يا بريا، فأنا الوحيد الذي أعرفك جيداً من الداخل. . أنا الذي ربيتك على البغض والكراهية. . وأنا الوحيد في العالم الذي

يعرف سجلك الحافل بالإرهاب والإجرام والقتل الفردي والجماعي. . أنا (ستالين) الذي يعرف كم هوقلبك قاسي كالحجر فكيف تبكي وتدمع عيناك التي لم تدمع أبداً. . أنسيت يا بريا تسخيرك لعشرات الآلاف من عمال المناجم وعملهم بنظام السخرة بلا أجر في (سيبريا). . أنسيت يا بريا أنك ماهر ومحترف كبير في التجسس على المواطنين وقادة الحزب؟. أنسيت يا بريا تدبيرك للمؤامرات والاغتيالإت والتخريب والدمار ؟. هل نسيت كل هذا وتريد أن تقنعني بدموعك الكاذبة الفاجرة. وأنك حزين لما أنا فيه من جحيم.

يأتي (بريا) بكأس مطلي بالذهب به ماء ويحاول أن يرفع رأس (ستالين) لك يرتشف رشفة من الكأس حتى يأتي الطبيب المعالج ولكن حشرجة صوت (ستالين) كانت عالية وسريعة.

ستالين: أين ابنتي (سفتلانا أليلوبيفا).

بريا: ما زالت في أمريكا يا سيد روسيا.

ستالين: أبلغوها أني عفوت عنها وأريد أن أراها قبل رحيلي.

أعلم أن ابنتي (سفتلانا) تخلت عن مبادئنا وكتبت كل ما رأته أثناء إشرافها وعملها بالكرملين ونشرته في كتاب يحمل (اسمي)

آه ياللجحيم الذي أنا فيه. . أشعر بأن ضلوعي تخرج مني. . أحسن أن أحد يضربني بالسوط على قدمي ما الذي يحدث لي يا (بريا) امنعهم يا بريا.

بريا : أمنع من يا سيد روسيا الأعظم؟!

ستالين: كيف لا تعرفهم يا (بريا) وأنا الذي منحتك رتبة المارشال كما عينتك وزيراً للداخلية. . كيف لا تعرف من يضربونني بالسياط وأنت

وزيراً للداخلية يا بريا.

خروشتشيف يهمس في أذن بريا: بصوت منخفض جدا ومرتعد: يبدو أن النهاية قد اقتربت يا بريا.

بريا: لا يا (خروشتشيف).. لا..

أمثال الزعيم لا يموتون أبداً.. إنهم يصرعون كل شيء حتى الموت نفسه.. أنظر ها هوينظر إلينا ويريد أن يسمع ما نقوله.

خروشتشيف: وأنا أتمنى أن أعرف لماذا كل هذا الرعب على وجهه؟.. ما الذي يجعله خائفاً مرتعداً هكذا ؟ كما لوكان سيقع في هوة سحيقة ليس لها قرار أوبها نار.

بريا: (وهويقبل يد ستالين) لا تتحرك يا سيد روسيا الأعظم.. لا تتحرك فقط استرح حتى تشفى وتستريح.

ستالين: ينظر إليه نظرة مليئة بالضعف والاستسلام للموت..

فمنذ ٥٠ عام وفي هذا المبنى العتيق.. الكرملين.. اتجهت إليه أنظار العالم بأسرة لترصد وتراقب المشهد الأخير في حياة الطاغية جوزيف فيسا ريونوفيتش الشهير(بستالين) كانت بداية المشهد مساء الأحد الموافق ١ مارس عام ١٩٥٣ وكانت نهايته صباح الخميس ٥ مارس ١٩٥٣ حيث فارقت الروح الجسد أي أن المشهد الأخير في حياة ستالين استغرق خمسة أيام... اتجهت أنظار العَالم بأكمله إلى هنا.. ترقب لحظة بلحظة المشهد الأخير في حياة الرجل الصلد.. استالين الذي قتل وعذب وشرد أكثر من ٥٠ مليون سوفيتي ونحن في نغوص في أعماق التاريخ نستعيد بقدر الإمكان ما حدث من صراعات عنيفة بين الرفاق للاستيلاء على السلطة وأمام عيني الزعيم ستالين الصلب ولكنه في صراع مع الموت ولا

يقدر أن يتحرك من مكانه ولا يدرك ما يدور حوله من هول ما يراه أثناء سكرات الموت. . . إنه المشهد الأخير في حياة طاغية من الطغاة.

جدل كبير حول وفاة ستالين

إن المشهد الأخير في حياة ستالين موضع جدل وشك كبيرين. . . إذ أن هناك شكوك بأنه هل مات نتيجة نزيف دماغي أوقتل لأنه كان ينوي إغراق الاتحاد السوفيتي في حرب لِم يكن الشعب مستعداً لخوضها فالمؤرخ الروسي ادفارد رادزنيبسكي رصد منذ سنوات عدة آثار الحارس بيوتر لوزغاشيف الذي كان يؤدي وظيفته في تلك الليلة بالكرملين فهذا الحارس أكد في شهادته أن من أعطى الأوامر للحارس بالذهاب إلى الفراش لم يكن ستالين بل الحارس الرئيسي الذي كان يدعى خروستاليف الذي قام بحقن ستالين بمادة سامة بأمر من رئيس(الكي جي بي) (K.G.B) المخابرات الروسية لافرنتي بيريا يا ترى. . . كيف مات ستالين. . . وكيف كان المشهد الأخير لهذا الرجل الذي أثير الجدل حول إرتكاباته لجرائم عديدة وحول مجهوداته لنهضة الاتحاد السوفييتي.

قبل الإجابة يجب أن نذكر أن هناك إختلافات كثيرة حول شخصية ستالين

فالكتاب والمؤرخين يختلفون حول شخصية ستالين فمنهم من يصفه بالدكتاتور المجرم والطاغية الذي قتل أبناء شعبه حيث قتل أكثر من ٢٠ مليون سوفييتي وعذب وشرد أكثر من ٣٠ مليون آخرين ومنهم من يعطيه المبررات والأسباب نظراً للأوضاع التي كانت سائدة في أيامه داخلياً وخارجياً معتبرين أن الغاية السامية تبرر الوسيلة غير السامية أما الواقعيون فإنهم يعدون حسناته وسيئاته.

طفولته

ولد (جوزيف فيساريوفيتش جوغا) جفيلي في ١٢ كانون الأول / ديسمبر عام ١٨٧٩ في قرية غوري - جورجيا وكان والده اسكافيا فقيراً يكثر من تناول الكحول والخمر وينهال على ابنه (جوزيف) بالضرب الوحشي بسبب أوبدون سبب، أما أمه فكانت ابنة مزارع وقد عملت في الخياطة وغسل الملابس لكي تساعد في نفقات العائلة.

دخل ستالين أوجوزيف فيساريوفيتش مدرسة تابعة للكنييسة (الأرثوذوكسيه) وهوفي التاسعة من عمره وتوفي والده عند بلوغه الرابعة عشر فأرسلته والدته إلى مدرسة اللاهوت الروسية في (تبليسي) لكي يصير كاهناً لكن جوزيف فيتساديوفيتش اهتم بالشيوعية أكثر من اللاهوت فطرد من المدرسة وانغمس في العمل السياسي فانضم إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي وبدأ يمارس التحريض على العصيان وتنظيم اضرابات العمال ضد القيصر فكان يكتب المنشورات التحريضية في صفوف العمال في تبليسي ولقد لفتت نشاطاته كبار قادة الحرب، فأرسلوه لتنظيم خلايا الحزب في (باتومي) أحد الموانئ على البحر الأسود..

كما اشترك في حركة ١٨٩٨ الثورية واعتقل أكثر من ٦ مرات في كل مرة كان ينجح في الهروب من الاعتقال وانتزاع له مكاناً بين حزب البلاشقة سنة ١٩٠٨ عندما ارتكب أكبر عملية سرقة في التاريخ القيصري الروسي إذ صنع كميناً لقافلة بريد في تبليسي عاصمة جورجيا واستولى على كمية كبيرة من الذهب وقد اتخذ عدداً من الأسماء المستعارة إلى أن إستقر أخيراً على اسم (ستالين) الذي يعني stal الحديد أوالصلب وبعد

أن انضم إلى البلاشفة حضر سائر المؤتمرات البولشقية التي عقدت خلال فترة وجود لينين خارج الاتحاد السوفييتي.

وهومؤتمر عام ١٩٠٥ في فنلدنا.

مؤتمر عام ١٩٠٦ في استكهولهم.

مؤتمر عام ١٩٠٧ في لندن.

وفي تلك الفترة بدأ لينين يتعرف على ستالين عن كثب وأعجب بقدراته التنظيمية الفذة وإرادته الحديدية وعزمه الجبار.

ومنذ ذلك الحين بات الاثنان يعملان عن كثب وفي سنة ١٩١٢ جعله لينين عضواً في الهيئة المركزية للحزب وكان ستالين مواظباً على الكتابة في جريدة البرافدا والتي يقال أنه هومؤسسها الفعلي.

اعتقل ستالين مجدداً في ١٩١٢ ولكنه سرعان ما فر من المعتقل واتجه إلى سان بتروسبورج حيث عمل على تأسيس خلية بولشيفية داخل مجلس الدوما القيصري.

في عام ١٩١٣ اعتقل ستالين للمرة السادسة وأرسل إلى منطقة نائية جداً من سيبريا تقع ضمن الدائرة القطبية وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي فشل فيها من الفرار فبقى حتى سنة ١٩١٧ عندما عفت الحكومة الكسندر كيدينسي الانتقالية عن جميع السياسيين هكذا عاد ستالين إلى بترسبورج حيث ساعد لينين في التحضيرات النهائية ثورة تشرين الأول - أكتوبر - التاريخية وقد كانت لإرادته تلك المرحلة اليد الطولى في نجاح الثورة.

١٩٢٠ - ١٩٢٥

أصبح ستالين مفوضاً سياسياً في الجيش البولشيفي ضد الجيش الأبيض وأظهر براعة في التخطيط الاستراتيجي والتكتيكي وقاد بنجاح عظيم المعارك الحربية التي أوكلت إليه وخاصة مدينة تسارتيسين التي سميت باسمه بعد ذلك ستالنجراد.

وفي عام ١٩٢٥ توفي لينين وانتقالت السلطة إلى ستالين الذي عمل في السنوات اللاحقة على تطهير القيادة من خصومه.

وفي عام ١٩٢٨ تم إطلاق أولى الخطط الخمسية التي هدفت إلى اللحاق بركب الدول الكبرى التي كانت تسبق الاتحاد السوفييتي.

وفي عام ١٩٣٩ - ١٩٤٥

تم توقيع ستالين معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ثم دخل الحرب ضدها إلى جانب الحلفاء وكانت المعارك على الأراضي السوفياتية من أهم أسباب إنهاك القوى الألمانية.

وفي عام ١٩٤٥ - ١٩٥٣

متابعة إطلاق الخطط الاقتصادية التي جعلت الاتحاد السوفياتي قوة عظمى في العالم.

١ مارس (آذار) ١٩٥٣

بداية المشهد الأخير في حياة ستالين

اليوم الأول
من المشهد الأخير
في حياة الطاغية ستالين
مساء الأحد ١ مارس ١٩٥٣

كانت وفاته مثل حياته يكتنفها الظلام والسر والغموض فلم يعرف العالم الخارجي حتى في هذه المناسبة التاريخية إلا ما أراد أن يقدمه له المحيطون بستالين حيث عرف العالم أنه حدث مساء الأحد الموافق ١ مارس أن أصيب ستالين بإغماء نتيجة انفجار شريان من شرايينه وقد أعقب الانفجار نزيف شديد في الجهة اليسرى من المخ وكان نتيجة ذلك أن شلت يده اليمنى وساقه اليمنى وفقد النطق ودعي أكبر الأطباء في الاتحاد السوفياتي وعلى رأسهم وزير الصحة ترتياكوف ومعهم تسعة من أعظم الإخصائيين في هذا المرض... الخ.

لقد سقط الطاغية مغشياً عليه على الأرض.. سقط زعيم جميع الناس الذي يدعوالمخلوقات إلى الحياة ويوقظ الأرض كما كان يحب أن يقال عليه سقط الجبار الذي لا يقهر في ١ مارس «آذار عام ١٩٥٣»...

يا ترى ماذا فعل الرفاق بعد أن رأوا الطاغية مغشياً عليه ينزف نزفاً داخلياً ؟ ياترى.. ماذا فعل لافونت بيريا وزير الداخلية آنذاك والذي صنعه ستالين ؟ حيث كان يد ستالين الجبارة التي تبطش بها.

ماذا فعل الوزراء الآخرون...؟؟

هل حزنوا..؟؟

هل فرحوا..؟؟

هل صمتوا..؟؟

هل تصارعوا..؟؟

هل تناحروا..؟؟

ألف هل وهل....

فهل تسمحوا لنا أن نعرف ماذا حدث في اليوم الثاني للطاغية

ستالين؟

رغم كل الذي ذكرناه من قبل ؟ هل تسمح لي عزيزي القارئ أن أصف لك المشهد الأخير للطاغية ستالين وصفا دراميا، بداية من اليوم الثاني وهويوم الاثنين الموافق ٢ مارس ١٩٥٣.

اليوم الثاني
من المشهد الأخير
في حياة الطاغية ستالين
صباح الاثنين الموافق ٢ مارس «آذار ١٩٥٣»

في اليوم الثاني فرضت رقابة شديدة جداً على الأطباء المعالجين وأحصيت كل همسة من همساتهم أثناء تشاورهم الطبي كان هناك تسعة أطباء كما ذكرنا يراقب كل واحد منهم الآخر كما أن وزير الصحة «ترتياكوف» كان يراقب الأطباء وكانت الجنة المركزية والحكومية تراقبان الوزير. . كما تم كتم السر العظيم لمدة ٤٨ ساعة فلم يعلم به إلا المقربون.

لم يعلن راديوموسكو خبر مرض ستالين حتى اليوم الثالث. . وبذل الطب والأطباء قصارى جهدهم داخل هذا المبنى العتيق لينقذوا حياة المستبد والديكتاتور الذي بلغ من السن ٧٣ عاماً استعملوا كل وسائل العلاج المتاحة استخدموا البنسلين كمضاد حيوي واستعملوا قناع الأكسنجين وحقن الجلوكوز والكافيين للتقوية وإنعاش قلب ومخ الطاغية بل عندما فشلت هذه الأساليب الطبية الحديثة في وقف النزيف رأوا استخدام وسيلة طبية قديمة معروفة فاحضروا الدود الشره لامتصاص الدماء ووضعوه في جسد الطاغية ليمتص الدماء النازفة من أوردته. . ياترى هل نجح الأطباء في إيقاف النزيف الدماغي الذي أصاب الطاغية ستالين. . أم. . ماذا حدث في اليوم الثالث من المشهد الأخير في حياة ستالين.

اليوم الثالث
من المشهد الأخير
في حياة الطاغية ستالين
صباح الثلاثاء الموافق ٣ مارس «آذار ١٩٥٣»

كان خلفاء ستالين يسجلون ويراقبون نبضات قلب الطاغية والنبض غير منتظم ووصل عدد النبضات إلى ١٢٠ نبضة في الدقيقة أما التنفس فوصل إلي ٣٦ مرة في الدقيقة ودعوا أفراد أسرته للحضور. . ابنه فاسيلي كان عمره وقتذاك ٣٢ عاماً وكان يشغل وظيفة قائد القوات الجوية وابنته سفتلانا ٣٠ سنة التي هربت إلى أمريكا من ظلم أبيها لها وللشعب لم يذكر أحد أن زوجته (روزا) الزوجة الثالثة لستالين وشقيقة وزميله القديم لازرار كاجانوفيتش قد حضر. . حضر الأهل والأقارب لكنهم لم يحزنوا على سقوط الطاغية ستالين لأنه كان قاسي القلب عليهم فابنه «فاسبلي» كان قد أسره الألمان ورفض ستالين أن يبادله بالأسرى. . وابنته هربت من ظلمه الشديد لها وللشعب. . . . . الخ.

كان ستالين يتصرف كأنه من الخالدين لم تطرح يوماً مسألة خلافته. . حتى وهوفي المشهد الأخير كانت نظراته تقول لخلفائه «ماذا عساكم أن تفعلون بدوني. . وأنتم أكثر عجزاً من الهررة العمياء الوليدة» ها قد وصلنا إلى اليوم الرابع في المشهد الأخير في حياة الطاغية ستالين. . .

ورغم كل المحاولات لانقاذه خلال الثلاثة أيام الأولى من مرضه إلا أن راديوموسكولم يعلن بعد أن الطاغية ستالين قد مرض مرض الموت لكنه في صباح اليوم الرابع الموافق ٤ مارس ١٩٥٣ وكان يوم الأربعاء أذاع راديوموسكوالبيان التالي:

في تمام الساعة ٧ صباحاً وبعد أن ردد راديوموسكوصوت أجراس الكرملين التي تلتها موسيقى حزينة هادئة ثم تكلم المذيع بصوت بطيء فقال. .

(أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي ومجلس وزراء

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يعلنان ما حل من مصاب اليم بالحزب والشعب وهوخبر المرض الذي ألم بالرفيق جوزيف فيساربوفيتيش (ستالين) إذ حدث خلاله ليلة ١ - ٢ مارس - آذار أن أصيب الرفيق ستالينِ بنزيف أثر على أجزاء حيوية من مخه وأن اللجنة المركزية ومجلس الوزراء ليعبران عن ثقتهما في أن الحزب وجميع أفراد الشعب السوفيتي سيظهرون في هذه الظروف أعظم الاتحاد والائتلاف وسموالروح المعنوية والحذر.)

تبع ذلك البيان بيان ثاني أصدره أطباء جوزيف ستالين وكان عددهم (١٠) أطباء جاء به ما يلي:

«اتخذت في يوم ٢، ٣ مارس كافة الإجراءات الضرورية لتحسين التنفس المضطرب والدورة الدموية للرفيق ستالين وفي الساعة الثانية من صباح اليوم قمنا بالكشف الطبي عليه لكن حالة ستالين الصحية ما زالت خطيرة».

بعد إعلان الخبر في الإذاعة تعطلت صدور الصحف في روسيا في صباح ذلك اليوم لعدة ساعات حتى ساورت الناس الشكوك وبدأوا في الوقوف أمام أكشاك بيع الصحف وهم يتساءلون.. ويستفسرون... عما حدث داخل الكرملين في هذا اليوم.. لقد عرفوا ظواهر الأمور أما بواطن الأمور فلم يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى حيث يقول التاريخ إن في هذه الليلة جاء بيريا رئيس المخابرات ووزير الداخلية ومعه الجنرال «سبير ودوتوف» قائد حامية الكرملين والجنرال سينيلوف قائد حامية موسكوفضلاً عن بقية أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.. وأومأ بيريا لرئيس الحراس الحارس خروتساليف بإماءة معينة والذي قام بدوره

بإعطاء أمراً إلى الحارس بيوتر لوزغاشيف بأن يذهب إلى الفراش وقام الأخير بحقن ستالين مادة سامة حيث كان ستالين أول من أسس قسماً في الطب أسماه «الموت بالطب» فمن نفس الكأس شرب.. لكن هذه رواية عن المؤرخ الروسي ادفارد رادزنيسكي... الخ.

إن التاريخ بلا شك يعيد نفسه لكي يتعظ الناس ويستخلصون العبر والعظات... ولكن هيهات.. هيهات.. ها نحن بجوار قبر لينين رئيس الدولة السوفياتية قبل ستالين... وهوالذي صنع ستالين حتى أصبح الرجل الثاني بعده وقال عنه ذات مرة أن ستالين جمع في يده سلطات بلا حدود.. فأثناء مرض لينين قام ستالين بدس السم إلى لينين كي لا يعود إلى السلطة مرة ثانية.. كان لينين على فراش الموت يصرح بأعلى صوته..

«آه.. يا للجحيم..

آه.. يا للجحيم..

لقد عاودني المرض القديم «وعندما داهمت لينين جلطة المخ للمرة الثالثة وأفقدته القدرة على الكلام والنطق لم يعبأ ستالين بمرض لينين ولكنه ركز كل اهتمامه في جمع السلطة في يده والتخلص من منافسيه وتحطيمهم مثل «كامنف، وزينوفيف، وبوخارين وعدوه اللدود تروتسكي هؤلاء هم قادة كبار الحزب والسلطة...

وها هونفسه المشهد يتكرر نفسه.. في نفس المكان مع اختلاف الزمن فالمشهد الأول كان عام ١٩٢٤ أما المشهد الثاني كان عام ١٩٥٣ ها هوالرجل الثاني لافونت بريا.. الذي صنعه ستالين يركز كل اهتماماته في الانفراد بالسلطة وستالين المريض لا يقدر أن يفعل شيئاً إنها عدالة

السماء وكما تدين تدان.. بيريا يبصق على وجه ستالين في المشهد الأخير ويتفوه بألفاظ كريهة في اليوم الأخير من حياة ستالين.

«خلال ليلة الأربعاء والجزء الأول من النهار ساءت حالة الرفيق ستالين وعند الساعة الثامنة هذا الصباح بدت علامات تشير إلى انهيار شديد وفي الساعة الحادية عشر ونصف حدث انهيار ثاني خطير ودعوا رؤساء رجال الدين إلى إقامة الصلوات حتى يمن الله بالشفاء لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هل يشفى الله طاغية كان ينكر وجوده ؟

كان اليوم الأخير في حياة الطاغية ستالين من أصعب وأقسى الأيام.. نرى لافونت بيريا يبصق في وجهه ويركله برجله ثم يحدث نفسه «فلتذهب إلى الجحيم يابن الاسكافي السكير «لقد عذبتنا وأنت حي أتعذبنا وأنت تموت أيضاً..»...

وبعد أربع عشرة ساعة صدرت النشرة الطبية الثالثة وقد جاء بها طاغية ارتكب جرائم رهيبة في حق شعبه فما هي هذه الجرائم ؟.

جرائم الطاغية ستالين

المقابر الجماعية

(لعل أبرز ما يوضح مدى الوحشية التي اتصف بها ستالين هواكتشاف المقابر الجماعية الكثيرة والتي زادت على المئات والتي نفذها جهاز NKVD حيث صدرت أوامر للمساجين بحفر مساحات شاسعة من الأراضي للتنقيب عن المعادن واستغل هذا الجهاز تلك الحفر الكبيرة في إقامة مقابر جماعية للقتلى والمساجين المتهمين بتهم التحريض ضد الشيوعية أوضد السلطة ومن أكثر فضائح العهد الشيوعي في الاتحاد

السوفيتي المنهار حدثت سنة ١٩٨٩ حيث تم اكتشاف مقبرة جماعية في منطقة "تلال الذهب ووجد بها أكثر من ٨٠ ألف هيكل عظمي من ضحايا التعذيب والقتل الجماعي في عهد ستالين

في سنة ١٩٤٠ أصدر ستالين قانون في غاية الاستبداد والقسوة حيث نص على أنه من حق مدير العمل أن يفرض عقوبة السجن على العامل لمدة أربع شهور دون تحقيق أومحاكمة كما صدر قانون آخر ينص على أن العامل يعد مسئولاً من الناحية المالية عن أي ضرر يلحق بالمصنع أوبالأدوات بحسب تقدير صاحب العمل وقد يصل ما يتقطع من أجر العامل إلى عشرة أضعاف ما أتلف أوضاع. .

كون ستالين منظمة سرية أطلق عليها NKVP قد بلغ عدد أفرادها ٢ مليون من رجال المخابرات واسند رئاستها لرجل عرف بالوحشية الشديدة وهو "جينريخ ياجودا" وقد بطشت هذه المنظمة بملايين من الشعب وقتلت الآلاف منها وكان لها صلاحيات واسعة فمن حق رجالها أن يقبضوا على أي شخص وأن يقتلوه أويعذبوه أوينفوه حسبما يشاءون وبدون محاكمة وكانوا ينتشرون في جميع أنحاء البلاد ويترددون من حين إلى آخر على المصانع والمزارع والمطاعم والتجمعات ليتجسسوا على المواطنين بل كان من حقهم ارتياد المنازل وتفتيشها دون إذن وأقاموا معسكرات اعتقال خاصة بهم واستلم قيادة هذا الجهاز بعد وفاة قائده لافرنتي بيريا "والذي لم يكن أقل شراسة من سابقه كما أن هذا الجهاز لم يكن أقل شراسة عن جهاز الجستابوالألماني المرعب في عهد هتلر".

نفذ ستالين خطة الإصلاح بالكرباج والنار فأجبر الملايين على العمل في المزارع الجماعية التي صادرتها الدولة وذلك نظير لقمة العيش بما

فيهم الأطفال والنساء فلقد اعتقل ستالين ٣٥ ألف مهندس بتهمة إلحاقه التلف ببعض الآلات وإحداث خسائر مادية بالمصانع وقدموا للمحاكمة في كولمنس بموسكووصدر ضدهم الحكم بالقتل رمياً بالرصاص بل قام بمذبحة الأطباء والتي راح ضحيتها الملايين من أبناء الشعب السوفييتي، لقد أعمل ستالين في الشعب السوفييتي القتل الجماعي كما لم يرحم المرأة والأطفال فأخضع المرأة لنفس قوانين العمل الإجبارية الخاصة بالرجال حتى أن العاملات في المصانع كن يجبرن على قضاء وقت إضافي في العمل مما اضطر المرضعات منهم لتفريغ صدورهن من اللبن خلال فترات العمل وبذلك اندمجت الأمومة مع الخدمة والسلطة.

لقد كان ستالين يردد "أن العجة لا تصنع إلى بتكسير البيض" فكسر كرامة الشعب وذل وقهر الإنسان السوفييتي.

"بعد أن ركل بيريا ستالين برجليه تفتحت عيني ستالين ونظر إلى بيريا فركع ساجداً يقبل يده ويدعوا له بالشفاء ويتوسل أن يقوم ستالين مرة أخرى.. قمة النفاق وفي الساعة التاسعة والدقيقة ٥٠ من ليلة الأربعاء فارقت الروح الجسد ومات ستالين الذي كان يطلقون عليه فخر العالم ونوره وضميره وأنه مشعل النور لهداية النوع الإنساني كله.. وأنه خالق السعادة والنعمة وأنه النسر المحلق فوق سماوات النور.. مات ستالين وبصق على وجهه أقرب النّاس إليه لافونت بيريا وبعد ست ساعات صدر البلاغ الرسمي بوفاته..

وعقب ذلك حوادث غريبة فلقد اختفى وزير الصحة ترتيكاوف دون أن يترك أثراً له كما اختفى الجنرال بوسكربيبشيف رئيس سكرتارية ستالين الخاصة وهوالذي كان يعهد إليه بعمليات التطهير كما تخلف ابنه

فاسيلي عن الاشتراك في جنازة والده أيضاً اختفى قائد حامية الكرملين وهوالجنرال سبيرودوتف وأيضاً قائد حامية موسكونفسها أما لافونت بريا رئيس جهاز الرعب الستاليني أخذ يمسك كل الخيوط في يده. . فبعد ٧٥ ساعة أحكم بريا قبضته على موسكو. . وبدأت حلقة أخرى من الصراع على السلطة بين بريا وأعضاء الحزب حتى انتزعها منه خونتسيف". كما حدث بين (لينين وستالين) وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد.

فبعد وفاة لينين في سنة ١٩٢٤ خلف ستالين ولم يأخذ بوصية لينين واستطاع ستالين أن ينضم إلى عضوين آخرين خطيرين هما كامينف وزيتوفيف واستطاع هؤلاء الثلاثة أن يتخلصوا من تروتسكي وزير الداخلية.

ثم بدأ ستالين يتخلص من كامينيف وبعده زيتوفيف إنه الذئب ستالين الذي لا عهد له ولا وفاء لأي أحد إنه من فصيلة الذئاب التي تعشق رائحة الدم فالغدر دينها وعقيدتها.

وبعد أن تخلص ستالين من هذين الآخرين، انفرد بالسلطة وفي سنة ١٩٣٠، بعدها أصبح ستالين هوالحاكم الأوحد للاتحاد السوفيتي وقام ستالين منذ ذلك الوقت بتصفيات دموية ومن أوائل أعماله التصفية الجبرية التي قام بها ستالين اغتياله لسرجيكيروف أحد مستشاريه في أول ديسمبر عام ١٩٣٤ ومن المعروف أن ستالين هوالذي أمر بالتخلص منه ووجه ستالين تهمة الخيانة العظمى لكل زعماء الثورة الشيوعية منذ أيام لينين وتخلص منهم وبعضهم اعترف علناً بهذه الجريمة.

وفي سنة ١٩٨٣ أعدم الرجل الذي كان مسئولاً عن كل التصفيات الجسدية واسمه "ياحودا" وكذلك الذي خلفه في هذا المنصب واسمه

نيروف وقد أعترف أيضاً بجرائمه علناً وانتقلت التصفيات الجسدية بعد كوادر الحزب الشيوعي إلى القوات المسلحة وقد وصف ستالين بأنه قتل من الشيوعيين أضعاف ما فعل القيصر؟ ومن السخرية حقاً أنه في أثناء هذه التصفيات الدموية قدم ستالين دستوراً ديمقراطياً للاتحاد السوفيتي.

وفي عهد ستالين فرض على الشعب الروسي نظام العمل الجماعي الإرهابي أي نوع من السخرة وبأمر ستالين في سنة ١٩٣٠ وما بعدها قتل أكثر من ٣ مليون فلاح جوعاً أوفي السجون.

وكان لستالين حياة عائلية غير ناجحة تزوج سنة ١٩٠٤ ولكن بعد ٣ سنوات ماتت زوجته بالسل وكان لهما ولد واحد هويعقوب اعتقله الألمان في الحرب العالمية الثانية وقد أعلن الألمان عن استعدادهم لمبادلته بعدد من الأسرى ولكن ستالين رفض فمات يعقوب في أحد سجون ألمانيا وتزوج ستالين مرة أخرى عام ١٩١٩ وقد أجبرها على الانتحار وأنجب من الزوجة الثانية ولداً أصبح ضابطاً في سلاح الطيران السوفيتي مخموراً مدمناً توفي عام ١٩٦٢.

ومن أهم معالم شخصية ستالين أنه كان شخصية دموية لا تعرف الرحمة وكان أيضاً يتشكك في كل إنسان وكان في غاية الحيوية وعقليته جبارة فهوإحدى العبقريات الشريرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير

صدق الله العظيم

حول الطاغية إلى شهيد

إعدام صدام حسين

طاغية العراق

مشنقة العار أشعلت النار



كان المشهد الأخير في حياة صدام حسين طاغية العراق بمثابة طلقة نارية خاطئة حولت الفرح إلى مأتم كبير. . وتبدلت الزغاريد بالصراخ والعويل وحلت الأحزان مكان الأفراح في القلوب وتحول الطاغية إلى شهيد والسفاح إلى بطل مجيد. . يالها من أقدار مكتوبة في لوح محفوظ من زمن بعيد !

إنه مشهد رهيب أشد رهبة من كل المشاهد الأخيرة التي تكون في حياة الطغاة. . في فجر يوم ٣٠ ديسمبر عام ٢٠٠٦ وفي الساعة السادسة وعشرة دقائق العالم الإسلامي كله يلبي ويكبر لبيك اللهم لبيك. . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، ٥ مليون مسلم على عرفات وفي أول يوم لعيد الأضحى يوم التشريق. . يوم الذبح. . يوم النحر الأعظم نحر نوري المالكي رئيس وزراء العراق وأعوانه موفق الربيعي مستشار الأمن القومي العراقي وجلاديهم صدام حسين رئيس العراق الأسبق المسمى بطاغية العراق استغرق المشهد ٢٥ دقيقة لكن الوفاة وصعود الروح من الجسد لم يستغرق سوى ١٠ ثوان وفقاً لما صرح به موفق الربيعي مستشار الأمن القومي العراقي والذي حضر عملية الإعدام حيث قال أن صدام مات سريعاً جداً وظل جسده معلق في حبل المشنقة لمدة ٥ دقائق تساقطت قطرات دمه على المقصلة وتكسرت عظام عنقه. . لكن لماذا سال الدم؟!

كان المشهد الأخير في حياة صدام حسين من أغرب المشاهد وأكثرها إثارة فهوالمشهد الذي تم تصويره بكاميرات المحمول وتم بث المشهد عبر القنوات الفضائية وهنا نرى كيف أن الضغط على زر المحمول أولمسة زر المحمول كانت هي الطلقة النارية التي حولت عملية إعدام صدام حسين

إلى مأتم عربي وإسلامي كبيرين حيث ثارت مشاعر الغضب وتفجرت في عروق كل عربي وكل مسلم وخصوصاً أن التوقيت هوأول أيام عيد الأضحى. . عيد الفرحة. . عيد السرور والتهنئة عيد الأضحية والفدية ولقد حرم الله القتل في هذا التوقيت لكن الشيعة الصفويين أرادوا أن يقولوا لأهل السنة نحن نحتفل بذبح ونحر الطاغية ليكون عيداً لنا لا لكم انقسمت الأمة العربية على نفسها يوم النحر وكأنها نحرت نفسها وفصلت رأسها عن جسدها حيث رفض الحكام العرب التوسط لدى الأمريكان للعفوعن صدام حسين رغم توجه رشا أبوحيدر بنت شقيقة صدام إلى قناة الجزيرة تطلب من الحكام العرب التدخل لعدم إعدام خالها صدام حسين لكن لم يتحرك أحد من الحكام العرب والسؤال الأن هل حبل المشنقة عند الإعدام يتسبب في تساقط قطرات من الدماء؟

كل الأدلة تقول أن حبل المشنقة عندما تشتد أوصاله على العنق يمنع دخول الهواء إلى الحلق فيموت الإنسان لانقطاع الحبل الشوكي المتصل بمركز التنفس في المخ لكن أن تتساقط منه دماء فهذا لا يحدث إلا إذا كانت هناك آلة حادة في حبل المشنقة الذي يلتف حول الرقبة وهذا ما كان يفعله الطاغية روبسبير طاغية فرنسا حيث كان يأمر جلاديه بوضع سكين حاد جداً بحبل المشنقة لكي يجز الرقبة جزاً كما يجز حلاق الحيوانات شعرها جزاً أوكما يقوم الفلاح بحصد الزرع حصداً بالمنجل ومما يؤكد أقوالنا بأن شهوة الانتقام من صدام حسين جعلت أعدائه يتربصون به ويتفننون في طريقة إعدامه ليكون مشهداً فريداً وتراجيدياً وعالمياً أنهم وضعوا آلة حادة بحبل المشنقة لتجز رقبته جزاً كما الخروف المذبوح بآلة حادة فلقد نشرت صورته وبرقبته جرح غائر» وكالة بغداد ورويتر «

يوم ٢٠٠٧/١/١٠ بجريدة الأخبار الصفحة الثامنة أن تسجيل جديد ظهر على شبكة الإنترنت فيه جثة صدام حسين وهوممدد على نقالة وفي رقبته جرح بعد إعدامه وظهر في التسجيل الذي يستغرق ٢٧ ثانية وهوثالث تسجيل يظهر لعملية الإعدام من يزيح غطاء عن وجه حيث بدا على خده الأيسر آثار دماء وجرح غائر في عنقه وأظهر التسجيل رقبته ملوية بشدة وربما يكون جرح الرقبة من جراء عملية الإعدام وهي التي كان بها آلة حادة لكي تكون الرسالة واضحة وهي ذبح كل من تسول له نفسه أنه طاغية كما تذبح الخراف في عيد الأضحى، لكن الرسالة أغضبت العالمين العربي والإسلامي وأشعلت نيران الحسرة ومشاعر الندم على صدام حسين فتحول المشهد التراجيدي للإعلام صدام حسين من طاغية إلى شهيد حتى أن بعض علماء المسلمين أكدوا على أن صدام حسين شهيد لأنه أسير حرب كما أعلن الرئيس معمر القذافي رئيس دولة ليبيا أن صدام حسين أسير حرب وأعلن الحداد وتنكيس الأعلام لمدة ٣ أيام للجماهيرية الليبية وأعلن أننا نعيش في عالم بلا ضمير. .

لكن قبل أن نسرد ردود الأفعال العالمية والمتباينة حول هذا المشهد الرهيب لإعدام صدام حسين لابد أن تعرف كيف كان المشهد. .

بينما كان صدام حسين ينتظر ساعته الأخيرة في سجن كئيب تديره القوات الأمريكية بالقرب من أحد قصوره السابقة يردد دائماً بأنه لا يهاب الموت وقد زاره محامي الدفاع قبل إعدامه بساعات لأخذ متعلقاته الشخصية منها راديوصغير ترانزستور كانت الحكومة العراقية قد وافقت منذ شهور لتسليمه له كما زاره اثنان من إخوته غير الأشقاء وكان صامتاً لا يتكلم. . . إنها لحظات مهيبة ورهيبة أن يعرف الإنسان أنه سوف

يشنق بعد ساعات.. يا إلهي أي نفس هذه التي تعلم أنها ذائقة الموت بعد لحظات وتظل في رباطة جأش وهدوء وطمأنينة هكذا مثلما فعل صدام حسين الرئيس المخلوع في العراق..

اقتيد صدام حسين مقيداً بالأغلال إلى معسكر كامب كروبر التابع للجيش الأمريكي والذي كان ذات يوم مطاراً يسمى مطار صدام الدولي ببغداد في ساعة مبكرة من فجر يوم ٣٠ ديسمبر أول أيام عيد الأضحى وقد بدا عليه الهدوء ثم قام الجلاد بلف حبل المشنقة حول عنقه وجذب أحد الحراس ذراعيه وربطهما كما ربط رجليه برباط موثق كما قال سامي العسكري هوسياسي شيعي بارز ومقرب من رئيس الوزراء نوري المالكي والذي شهد عملية الإعدام ووصفه لنا.

بدا صدام حسين هادئاً للغاية ولم يرتجف وحينما رأى المشنقة قال يا الله ثم قال ساخراً منها «هيه هاى المشنقة..، مشنقة العار» ثم أخذ أحد الحراس يهتف « مقتدى.. مقتدى.. مقتدى» إلى جهنم « يا صدام» فرد عليه صدام هيه هاى المرجلة» ثم تعالى صوت آخر «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فقال صدام» أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ثم بدأ يكرر الشهادة» لكن أحد الحراس قال له «لقد جعلتنا نعيش في الفقر» فرد عليه صدام «لقد حافظت عليكم من الفقر ومن الفرس والأمريكان» فلسطين عربية وتحيا الأمة العربية).

صعد صدام حسين إلى المنصة بهدوء وكان قوياً وشجاعاً ولم يبد أي مقاومة ولم يوصي بأي شيء لكن البعض يقول أنهم أحرقوا وصيته ومذكراته – وقال البعض أن جلاد صدام هومقتدى الصدر زعيم الشيعة وهوالذي كان يرتدي قناعاً أسوداً تم وضع حبل المشنقة حول رقبة

صدام لكن صدام رفض وضع كيس الإعدام على رأس قائلاً أنه ليس بحاجة إليه. . أي شجاعة هذه أيها الرئيس أم أيها الطاغية. . إلى هذا الحد من الجرأة والشجاعة أم من القسوة والبجاحة لم أعرف أنا وكثيرين هل صدام حسين شهيد أم طاغية. . هل نفرح لإعدام طاغية أم نحزن على حاكم عربي مسلم أطلق الصواريخ على إسرائيل وقال لا في وجه أمريكا الطاغية التي تريد إقناعنا بأنها دولة ديمقراطية. . الحقائق أغرب من الخيال ذاته والمشهد الأخير لإعدام صدام حسين القراءة فيه صعبة للغاية.

الصور تتداعى أمامي بسرعة مذهلة كسرعة إعدام صدام حسين نفسه.

صور تحمل مشاهد الطاغية من الولادة حتى الإعدام

أخذت أعد وأحسب كم عدد هذه الصور الذي تلخص وتختصر مشهد حياة «صدام حسين» وإعدامه فوجدتها ٧ مشاهد مختلفة تبين لنا ما بين الولادة والإعدام كل مشهد يحتوي على عشرة سنوات في حياة صدام حسين ولكن لماذا ٧ مشاهد وليست أكثر أوأقل؟ لماذا لا تكون ١٠ مشاهد مثلاً أو٥ مشاهد. . لماذا هذا الرقم خاصة ؟

الإجابة جاءت إلى ذهني من حبل المشنقة الذي بلغ عدد لفاته ٧ لفات:

لقد جاء في مخيلتي أن كل دائرة من دوائر حبل المشنقة المعقودة تجز وتنحر كل عشرة سنوات في حياة صدام حسين فلوأنك تأملت عدد الدوائر المعقودة بحبل المشنقة لوجدتها ٧ دوائر أو٧ لفات كل دائرة أوكل لفة تضع البداية والنهاية لكل مشهد في حياة صدام حسين يضم ١٠

سنوات من عمره فعمره يناهز ٧٠ عاماً - ولوضممت السبع الدوائر الملفوفة في حبل المشنقة جميعها مع بعضها البعض لشكلت النهاية الأخيرة للمشهد الأخير في حياة صدام وهوما حدث في نهاية المشهد الأخير من إعدامه.

يوم العيد كنا نلعب ونحن أطفال لعبة التعلب فات فات وفي ذيله سبع لفات تذكرت هذه الأغنية وواحد منا يسأل أقرانه قائلاً له بالعامية «ما فاتش عليكم الديب العسراوي» لا أعلم معنى الديب العسراوي في ذلك الوقت لكن فهمت بعد ذلك أنه الذئب الأشول أي الأعسر أي الذي يسير مخالفاً لكل الذئاب فإذا ذهبت الذئاب إلى اليمين ذهب هوإلى ناحية الشمال... كما فعل صدام حسين الذي كان خارج الحظيرة الأمريكية من الحكام العرب، فنرد على صديقنا الذي سألنا عن الديب العسراوي قائلين له.. فات فات وفي ذيله سبع لفات.. ها هوالديب العسراوي وفي رقبته سبع لفات من حبل المشنقة المعقود حول رقبته.. والعالم كله يرى هذا المشهد الرهيب من خلال الفضائيات..

الدائرة الأولى في حبل المشنقة
من ٢٨ إبريل ١٩٣٧ - ١٩٤٧م

كانت ولادته صدمة كما كانت نهايته صدمة فلقد ولد صدام حسين في ٢٨ إبريل ١٩٣٧ ولكن الكاتب العراقي الدكتور حامد البياتي قد أظهر شهادة ميلاد موثقة بتاريخ ١ يوليو١٩٣٩ فلقد توفي والده حسين الماجد قبل ولادته بعدة أشهر حيث قتل على يد قاطع طريق مما أحدث صدمة في الأسرة التي تعاني من الفقر المدقع والبؤس الشديد فكانت

أمه (صبحة طفلح المصلات) فقيرة ومن أسرة فقيرة وأبوه حسين الماجد يعانون من الفقر الشديد وهذا ما جعل أم صدام حسين أوأخواله يختارون له اسم يحمل معنى العنف والقوة وهوالتصادم أوالصدام أوالصدمة فمنذ البداية أختير له اسم يتسم بالعنف فالنطق الصحيح لاسمه ليس صداماً بتشديد الدال ولكن صدام بضم الصاد، وهوما يعني التصادم أوإحداث صدمة!

وينبئنا اسم صدام عن خلفيته الطبقية، فأهل العراق من الطبقة الأرستقراطية السنية يطلقون على أبنائهم أسماء رفيعة معظمها قد تم تعريبه خلال فترة الحكم التركي العثماني، أما السنة من الطبقة المتوسطة فهم يبارون الطبقة العليا ويجتنبون الأسماء التي تتضمن معاني عنف، ومعظم أسماء الشيعة لها مرجعية دينية، بينما يتبع الأكراد والأقليات الأخرى تقاليدهم الخاصة، فقط الطبقة الدنيا من المجتمع السني والقبائل البدوية المرتحلة هم الذين يستخدمون أسماء تنبئ عن العنف والقوة.

اضطراب تاريخ الميلاد.. ماذا يعني؟

ويبدوأن الغموض لا يحيط فقد بشخصية صدام، ولكن بتاريخ ميلاده أيضاً، فطبقاً لما أعلنه صدام ذاته أنه قد ولد في ٢٨ إبريل ١٩٣٧، وفي ١٩٨٠ أعلن هذا التاريخ عيداً رسمياً في العراق، ولكن الكاتب العراقي الدكتور حامد البياتي قد أظهرَ شهادة ميلاد موثقة بتاريخ ١ يوليو١٩٣٩، ويؤكد ذلك العديد من العراقيين، وربما يفسر ذلك أن القرويين البسطاء غالباً ما يقومون بتسجيل تاريخ المولود بعدها بشهور ليبدوصغير السن، وربما يكون السبب هوتحرجه من زواجه ممن هي أكبر منه سناً، حيث تزوج من ساجدة التي ولدت عام ١٩٣٧.

والدته هي «صبحة طفلح المصلات»، كانت شخصية قوية جداً يقول البعض بأنها أقوى كثيراً من شخصية زوجها، عاشت في تكريت حتى وفاتها عام ١٩٨٢، وقد بنى لها صدام مقبرة فاخرة وأطلق عليها «أم المجاهدين».

أما ولده حسين الماجد فقد توفي قبل ولادة صدام ببضعة اشهر، وقد تعددت الأقاويل التي فسرت سبب وفاتهِ ما بين وفاة لأسباب طبيعية، أومقتله على يد قاطع طريق.

الحياة القاسية التي لا يخفيها صدام

عاش صدام مع أمه وإخوته في بيت بسيط في قرية الأوجة، يتكون من غرفة واحدة ذات أرض طينية، غير مزودة بالاحتياجات الأولية كالمياه الجارية والكهرباء، وقد حكى صدام لأمير اسكندر كاتب سيرته الذاتية: «لم أشعر أنني طفل أبداً، كنت أميل للانفراد وغالباً ما أتجنب مرافقة الآخرين»، ولكنه وصف تلك الظروف بأنها منحته الصبر والتحمل والاعتماد على الذات.

ومن ضمن ما حكاه صدام لإسكندر أنه عاش حياة شقية اندفع إليها بسبب الفقر، كان يبيع البطيخ في القطار الذي كان يتوقف في تكريت في طريقه من الموصل إلى بغداد كي يطعم أسرته، وتروي حكايات أخرى بأنه كان يمسك بعصا حديدية ليقتل الكلاب الضالة في الطريق.

انتقل صدام للعيش مع خاله خير الله طفلح عام ١٩٤٧ الذي كان يعمل مدرساً في قرية الشاويش بالقرب من تكريت، وقد التحق صدام بالمدرسة في سن الثامنة أوالعاشرة، وقد سبب ذلك له معاناة شديدة

بسبب سخرية رفاقه منه بسبب كبر سنه عنهم، ولكن صدام اشتهر بأن له ذاكرة قوية، وبشكل خاص ذاكرة بصرية.

وتنبئ صورتان قد بقيتا من هذه المرحلة عن صبي له وجه مستدير، وشعر ناعم مستقيم، وأذنان كبيرتان، وعينان صغيرتان ثاقبتان، وتعبير بائس بعض الشيء على وجهه، وفي سن الخامسة عشرة تحول هذا المظهر لتظهر الصور شاباً وسيماً أكثر هدوءاً وسعادة بابتسامة جذابة ووميض في عينيه الصغيرتين، بينما يرتدي رداءاً عربياً تقليدياً.

وفي رواية أخرى تقول ولد صدام حسين في يوم ما في عام ١٩٣٧ في بيت خاله خير الله طفلح في ناحية تكريت التي كانت تعود إدارياً إلى قضاء سامراء، وحيث أن سجل نفوس المواليد الجدد في العراق لم يكن دقيقاً في أغلب القرى والمدن حيث يتوانى الأهل في تسجيل أبنائهم ويتركون الأمر غالباً للقابلة التي تقوم بعملية التوليد إذا كانت قابلة مأذونة تشعر بالمسئولية في التسجيل، أما إذا كانت الولادة تتم بواسطة عجائز القرية أوالمدينة الأميات كما هي الحال في ولادة صدام فإن تسجيل الطفل في سجل النفوس قد يأخذ عدة سنوات، لذلك لم تنص دفاتر نفوس الكثير من العراقيين على تاريخ محدد لميلادهم، علماً بأن الكثير من العراقيين المتحضرين يهتمون بهذا الأمر كثيراً «ويحتفلون سنوياً» بعيد ميلاد بناتهم وأولادهم، وهناك الكثير من الآباء الذين كانوا يتعمدون تسجيل أبنائهم وكأنهم ولدوا في سنة بعد ولادتهم الحقيقية بعدة سنوات لتجنبيهم الانخراط في الخدمة العسكرية في سن الخدمة العسكرية الإلزامية الحقيقي البالغ ثمانية عشر سنة وعاش صدام حسين حتى بلوغه العاشرة من عمره في قرية العوجة التي كانت ولا زالت قرية

للمجرمين واللصوص وقطاع الطريق، حيث انتقل بعدها إلى بيت خاله مرة أخرى حيث وفر له فرصة الذهاب إلى المدرسة الوحيدة في تكريت آنذاك.

لم ير صدام في طفولته غير الجرائم والسرقات والمعاملة العنيفة القاسية جداً من زوج أمه إبراهيم الحسن الذي كان من أسوأ رجال القرية حيث كان إبراهيم يتلذذ بضربه وتعذيبه قبل العشاء يومياً (بحضور والدته صبحه طفلح التي لم تكن تبدي اهتماماً) لذلك، مما حدا بصدام أن يحذوحذوإبراهيم الحسن حين استلامه وزمرته السلطة في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ المشؤوم، فأخذ يتلذذ بتعذيب السجناء السياسيين شخصياً قبل تناوله العشاء ثم تطورت هذه العادة السادية لديه فيما بعد حيث أخذ يتلذذ بمشاهدة عمليات التعذيب الوحشي للعراقيين المظلومين وهويشرب الويسكي ويأكل لحم الغزال ويدخن السيجار الكوبي، وذلك بواسطة تسجيلات الفيديوالتي يتبارى في تسجيلها له رجال أمنه ومخابراته واستخباراته العسكرية إثباتاً لشدة إخلاصهم له وللحصول على مكارمه ومناصب أعلى لأن هذه هي كفاءتهم الوحيدة المميزة للحصول على تلك المناصب، كما أكدت عشيقته اليونانية باريسولا لامبسوس (parisoula lampsos) التي هربت من العراق مؤخراً لوكالة أخبار أي بي سي في ٥/ ٥/ ٢٠٠٣ وكثير من العراقيين المقربين منه الذين هربوا من بطشه.

لقد ذكر أفلاطون أن الطاغية يطلق القوى اللاشعورية تسطير عليه حتى يكبر وتصبح هي البوصلة التي تتحكم في تصرفاته فإذا أردنا أن نحلل شخصية صدام حسين وهوصبي يمسك عصا حديدية يقتل بها الكلاب الضالة لوصلنا إلى نتيجة هامة جداً وهي أن صدام ولد طاغية

وأن القتل والسفك هي البوصلة التي كانت تحرك جميع سلوكياته. . فمنذ طفولته وهولا يعبأ بقتل الأنفس ولوكان صدام يستطيع أن يقتل نفوس بشرية وهوصبي لفعل ذلك ولكن الذي يستطيع أن يفعله هوقتل الكلاب الضالة في الطرقات العامة بالعصا الحديدية الغليظة مما جعل قلبه قاسياً وصلباً لا يتأثر بمنظر الدم ولا يهاب القتل وهذا ما جعله بعد ذلك يقفز إلى السلطة ويبيد ويقتل كل من يعارضه في السلطة.

الدائرة الثانية من حبل المشنقة
من ١٩٤٧ - ١٩٥٧

في بداية الخمسينيات انتقل صدام حسين لكي يعيش مع خاله خير الله طفلح المصلات في العاصمة بغداد وكان صدام في هذه المرحلة شاباً وسيماً مفتول العضلات حيث كان في العشرينيات من عمره وكان على علاقة قوية بأصدقاء خاله العسكريين وكان منظر هؤلاء العسكريين يعجبه جداً حتى أنه عندما وصل إلى السلطة كان لا يرتدي إلا البدلة العسكرية بعد ذلك اندمج في النشاط السياسي حيث التحق بحزب البعث المعارض للسلطة في العراق وبذل صدام حسين مجهودات غير عادية في الحزب فصعد نجم صدام حسين بسرعة مذهلة في الحزب وثار ضمن ثائرة الشباب علىَ الأوضاع السياسية المتردية في العراق ففي ذلك الوقت كانت العراق تحت النفوذ البريطاني حيث قامت ثورة بزعامة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ولكن سرعان ما قضي عليها بسبب الإنجليز التي وقعت مع العراقيين معاهدة «بورتسموث» وكانت شروطها مجحفة وظالمة للعراقيين فألغت بريطانيا هذه المعاهدة وعادت

إلى معاهدة ١٩٣٠ وقد منعت السياسة البريطانية العراقيين من المشاركة الفعالة في حرب فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨ كل هذا بلا شك كان يمهد لمزيد من السخط الشعبي وكان صدام حسين قد انخرط في العمل السياسي في حزب البعث وكان يعارض ساسة العراق في هذا العهد الملكي والذي دخل بالعراق في حلف بغداد الذي تكون من ٥ دول هم باكستان، إيران، تركيا، بريطانيا، والعراق يؤيدون التحالف والارتماء في أحضان الدول الغربية بقيادة السياسي الداهية نوري السعيد الذي كان يكره العرب ويقف بشدة ضد حركة القومية العربية وهذا يوضح لنا لماذا أتى بوش الطاغية هوالآخر بما يسمى نوري المالكي رئيساً للوزراء بعد صدام حسين الرئيس المخلوع لأن نوري المالكي هوالآخر ضد القومية العربية ليقول لنا أن التاريخ يعيد نفسه والأحداث تكرر نفسها بكل تفاصيلها ومن لم يتعظ من الماضي فهوغبي في هذا الوقت رأى صدام حسين وأعوانه ورفقائه أن العراق يغلي والغضب يجري في العروق حيث قبضت السلطات العراقية على كثير من الأحرار وتم وضعهم في السجون حتى امتلأت على أخرها والدستور لا يطبق والديمقراطية لا وجود لها على أرض العراق حتى أن أحد السياسيين البارزين والمعارضين في تلك الفترة خطب في ٢٥ يناير عام ١٩٥٨ في مجلس الأعيان العراقي قائلاً وهوتوفيق السويدي «أن الدستور العراقي بوضعه الراهن ليس دستوراً إنه أشبه باتفاقية أومعاهدة وأن تطور الزمن يقضي بتعديل الدستور إن سياسة العراق في ظل الدستور الحالي سياسة غير برلمانية، التقاليد الدستورية بعيدة عن طمأنة الناس، الحكومات تستقيل وتؤلف غيرها ولا يعرف أحد أسباب تعديل الوزارات والسياسة الاقتصادية عندنا

الفاشلة والسرقات منتشرة، الرشاوي شيء عادي.

هذه هي الأوضاع التي كان فيها العراق أيام شباب صدام حتى أنه اشترك في انقلاب ضد عبد الكريم قاسم طاغية العراق الذي قتل ٨٠ ألف روح و ٢٠ ألف مفقود و ٣٠ ألف معتقل وسجين وبعدها هرب إلى مصر بعد أن أعدم عبد الكريم قاسم كل من حاول الثورة ضده أمثال خالد الدليمي، مدحت إبراهيم جمعة، عبد الله الركابي وكل من ساهم في انقلاب ضده وسافر صدام إلى مصر هارباً من قاسم طاغية العراق وكان فائق السامرائي سفير العراق في مصر قدم استقالته احتجاجاً على ما يحدث من العراق وأعلن سفير العراق في مصر وعدد كبير من المسئولين استقالتهم من الحكومة وقال السامرائي إنه ينأي بنفسه أن يكون سفيراً لعصابة حمراء.

الدائرة الثالثة
في حبل المشنقة
وهي من عام ١٩٥٧ حتى ١٩٦٧
(القاهرة بعد إصابته وقاسم أيضا)

كان صدام يتخذ من عبد الناصر مثلاً أعلي له، يحاول تقليده ولم يُعرف عنه في هذه الفترة ميل لحياة الليل والسهر كما كان شغوفا بالقراءة ومولعا بالشطرنج.

الارتقاء البعثي.. والحلم بالرئاسة

التحق صدام بكلية الحقوق لدراسة القانون، ولكن انشغالاته السياسية دفعته لعدم استكمال دراسته، وبهروبه للقاهرة لم يتعرض

صدام للمحاكمات العلنية التي أجريت على المشاركين في محاولة اغتيال قاسم، خاصة أن قيادة الثورة بمصر تعاطفت مع هذه المحاولة.

وبينما كانت تتم تلك المحاكمات كان صدام يعيش في القاهرة في فرصة للتفكير العميق، فحين كان يحتسي الشاي في مقاهي انديانا وتريومف ظل يفكر في مستقبله السياسي، ويكتب رسائل لأسرته بشكل دائم.

احتفل صدام عام ١٩٦٢ بزواجه من ساجدة ابنة خاله التي كانت لا تزال في العراق في ذلك الوقت حيث أقام احتفالاً كبيراً لرفقائه المنفيين، وقد تم العقد عن طريق المراسلة، في تلك الأثناء كثف نشاطه في مكتب حزب البعث بالقاهرة، وسرعان ما انتخبه النشطاء السياسيون من زملائه، وأغلبهم من الطلبة عضواً في اللجنة القيادية لهذا الفرع.

كانت المخابرات المصرية تحاول السيطرة على صدام ورفقائه من العراقيين، لذا فقد خضعت شقته لتفتيش دقيق عدة مرات، وكان هناك سبب وراء سعي المخابرات المصرية لتفتيشه وهوتأييد قيادة حزب البعث في سوريا لانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦١ وربما يكون هناك سبب آخر وهوأنها كانت تبحث في شقته عن أسلحة بعد أن وصلتها معلومات عن اتصالات بين صدام والسفارة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٦١.

وبعد انقلاب ١٩٦٨، بدأ صدام حسين عضوالحزب البعثي ذوالثلاثين عاماً، يمثل أمل الشعب المرتقب في قيادة البلاد.

خطوة خطوة نحو الهيمنة

كان الجميع في اجتماعات حزب البعث يتذكرون مقولة صدام: «حينما نستولي على الحكومة سأحول هذا الوطن إلى دولة ستالينية»، وبالنسبة لمقاييس الانقلابات العسكرية التي تعتمد كثيراً على العنف، فإن انقلاب البعث ١٩٦٨ لم يكن حدثاً يذكر، ويرجع ذلك أساساً إلى أن عملاء حزب البعث من القادة العسكريين قد تركوا رئيسهم عبد السلام عارف دون أدنى مساندة.

ارتدى صدام البدلة العسكرية لملازم أول، واعتلى ظهر إحدى الدبابات لأول مرة في تاريخه - كما ذكر هوفيما بعد - وبمساعدة الحرس الرئاسي المتآمر استطاع البعثيون أن يتحركوا إلى المجمع الرئاسي في الثانية من صباح يوم ١٧ يوليو، واستطاعوا بسهولة دخول القصر لمواجهة عارف، كان المناخ العام في بغداد ينبئ بحدوث مثل هذا الانقلاب، لقد كان انقلاباً «أبيض» بشكل أوبآخر، وطبقاً لقادة الانقلاب فإنه قد تم إطلاق دورتين من النار فقط تهديداً للرئيس عارف، ولكن لم يحدث أي قتال.

مع تنصيب أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية بدأ صدام يجمع السلطة في يده بطريقة حثيثة، فحينما كان مسئولاً عن الأمن كان مسئولاً أيضاً عن إدارة الفلاحين، وسرعان ما وضع التعليم والدعاية تحت نطاق سيطرته، وما لبث أن تولى صدام رسمياً منصب السكرتير العام لمجلس قيادة الثورة في يناير ١٩٦٩، وبعد ذلك بعدة أشهر بدأ وصف صدام باسم السيد النائب.

الدائرة الرابعة في حبل المشنقة
من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٧

وفي ذلك الوقت كان القادة الكبار في حزب البعث سعداء بلعب دور الأب الروحي، وهوما سمح بأن تترك كل إدارة المشاكل لصدام وكذلك المسئوليات، فقد نصب صدام رئيساً رسمياً لحزب البعث الحاكم، وهوما تمكن معه في نهاية عام ١٩٧٠ أن يحتكر السلطة فعلياً في العراق.. تمهيداً للاستيلاء عليها نهائياً في يوليو١٩٧٩، حيث اضطر البكر إلى الاستقالة وتسليم كل مناصبه لصدام حسين، وقابله صدام بتحديد إقامته في منزله إلى أن توفي في أكتوبر ١٩٨٢.

كان صدام يعمل في ذلك الوقت من ١٤ إلى ١٦ ساعة يومياً، ومن بين أهم الأعمال التي لاقت ترحيباً من العامة والتي قام بها صدام في بداية توليه السلطة الإفراج عن آلاف المعتقلين، ومن الطريف أنه قال كلمة صاحبت هذا الحدث جاء فيها: «أن القانون فوق الجميع، وأن اعتقال الناس دون إعمال القانون لن يحدث ثانية أبداً»!!

ليس هذا فحسب بل عمد صدام إلى التقرب للشعب العراقي وللمواطن البسيط حتى وصفه أحد المعارضين الكبار بقوله: «لقد أبدى صدام تفهماً حقيقياً لأحوال الناس البسطاء أكثر من أي زعيم آخر في تاريخ العراق».

الدائرة الخامسة في حبل المشنقة
من عام ١٩٧٧ حتى عام ١٩٨٧

وهذه الفترة هي أسوأ فترات صدام حسين والذي زاد فيها ظلمه للشعب وطغيانه للعراقيين حيث قام في ١٩٨٢ بقتل ١٤٨ رجلاً وفتى شيعياً في بلدة الدجيل بعد ما حاول اغتياله أعضاء من حزب الدعوى الذي ينتمي إليه نوري المالكي رئيس الوزراء الحالي والذي رفض آخر استئناف لصدام قبل إعدامه قائلاً للعائلات التي قتلت أبنائها في الدجيل أن أي تردد في شنقه سيكون بمنزلة إهانة مضيفاً أن احترامنا لحقوق الإنسان يفرض علينا أن نعدمه ولن يكون هناك أي إعادة نظر أوتأخير في تنفيذ الحكم كما قام صدام في هذه الفترة أيضاً بقتل عشرات الآلاف من الأكراد في حملات إبادة تضمنت هجوماً شهيراً بالغاز السام على بلدة حلبجة عام ١٩٨٨ كما شهدت هذه الفترة الحرب مع إيران. (عن مجلة النيوزبوك News BOOK العربية ٩ يناير ٢٠٠٧)

ورغم أن المسئولين الأمريكيين يعلمون كل شيء عن نظام صدام حسين في تلك الفترة إلا أنها تغاضت عن أفعاله لدرجة أنه في عام ١٩٨٧ أطلقت إحدى طائراته المقاتلة صاروخاً على فرقاطة أمريكية في الخليج العربي وقتلت ٣٧ بحاراً تقبلت أمريكا اعتذار صدام حسين وتبريراته في هذه الحادثة وكانت أمريكا سعيدة جداً بقراره بالحرب على إيران واجتياح الجمهورية الإسلامية.

أيضاً في هذه الفترة اتهم عشرات الخصوم بالخيانة وذلك في مؤتمر لحزب البعث عام ١٩٧٩ وقد أجبروا الواحد تلوالآخر على مغادرة القاعة ومواجهة الإعدام الفوري وأخذوا يتوسلون إليه ويبكون ويصرخون لكنه

لم يرحمهم وجلس خلف المكتب يرتشف الماء ويدخن السيجار الكوبي ثم وزع شريط فيديوفي البلاد حيث تم تصوير عملية الإعدام لمعارضيه ومن المفارقات أن نفس اللقطات التي أذيعت يوم إعدامه حيث تم بث بعض اللقطات منه. . لكي يقول لكل من تسول له نفسه بالمعارضة بأن هذا هوالمصير الذي ينتظره كما استخدم الأسلحة الكيماوية في هذه الفترة ضد الأكراد وسحقهم بها. . . الجميع يعلم.

من من الناس ينسى المجرمين حسين وصدام كامل المجيد صهري صدام اللذين قتلا عشرات الآلاف من الشهداء أثناء وبعد ثورة الشعب المباركة التي انطلقت من البصرة في الأول من آذار ١٩٩١ في سبيل إنقاذ عمهما المختبئ في الجحور تحت الأرض، أوفي بيوت المواطنين عنوة كالجرذ المرعوب، حتى أنه قال لحسين كامل باكياً «انتهينا يا ولدي يا حسين، كما أعلن حسين كامل نفسه عند هروبه إلى الأردن في آب ١٩٩٥ أين حسين كامل وصدام كامل ووالدهم عم صدام ومئات من المجرمين الذين خدموا صدام حسين وخانوا شعبهم المظلوم ووطنهم؟ سيلتقون معه في الجحيم دون أدنى شك، خسروا الدنيا وخسروا الآخرة، فإلى جهنم وبئس المصير، ولنا أن نسأل هل هنالك بشر سوي يقوم بتيتيم أحفاده وقتل أزواج بناته كما يقتل الذباب ثم يعود لطلق عليهم تسمية شهداء الغضب؟ وهل يحق لمن يقتل في حالة غضبه عدداً من الناس بغض النظر عن خلفيتهم حكم دولة أم عليه أن يحجر ويقام عليه الحد للتخلص من شره؟ إن مقولة شهداء الغضب اعتراف من صدام نفسه بأنه قاتل يقتل على الشبهة كما فعل مراراً وتكراراً.

القائمة تطول وليس لها حدود فصدام حسين لا رحمة في قلبه ولا

أخلاق ولا مبادئ له على الإطلاق وليس له عواطف إنسانية ولا حيوانية اللهم إلا بما يشبع أنانيته وساديته ولؤمه فلماذا تدافعون عنه يا أجهزته القمعية؟ الجميع يعلم كيف بدأ صدام بتجنيد الساقطين أخلاقياً» ومن لا أب لَهم منذ استلامه الحكم ولا عتب على هؤلاء إطلاقاً، ولكن عتبنا على من سقطوا في حبائل ومغريات وترهيب وترغيب صدام حسين من أبناء العشائر من حزبيين ورجال أمن ومخابرات ومخبرين وهم كثر ونقول لهم أما كفاكم خيانة لشعبكم وكفركم بدينكم وجلب العار على ذويكم؟ ألا تفكرون بمستقبل عوائلكم وأولادكم؟ أم أن صدام حسين، الذي أصبحت أيامه معدودة، حولكم إلى أقسى من الوحوش مثله؟

وأخيراً تقول عشيقة صدام حسين عنه في المقابلة مع محطة abc ما يعرفه العراقيون الشرفاء جميعاً» وهوأنه كافر لا يؤمن بالله ولم يكن يقيم أي قدر من المحبة والاحترام لوالدته، ونضيف لقولها ما قلناه عنه سابقاً وهوأن صدام حسين لا يحب إلا شخصاً واحداً فقط اسمه صدام حسين، ويقول عنه صاحبه جيرونوفسكي المرتزق الروسي القومي المتطرف أنه يطيب له الالتقاء بصدام وشرب الفودكا معه وربما شاركه هذه المشروبات والحفلات الماجنة الكثير من أدعياء الدين والتدين في الأردن وفلسطين والإمارات العربية ومصر وإيران والمرتزقة الذين يظهرون دائماً على الفضائيات الخليجية وغير الخليجية وكل المتكالبين على شعبنا المقهور وسارقي اللقمة من أفواه جياعنا والدواء من مرضانا الذين يئنون على أسرة الموت، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدائرة السادسة من حبل المشنقة
من عام ١٩٨٩ - ١٩٩٩

ما إن انتهى صدام حسين من حربه مع إيران حتى فكر في غزوالكويت فلقد كان دعم الغرب له قد قوى من عزيمته ففرض نفوذه وسيطرته على المنطقة مقتنعاً بأن أمريكا سوف تدعمه فطارد أعداءه في الدول المجاورة وزاد من تأييده للقائد الفلسطيني ياسر عرفات الذي كان غالباً ما يعيش في بغداد ومع مضيه قدماً في برنامجه السرِّي لتطوير الأسلحة النووية هدد علناً بإحراق إسرائيل وفعلاً قام بضرب إسرائيل بـ ٣٩ صاروخاً أثناء حرب الخليج لكن بوش وجد أن في ذلك خطراً على إسرائيل فاتفق مع الغرب على عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ - لم يتأثر صدام حسين بمقتل الآلاف من العراقيين أثناء حربه مع إيران كما لم يتأثر أيضاً بمقتل الأطفال الكويتيين تحت عجلات دباباته. . لقد أعطى أوامره إلى قواته بسحق الكويتيين ونهب ذهبهم وكل ثرواتهم وأعلن أن الكويت هي المحافظة رقم ١٩ من أرض العراق. . لقد بلغ عدد الذين قتلهم صدام في الكويت عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وكانت جنوده تقتحم البيوت وتسبي النساء وتسفك الدماء.

الدائرة السابعة من حبل المشنقة
وهي من سنة ١٩٩٩ حتى فجر ٣٠ ديسمبر عام ٢٠٠٦
وهي لحظة الإعدام شنقاً لصدام حسين

إنها لحظة صعبة جداً لا يتخيلها أي إنسان ولا يتحملها أي من البشر . . كثيراً من الناس ماتوا وانتقلوا إلى العالم الآخر لكن دون علم بلحظة وفاتهم فيحصدهم الموت دون سابق إنذار ودون معرفة مسبقة .

وربما هذا يهون على النفس لحظة الموت . . ففي عدم معرفتك بها رحمة من الله عز وجل أما أن تساق إلى المشنقة وتعلم أنك ستموت بعد لحظات فهذا أمر لا تحتمله أي نفس بشرية . . يا للهول الذي رأيناه على وجوه من أقتيدوا إلى حبل المشنقة خارت قواهم وارتعدت مفاصلهم وارتبكت أوصالهم وسالت دموعهم وعلا صراخهم . . وشخصت أبصارهم . . وفتحت أفواههم من هول الموقف ورعب اللحظة . . لكن صدام حسين طاغية العراق حول مشهد إعدامه إلى ملحمة انتصار على جلاديه برباطه جأشه وقلبه الذي لم ينخلع من هول المنظر . . . كان من الممكن أن يطلب الصفح كما تقضي ضمانات حقوق الإنسان للذين يواجهون عقوبة الإعدام فالمادة رقم (٧) تقول «لكل من يحكم عليه بالإعدام الحق في التماس العفوأوتخفيف الحكم ويجوز منح العفو أو تخفيف الحكم في جميع حالات عقوبة الإعدام»[١] ولكنه رفض أن يطلب العفو والصفح على ما اقترفه من جرائم وشدد على محاميه أن لا يطلبوا من الحكام العرب التوسط لدى الإدارة الأمريكية بالعفوعنه

(١) منظمة حقوق الإنسان في مائة عام المستشار عمروجمعة

والصفح عنه بل زاره رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي في السجن وعرض عليه أن يطلب العفووالصفح وأن يختار بلد يعيش فيه باختياره أي منفى اختياري ويكون له رأي في حكم البلاد من بعيد ولكن صدام رفض بشدة بل قال لرامسفيلد قل لرئيسك الغبي جورج بوش أن صدام لا يهاب حبل المشنقة وأن من العار أن يحكم العراق الأمريكان وأعوانهم أمثال الجعفري وطالباني والمالكي.

أي قلب هذا يا طاغي العراق لقد ذكرت مجلة النيوزيوك النسخة العربية في عددها الصادر ٩ يناير ٢٠٠٧

«لقد بات من الشائع اليوم سماع العراقيين يتوقون ويشتاقون إلى النظام الذي فرضه حكمه الاستبدادي (أي حكم صدام حسين) وحتى بعض الأمريكيين يشاركونهم هذا الرأي فقد قال عضوفي وحدة العمليات الخاصة الأمريكية للبنوزويك بعد قتال صار في الفلوجة عام ٢٠٠٤ «أشعر أنه يجدر بنا إخراج صدام من السجن والقول له عذراً.. لم ندرك أنك كنت قاسياً إلى هذا الحد لأنك اضطررت إلى ذلك إن حكم هذا البلد يتطلب شخصاً قاسياً جداً أوشخصاً ذكياً جداً»

وقال الجندي أنه تلقى أوامر بعدم ذكر اسمه.

وهذا يدل على أن قلب الطاغية دائماً ما يكون قاسياً جداً جداً.. لا يشعر

بأنات الضعفاء وبكاء المساكين كانت أول لقطة في المشهد الأخير لطاغية العراق صدام حسين حينما عثر عليه مختبأ في حفرة تحت الأرض في ديسمبر ٢٠٠٣ وكان مظهره مزرياً للغاية أشعث أغبر ذقنه طويلة جداً شعر الرأس منكوش كأنه الشيطان، وقد صرح القائد أوديرنوقائد القوات

الأمريكية في العراق آنذاك لقد تم اصطياده مثل فأر ثم ظهرت صورة صدام على شاشات الفضائيات والأمريكان يبحثون في أسنانه عن شيء ما لكن الذي يردون أن يقولوه للعالم لقد وقع الأسد جريحاً وسوف نخلع أسنانه سنة وراء سنة وضرساً وراء ضرس ثم بدأت محاكمته علانية وقد أثارت محاكمة صدام ردود فعل عالمية، ففي المادة رقم (٥) م ضمانات حقوق الإنسان تقول «لا يجوز تنفيذ عقوبة الإعدام إلا بموجب حكم نهائي صادر من محكمة مختصة بعد إجراءات قانونية توفر كل الضمانات الممكنة لتأمين محاكمة عادلة مماثلة على الأقل للضمانات الواردة في المادة ١٤ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بما في ذلك حق أي شخص مشتبه في ارتكابه جريمة يمكن أن تكون عقوبتها الإعدام أومتهم بارتكابها في الحصول على مساعدة قانونية كافية في كل مراحل المحاكمة.

أما في المادة (٦) فتقول لكل من يحكم عليه بالإعدام الحق في الاستئناف لدى محكمة أعلى وينبغي اتخاذ الخطوات الكفيلة بجعل هذا الاستئناف إجبارياً وهذا ما رفضه نوري المالكي رئيس وزراء العراق حيث رفض آخر استئناف قدمه محامي صدام حسين كما أن القانون العراقي لا يجيز تنفيذ حكم الإعدام في أوقات الإجازات الرسمية وهذا ما حدث حيث تم إعدام صدام فجر أوّل أيام عيد الأضحى ورغم أن المادة رقم (٩) في مجموعة الصكوك الدولية والتي اعتمدها المجلس الاقتصادي والاجتماعي بقراره رقم ١٩٨٤ / ٥٠ المؤرخ الجمعة الرابع والعشرون من شعبان سنة ١٤٠٤هـ الموافق الخامس والعشرون من آيار / مايوسنة ١٩٨٤

تقول «حين تحدث عقوبة الإعدام تنفذ بحيث لا تسفر إلا عن الحد الأدنى الممكن من المعاناة ولكن الذي حدث أن شهوة الانتقام من صدام حسين جعلت أعدائه يثقلون عليه عملية الإعدام بشكل فظيع فمنهم من قال له «إلى جهنم» ومنهم من قال له «لقد أفقرتنا وجوعت شعب العراق» ومنهم من أخذ يهتف باسم «مقتدى. . مقتدى. . مقتدى» لكي يشفي غليله في صدام وهذا ما حول المشهد من موت طاغية إلى موت شهيد حتى أن بعض الكتاب والصحفيين قالوا. .

(عاش بطلاً ومات رجلاً «ففي جريدة الأسبوع المصرية خرج المانشيت الرئيسي»علماء الدين يؤكدون صدام شهيد» كما صرحت شقيقة صدام حسين (أم رشا) في حديث لمصطفى بكري أنهم ضربوه بعد الإعدام ونكلوا به أشد تنكيل، كل هذا جعل القلوب تتعاطف مع صدام بشكل رهيب وقالوا أنه لم يركع إلا لله وأخذوا يعددوا محاسن صدام حسين في العشر سنين الأخيرة من عمره وذكروا أن صدام قاد بصورة عملية المصالحة مابين البعث والإسلام تأكيداً على رسالة البعث ورفع شعار «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» حيث تم التأكيد على أن هذه الرسالة هي الإسلام وقد استعان الكاتب طارق عبد الحميد في مقاله المنشور بجريدة الأسبوع ٨ يناير العدد رقم (٥١٠) بقول الصحفي الأمريكي (راذر) الذي قال أن صدام حسين زاد تعلقه بالصلاة منذ أكثر من ١٠ سنوات حتى أنه كان يأمر أعضاء حزبه ووزرائه أثناء الاجتماعات بقطع اجتماعهم وقت الصلاة وها هوصدام حسين يقيم الحد الشرعي على العاهرات الساعيات إلى الزنا لكي يخلص بلاده من ذلك الشر المستطير كما أنه أمر بالحجاب لبنات جيش القدس وقدم لأسر الشهداء

الفلسطينيين رواتب مغرية ومكافآت مجزية كما أطلق سراح المساجين لكي يستعيدوا حياتهم مرة أخرى وذلك في ليلة النصف من شعبان وأن خطابات صدام حسين في الفترة الأخيرة منذ ١٩٩٦ صارت واضحة ومملوءة بالمصطلحات الإيمانية وعبارات التوكل على الله وطلب العون والمدد من الله والثقة في نصر الله قريباً إن شاء الله.

ونشرت الجريدة صورة لصدام وهويحج ويقف أمام الحجر الأسعد...

أما علماء المسلمين فقد تبادروا في أن صدام حسين مات شهيداً حيث يقول الدكتور عبد الرحمن العدوي عضومجمع البحوث الإسلامية

«أن من حاكموا صدام وأعدموه خارجون عن الدين وأن الرئيس صدام حسين هورئيس عربي مسلم لدولة مسلمة عربية وقد حكمها قرابة عشرين عاماً وكل إنسان له أخطاء وأعمال طيبة وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ومن فعل ذلك فحسابه على الله لقوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فعسى الله أن يتوب عليهم» صدق الله العظيم

فالذين يتولون الرئاسة لابد أن يؤخذ عليهم أخطاء لأن كل أبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وقد لوحظ في الفترة الأخيرة أنه كان يقرأ القرآن..

وما زال السؤال مطروحاً هل مات صدام شهيداً؟

لقد حسم الإجابة على هذا السؤال الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر الأسبق وأفتى بأن صدام حسين مات شهيداً كما جاء في جريدة الأسبوع المصرية المستقلة فقال:

علاقة صدام حسين في الفترة الأخيرة بالخالق سبحانه وتعالى كانت طيبة وأفتى المفتي الأسبق بجواز أداء صلاة الغائب على صدام لأنه ظل يدافع عن وطنه ضد الاحتلال الأمريكي وأنه في النهاية مسلم وأضاف أن الشريعة الإسلامية وضعت ضوابط للقصاص حيث تتم مراجعة الشهود أكثر من مرة بل ولم تثبت تلك الجرائم التي نسبت لصدام ثبوتاً يقينياً كما أنه لا يجوز العراق تحت الاحتلال الأمريكي محاكمة الرئيس صدام فهي محاكمة باطلة وما بني على باطل فهو باطل وأن الحديث الشريف يقول :ـ «ادرءوا الحدود ولو بالشبهات» وأيضاً من قتل دون ماله وعرضه فهو شهيداً.

أما الدكتور جمال الدين محمود عضو مجمع البحوث الإسلامية فيقول: أن صدام حسين شهيد لأنه كان يقاوم الاحتلال الأمريكي ضد وطنه وفسر الدكتور محمد رأفت عثمان عضومجمع البحوث الإسلامية وعميد كلية الشريعة والقانون السابق أن أمره مفوض إلى الله ما دام مسلماً يشهد الشهادتين أما الشيخ عبد الله مجاور أمين لجنة الفتوى السابق بالأزهر فقال أن صدام حسين مات شهيداً لأنه أعدم تحت يد الاحتلال وبأوامر من المحتل ولأنه أسير حرب.

وتقول المادة ١٣ من اتفاقية جنيف بخصوص معاملة أسرى الحرب:

يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات ويحظر أن تقترف الدولة الحاجزة أي فصل أوإهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدتها ويعتبر انتهاكاً جسيماً لهذه الاتفاقية وعلى الأخص لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أوالتجارب الطبية أوالعلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أولا

يكون في مصلحته وبالمثل يجب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات وعلى الأخص ضد جميع أعمال العنف أوالتهديد وضد السباب وفضول الجماهير كما تحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.

وعلى هذا فإن ما حدث لصدام حسين من سباب أثناء إعدامه فهومخالف بكل المقاييس للأعراف الدولية والإنسانية كما أن تدابير الاقتصاص وشهوة الانتقام لدى أعدائه من الشيعة عملاء الأمريكان حولت مشهد إعدام الطاغية إلى شهيد وجعلته بطلاً في أعماق التاريخ حتى أن رئيس الموساد السابق لا خرايم هاليفي قال

«أن إعدام صدام حسين يخلي مسرح التاريخ من شخصية بطل محبوب من جماهير العرب والمسلمين في أرجاء المعمورة وفي نظرنا نحن الصهاينة كان الرجل عدواً مريراً تجرأ على مهاجمة إسرائيل بالصواريخ في حرب الخليج الأولى وهدد بحرق نصف إسرائيل في إبريل ١٩٩٠ ونقل دعماً مالياً سخياً لعائلات الانتحاريين الذين نفذوا عمليات إرهابية مضرجة بالدماء على مدار فترة الانتفاضة حتى سقوط نظامه عام ٢٠٠٣ طبعاً يقصد أنه ساعد الانتفاضة والفدائيين الفلسطينيين»

وأضاف أنه قائد عسكري أسطوري يعرف كيف يصمد في وجه العالم بأسره.

الكلمات لا تنتهي عن هذا المشهد الأخير في حياة صدام حسين وردود الأفعال تباينت ما بين مؤيد ومعارض، وبين مسرور وحزين ما بين أنه طاغية أم شهيد.. لكن في النهاية نقول أنه مشهد مأساوي وتراجيدي بكل معاني الكلمة.

(هتلر)

«الزعيم النازي» أدولف هتلر

(أطلق النار على رأسه)



هو قائد حزب العمل الوطني الاشتراكي وزعيم ألمانيا النازية من الفترة عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٥ كان يشغل منصب مستشار ألمانيا ورئيس الحكومة والدولة.

وكان هتلر خطيباً مفوهاً وذا جاذبية وحضور شخصي قويتين ويوصف كأحد الشخصيات الأكثر تأثير في القرن العشرين.

ويرجع الفضل في انتشال ألمانيا من ديون الحرب العالمية الأولى وتشييد الآلة العسكرية الألمانية التي قهرت أوروبا فقادت سياسة هتلر التوسعية العالم إلى الحرب العالمية الثانية ودمار أوروبا بعد أن اشعل فتيلها بغزوه لبولندا وسقوط برلين في نهاية الحرب العالمية الثانية، مما جعله يقدم على الانتحار هووعشيقته «ايفا براوك» في ملجأهم «ببرلين» بينما كانت برلين غارقة في الخراب والدمار.

وقد روت ممرضته اللحظات الأخيرة في حياته في أول تفاصيل تنشر اللحظات الأخيرة قالت ممرضته التي لازمته في المخبأ المحصن تحت الأرض أثناء اقتراب قوات التحالف من برلين :ـ أن الدكتاتور الألماني «هتلر» كان منهاراً ويرتعش بشدة ويجد صعوبة في المشي قبيل انتحاره عام ١٩٤٥ في ٣٠ إبريل وقالت «ايرنا فليجل» ممرضته عمرها ٩٣ عاماً والتي تعيش في دار المسنين شمال ألمانيا في حديث أن الشيب الذي كسا شعر هتلر جعله يبدوأكبر سناً من عمره بحوالي ٢٠ عاماً وأضافت قائلة أن الزعيم النازي بدا منهمكاً على نفسه خلال الأيام الأخيرة ومضت قائلة كان يرتجف بشدة ويجد صعوبة في المشي، كما أن الجزء الأيمن من جسده كان مازال واهناً من محاولة الاغتيال التي بدأها ضباط ألمان في يوليوعام ١٩٤٤ وكان الضابط النازي قد وضع في العشرين يوليو١٩٤٤

شحنة ناسفة في غرفة عمليات هتلر بروسيا الشرقية وسرعان ما انفجرت ولم يصب هتلر بأذى وقد كانت المحاكم الصورية والإعدامات من نصيب الضباط المتآمرين وبعد سقوط برلين في أيدي الجيش الأحمر السوفيتي انتحر هتلر عن ٥٦ عاماً بإطلاق النار على نفسه فيما أنهت عشيقته «ايفا براون» التي كان قد اقترن بها قبل فترة وجيزة من انتحاره قد أنهت حياتها بكبسولة تحوي سم السيانيد وقالت «فليجل» في شأن انتحار براون قائلة أنها لم تكن لها أهمية ولم يتوقع أحد منها الكثير ولم تكن حقيقة زوجته بل عشيقته ووصفت الممرضة السابقة الوداع الأخير بين الزعيم النازي وطاقمه الطبي مساء التاسع والعشرين من إبريل وقبيل انتحاره قائلة خرج هتلر من غرفته وصافح الجميع باليد وتفوه بالقليل من الكلمات الودودة والنهي والأمر عند هذا الحد ومضت قائلة هي التي سمعت الصوت عندما أطلق «هتلر» النار على نفسه وتابعت قائلة وفجأة لم يعد للمقهور أي وجود لم أر جثمانه الذي نقل إلى الحديقة لقد كان له هالة من النفوذ والتأثير النافذ من حوله تشعر أينما كان لقد بدا الأمر غريباً بعد انتهائه.

يرجع البعض أن انتحار هتلر رئيس الحرس النازي حاول بعد هزيمة النازية الهرب واختبأ في الحدود فقبضوا عليه وحتى لا يسمحوا له بالانتحار قبل المحاكمة بدلوا كل ملابسه حتى لا يكون قد خبأ شيء ينتحر به وسجنوه مع ذلك تمكن من الانتحار.

يردد البعض أن سبب انتحار هتلر كان عندما وصله خبر مَفجع في مخبئه وهوموت صديقه الديكتاتور «موسوليني» ذلك الذي كان يحكم بالحديد والنار بعد ما ألقى القبض عليه مع عشيقته وأعدما رمياً

بالرصاص وألقيا في شاحنة إلى ميلانووعلقا من أقدامهما على أعمدة النور في الشارع الرئيسي حتى يستطيع كل إيطالي يود التأثر منهما أن يبصق عليهما وقد تم دفنهما في مقبرة المتسولين.

شعر هتلر بعد وصول هذه الأخبار السيئة إليه بأن أجله قد حان وأنه مقتول لا محالة فأصدر أوامره بإعدام كلاب الحراسة الخاصة به وقام بتقديم السم لهم جميعاً كما قام بتسليم السكرتيرين الخاصين به كبسولتين تحتويا على سم قاتل سريع المفعول وخيرهما في استخدامها إذا أرادا عند وصول البرابرة الروس كما كان يسميهم وأمرهما بحرق ما تبقى من أوراقه الشخصية وملفاته الخاصة.

لم يذق «هتلر» طعم النوم في تلك الليلة المشئومة وخصوصاً بعد علمه بأن الروس قد دهموا برلين عاصمة بلاده واحتلوا معظم أجزاء المدينة وفي نهار اليوم التالي بعد تناول «هتلر» وجبة غذاءه وبصحبته عشيقته «ايفابراون» التي عاشت معه سنين طويلة دون زواج ويزعم البعض «الرواة» بأن هتلر قد تزوجها في أواخر حياته وذهب معها إلى غرفته وكان يقف عند باب الغرفة الدكتور «غويلر» مستشاره الخاص وزوجته التي قامت بعد موت هتلر بقتل أطفالها الـ ٦ قبل انتحارها كما كان يقف معهم «بروهان» مساعد الدكتور وآخرون وغيرهم يتوقع حدوث شيء ما لم تمضي لحظات على وداعهم لهتلر ودخوله حجرته حتى سمعوا طلقة نارية واحدة لم تتكرر ثم خيم الصمت دقائق وكأنها دهر قرر الجميع الدخول إلى جناح هتلر بعد ما قاموا بطرق الباب عدة مرات دون أن يجيبهم أحد فاقتحموا الجناح ليجدوا هتلر ممدداً على الأريكة والدماء تنزف من فمه بغزارة وقد فارق الحياة بإطلاق الرصاصة

من مسدسه داخل فمه أما عشيقته «ايفا براون» قد انتحرت بابتلاع كبسولة السم سريع المفعول وماتت في الحال كانت الساعة تشير إلى ٣,٣٠ بعد ظهر الاثنين يوم ٣٠ إبريل عام ١٩٤٥ وقد كان عمر هتلر ٥٦ عاماً قضى منها ١٢ عاماً و٣ أشهر حاكماً لألمانيا ومستشاراً للرايخ الثالث أكبر قوة في العالم في ذلك الحين، والذي انهار بعد موته بأسبوع واحد وهرب أعضائه إلى جميع أنحاء العالم بأسماء مزورة خوفاً من المطاردة والاعتقال.

قام خادم هتلر المخلص «هانيز لينغ» وهوأحد قادة الحرس النازي بنقل جثمان هتلر وعشيقته بعد أن لفهما ببطانية عسكرية رمادية اللون وكان وجه هتلر قد تهشم تماماً من تأثير الطلق الناري، نقلت الجثتان إلى الحديقة ووضعتا في حفرة عميقة أحدثتها إحدى القذائف التي سقطت في اليوم المسابق لموت هتلر ثم صبوا الزيت عليهما وأشعلوا فيهما النار وبعدها ارتفعت أيدي الجميع بالتحية النازية المشهورة.

«هاي هتلر»

وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية الثانية.

مرض هتلر

تسعى مؤرخة أمريكية لإثبات نظرية سبق طرحها تقول أن تصرفات الزعيم النازي «أدولف هتلر» ربما تأثرت بإصابته بمرض الزهري ووصوله إلى حالة متأخرة كانت الشائعات كثيرة قد ترددت حول الحالة الصحية لهتلر من بينها إصابته بمرض الزهري الذي ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي وقد ألّفت المؤرخة الأمريكية كتاباً يحمل عنوان «عبقرية وجنون

وأسرار مرض الزهري. . ذكرت المؤرخة» هايدي آن أن الكثير من أعراض حالات الإصابة بمرض الزهري المتأخرة ظهرت على «هتلر» وأشارت من بين تلك الأعراض التهاب الدماغ والدوار والبثور التي تظهر على الرقبة وآلام الصدر واضطراب القلب.

كما ذكرت أن الزعيم النازي ظهرت عليه في الأعوام الأخيرة من حياته أعراض تدل على تدهور قدراته العقلية مثل الثورات العصبية التي كانت تنتابه من الاضطراب والهوس العقلي من الأمراض تظهر في حالات الإصابة المتأخرة بمرض الزهري. . كما قالت المؤرخة الأمريكية أن هناك أدلة على أن «هتلر» كان يتعاطى أملاح اليود وهي من العلاجات المعروفة لحالات الزهري المتأخرة لكن أملاح اليود تستخدم لعلاج أمراض أخرى مثل الذبحة الصدرية التي ربما كانت السبب وراء آلام الصدر التي أصابته، يذكر أن أهم الأدلة على المشاكل الصحية التي كان يعاني منها «هتلر» جاءت من الوثائق الخاصة بطبيبه الدكتور «ثيودر موريل» يذكر أن بعض المؤرخين اتهموا الدكتور «موريل» بالسبب في مرض هتلر ووصلت الاتهامات إلى حد القول أنه تعمد دس السم له وكان هتلر يعتبر أن مرض الزهري مرضاً يهودياً.

وقد عرض الزعيم النازي في كتابه الشهير «حياتي» أفكاره حول منع انتشار مرض الزهري وقال البعض أن هتلر كان يعتقد أنه ولد مصاباً بمرض الزهري، يذكر د. ريدليك أستاذ الطب النفسي وأمراض الجهاز العصبي بجامعة بيل الأمريكية أن يكون سبب ما يعاني منه «هتلر» من نوبات الصرع وآلام الصدر وضعف الإبصار هوخلل في جهاز المناعة يؤدي إلى التهاب الشرايين.

وإذا تحدثنا عن «من هوهتلر»

هوأدولف هتلر. . مواليد ٣٠ ابريل ١٨٨٩ إلى ٣٠ ابريل عام ١٩٤٥ بألمانيا قائد حزب العمل الوطني الاشتراكي وزعيم ألمانيا النازية من الفترة ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥ في الفترة المذكورة كان يشغل منصباً مستشاراً لألمانيا ورئيس الحكومة والدولة.

سنواته الأولى

ولد هتلر عام ١٨٨٩ في ٢٠ ابريل وضعت «كلارا هتلر» أمة طفلها «أدولف» الذي غير وجه الكرة الأرضية عندما اشتد عظمه. . كان أبوه «ألويس» موظفاً صغيراً بالجمارك وكان له ٥ أشقاء وشقيقات لم تكتب الحياة من بين الستة إلا لهتلر وشقيقه بولا. . كان هتلر متعلقاً بوالدته وشديد الخلاف مع أبيه مع العلم أنه ذكر في كتابه «كفاحي» أنه كان يكن الاحترام لوالده الذي كان يعارضه بشدة بسبب انخراط ولده هتلر في مدرسة الفنون الجميلة إذ كان أبوه يتمنى أن يكون «أدولف هتلر» موظفاً في القطاع العام ولحبه الرسم والفنون الجميلة جعلته يتمنى أن تحقق أحلامه في فن الرسم وكان في الثامنة عشرة من عمره يشارك في امتحان مدرسة الرسم.

لكن كانت رسومه تميل إلى الرسم المعماري إلى الحد الذي لم يؤهله للمشاركة في امتحانات المسابقات فكانت ضربة قاضية لطموحه الفني لأنه مقتنع تماماً أنه فنان موهوب ولذلك طلب إيضاحاً من مسجل الكلية الذي أكد فشله في امتحان الرسم. والذي أكد له أن الرسوم التي عرضها برهنت أنه لا يصلح لمزاولة فن الرسم وأن كفاءته اتضحت في

رسوم الهندسة المعمارية، هذا ما قاله وأكده أستاذه في أكاديمية الرسم عندما قال له لا شأن لك قط في أكاديمية الرسم وميدانك هوالهندسة المعمارية، مما اضطر هتلر إلى الرضوخ لحكم القدر وهوحزين لفشله في نيل شهادة التخرج الثانوية سيحول بينه وبين دخول مدرسة الهندسة المعمارية.

تمتع هتلر بالذكاء في حياته وقد تأثر كثيراً بالمحاضرات التي كان يلقيها البروفسور «ليولدبوش» المجددة للقومية الألمانية.

وفي يناير ١٩٠٢ مات أبوه ولحقته والدته في ١٩٠٧ وعاد هتلر ابن الثمانية عشر ربيعاً بلا معيل وقرر الرحيل إلى فيينا أملاً أن يصبح رساماً مكث على رسم المناظر الطبيعية والبيوت مقابل أجر يسير وكانت الحكومة تصرف له راتباً لأنه صغير السن وبلا معيل وتم رفضه من مدرسة فيينا للفنون الجميلة مرتين وتوقفت إعانته المالية من الحكومة وفي فيينا تأثر «أدولف هتلر» بالفكر المعماري للسامية نتيجة تواجد اليهود بكثرة في تلك المدينة مما زاد الحقد والكراهية لهم «اليهود» وقد دون هتلر في مذكراته أن مقدار كرهه ومقته من التواجد اليهودي واليهود بشكل عام.

وفي عام ١٩٠٣ انتقل «أدولف هتلر» إلى مدينة ميونيخ لأنه كان يتمنى الاستقرار في ألمانيا عوضاً عن الإقامة في الإمبراطورية المجرية النمساوية لعدم وجود أعراق متعددة كما هوالحال في الإمبراطورية النمساوية وباندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع هتلر في صفوف الجيش النازي وعمل كساعي بريد عسكري بينما كان الكل يتهرب من هذه المهنة ويفضل الجنود البقاء في خنادقهم بدلاً من التعرض لنيران العدوعند

نقل المراسلات العسكرية وبالرغم من أداء هتلر المتميز والشجاع في العسكرية إلا أنه لم يرتق المراتب العليا في الجيش وخلال الحرب كون هتلر إحساساً وطنياً عارماً تجاه ألمانيا ولكنه صعق عندما استسلم الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى لاعتقاد هتلر باستحالة هزيمة هذا الجيش وألقى باللوم على الساسة المدنيين في الهزيمة.

بنهاية الحرب العالمية الأولى استمر هتلر في الجيش الذي اقتصر عمله على منع الثورات الاشتراكية في ألمانيا وانضم هتلر إلى دورات التعليم والدعاية السياسية كان هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمة ألمانيا في الحرب، بالإضافة إلى سبب اندلاعها وتمخضت تلك الاجتماعات من إلقاء تلك اللائمة على اليهود والشيوعيين والساسة بشكل عام.

لم يحتج هتلر لأي سبب لاقتناعه بالسبب الأول لهزيمة ألمانيا في الحرب لكرهه اليهود وأصبح من النشطين لترويج أسباب هزيمة الألمان في الحرب ولمقدرة «هتلر» الكلامية فقد تم اختياره للقيام بعملية الخطبة بين الجنود ومحاولة استمالتهم لرأيه الداعي لبغض اليهود.

وفي سبتمبر ١٩١٩ التحق هتلر بحزب العمال الألماني الوطني وفي مذكرة كتبها لرئيسه في الحزب يقول فيها :ـ «يجب أن يقضى على الحقوق المتاحة لليهود بصورة قانونية كما سيؤدي إلى إزالتهم من كل بلاده بلا رجعة وفي عام ١٩٢٠ تم تسريح «هتلر» من الجيش وتفرغ للعمل الحزبي بصورة تامة إلى أن تزعم الحزب وغير اسمه إلى حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني أونازي بصورة متحضرة، فاتخذ الحزب الصليب المعلق شعاراً له وتبنى التحية الرومانية التي تتمثل في مد الزراع إلى الأمام.

ترقى «هتلر» أعلى المراتب السياسية في ألمانيا بلا دعم شعبي عمل «هتلر» على كسب الود الشعبي الألماني من خلال وسائل الإعلام التي كانت تحت السيطرة المباشرة للحزب النازي الحاكم فقد روجت أجهزة «جوزيف مويلر» الإعلامية لهتلر على أنه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادي والحركات الشيوعية إضافة إلى الخطر اليهودي ولكن لم تنفع معه الوسائل السلمية في الإقناع بأهلية هتلر في قيادة هذه الأمة فقد كان البوليس السري ومعسكرات الإبادة والتجهيز كفيلة بإقناعه وازدادت الأصوات المعارضة لأفكار هتلر السياسية أعتمد «هتلر» علي التصفيات السياسية للأصوات التي تخالفه الرأي وأناط بهذه المهمة الملازم «هتلر» وبموت رئيس الدولة «هيد نزع» في ١٢ أغسطس عام ١٩٣٤ دمج هتلر مهامه السياسية كمستشار لألمانيا ورئيس الدولة فتمت المصادقة عليه من برلمان جمهورية فاثيار وندم اليهود أشد الندم لعدم مغادرتهم ألمانيا قبل عام ١٩٣٥ عندما صدر قانون يحرم أي يهودي ألماني حق المواطنة الألمانية عوضاً عن فصلهم من أعمالهم الحكومية ومحالهم التجارية وتحتم على كل يهودي ارتداء نجمة صفراء على ملابسه وغادر ١٨٠,٠٠٠ يهودي ألماني من هذه الإجراءات وشهدت فترة حكم الحزب النازي لألمانيا انتعاشاً اقتصادياً مقطوع النظير وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشاً لم يترك مواطناً ألمانياً بلا عمل وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازي «هتلر» ترتفع إلى السماء وفي مارس عام ١٩٣٥ تنصل هتلر من معاهدة «فيرساي» التي حسمت الحرب العالمية الأولى وعمل على إحياء العمل بالتجنيد الإلزامي وكان يعمل إلى تشييد جيش قوي مسنود بطيران وبحرية يعتد بها وفي نفس الوقت إيجاد فرص

عمل للشباب الألماني وعاود هتلر رفض اتفاقية فرساي مرة أخرى عندما احتل المنطقة المنزوعة السلاح «أرض الراين» ولم يتحرك الإنجليز ولا الفرنسيين تجاه انتهاكات هتلر ولعل الحرب الأهلية الأسبانية كانت المحك للآلة العسكرية الألمانية الحديثة عندما خرق هتلر اتفاقية فيرساي مراراً وتكراراً وقام بإرسال قوات ألمانية لأسبانيا لمناصرة فرانسيسكوفرانكوالثائر على الحكومة الأسبانية وفي ٢٥ أكتوبر ١٩٣٦ تحالف هتلر مع الفاشي «موسوليني» الزعيم الإيطالي واتسع التحالف ليشمل اليابان، وهتغاريا، رومانيا، بلغاريا بما يعرف بحلفاء المحور وفي ٥ نوفمبر ١٩٣٧ عقد هتلر اجتماعاً سرياً مع مستشاريه الرايخ وأفصح عن خطته السرية في توسيع رقعة الأمة الألمانية الجغرافية وقام هتلر بالضغط على النمسا للاتحاد معه وسار في شوارع فيينا بعد الاتحاد كالطاووس مزهووسعيد بالنصر وعقب فيينا عمل هتلر على تصعيد الأمور بصدد مقاطعة سادتيلاند التشيكية والتي كان أهلها ينطقون بالألمانية ورضخ الإنجليز والفرنسيين لمطالبه لتجنب افتعال حرب وبتخاذل الإنجليز والفرنسيين استطاع هتلر أن يصل إلى العاصمة التشيكية براغ في ١٠ مارس ١٩٣٩ وببلوغ السيل الألماني الذي قرر الإنجليز والفرنسيون تسجيل موقف بعدم التنازل عن الأراضي التي منحت لبولندا بموجب معاهدة فيرساي ولكن القوى الغربية فشلت في التحالف مع الاتحاد السوفيتي واختطف هتلر الخلاف الغربي السوفيتي وأبرم معاهدة عدم اعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي مع ستالين في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ وفي سبتمبر ٣٩ غزا هتلر بولندا ولم يجد الإنجليز والفرنسيين بدأ من إعلان الحرب على ألمانيا.

وتحققت الانتصارات الخاطفة في السنوات الأربع اللاحقة للغزوالبولندي

وتقاسم بولندا مع الاتحاد السوفيتي كانت الآلة العسكرية الألمانية لا تقهر ففي إبريل ١٩٤٠ غزت ألمانيا الدنمارك والنرويج وفي مايونفس العام هاجم الألمان كل من هولندا، بلجيكا، كمسبورج، وفرنسا وانهارت الأخيرة في غضون ٦ أسابيع وفي إبريل ١٩٤١ غزا الألمان يوغوسلافيا واليونان وفي نفس الوقت كانت القوات الألمانية في طريقها إلى شمال أفريقيا وتحديداً مصر وفي تحول مفاجئ اتجهت القوات الألمانية جنوب الغرب وغزت روسيا في نقض صريح لاتفاقية عدم الاعتداء احتلت ثلث الأراضي الروسية والقارة الأوروبية وبدأ تشكل تهديداً قوياً للعاصمة الروسية «موسكو» وبتدني درجات الحرارة في فصل الشتاء توقفت القوات الألمانية وبدأ تشكل تهديداً قوياً للعاصمة الروسية موسكوفي القيام بعمليات عسكرية في الأراضي الروسية ومغادرة العمليات العسكرية في فصل الصيف في مقاطعة «ستاليفراد» التي كانت أول هزيمة يتكبدها الألمان في الحرب العالمية الثانية على صعيد شمال أفريقيا هزم الإنجليز القوات الألمانية في معركة العلمين وحالت قوات هتلر بين السيطرة على قناة السويس والشرق الأوسط ككل.

الانتصارات الخاطفة التي حصدها هتلر في بداية الحرب العالمية الثانية وبالتحديد الفترة الممتدة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ جعلت منه رجل استراتيجية الأوحد في ألمانيا وأصابته بداء الغرور وامتناعه من الإنصات إلى آراء الآخرين أوحتى نقل الأخبار السيئة وإن كانت صحيحة فخسارة ألمانيا في معركة وتردي الأوضاع الاقتصادية الألمانية وإعلانه الحرب على الولايات المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤١ وضعت النقاط على الحروف ولم يترك مجالاً للشك في بداية النهاية لألمانيا هتلر فمجابهة أعظم

إمبروطورية بالإمبراطورية البريطانية وأكبر أمة الاتحاد السوفيتي وأضخم آلة صناعية واقتصادية «الولايات المتحدة» لاشك تأتي من قرار فردي لا يعبأ بلغة العقل والخرائط السياسية وفي ١٩٤٣ تمت الإحاطة بحليف هتر الأوروبي «موسيليني» واشتدت شراسة الروس في تحرير أراضيهم المغتصبة وراهن هتلر على بقاء أوروبا الغربية في قبضته ولم يعبأ بالتقدم الروسي الشرقي وفي ٦ يونيو١٩٤٤ تمكن الحلفاء من الوصول إلى الشواطئ الشمالية الفرنسية وبحلول ديسمبر تمكن الحلفاء من الوصول إلى نهر الراين وإخلاء الأراضي الروسية من آخر جندي ألماني عسكرياً سقط رايخ الثالث نتيجة الانتصارات الغربية ولكن عاد هتلر للإطاله من مد الحرب لرغبته في خوضها لآخر جندي ألماني وفي نزاعه الأخير رفض هتلر لغة العقل وإصرار معاونيه على الفرار إلى بافاريا النمسا وأصر على الموت في العاصمة برلين وفي ٩ مارس ١٩٤٥ أمر هتلر أن تدمر المصانع والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات والاتصالات وتعيين «هنيرك هيمر» مستشار ألمانيا في وصيته كما قام بإغراق أنفاق مدينة برلين حيث كان يختبأ المدنيون ذلك لاعتبارهم خونة لعدم وقوفهم في وجه العدوالروسي على أبواب برلين وبقدوم القوات الروسية على بوابة برلين وبقدوم القوات الروسية على بوابة برلين أقدم هتلر على الانتحار وانتحرت معه عشيقته «أوزوجته» ايفا براون في ٣٠ إبريل عام ١٩٤٥ والتي كان قد تزوجها قبل انتحارهما بيوم واحد في ٢٩ إبريل وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية الثانية.

ورغم مرور ما يقرب من ٦٠عام على رحيل هتلر إلا أن كتابه بعنوان «كفاحي» بتوقيع هتلر يحصد ٤٣ ألف دولار ذلك الكتاب الذي كتبه في

سجنه عام ١٩٢٣.

كما نقلت وكالة «اسوشيتدبرس» أن الكتاب أخذ من أحد مكاتب الزعيم النازي هتلر في نهاية الحرب العالمية الثانية وكان هتلر قد كتب «كَفاحي» في أعقاب سجنه اختار هتلر عنواناً أولياً مختلفاً لكتابه هو«أربع سنوات من الكفاح ضد الكذب والغباء والجبن إلا أن دار النشر غيرته إلى كفاحي وطرح فيه أراءه حول نقاء العرق النازي والمسألة اليهودية والشيوعية الدولية وقد نشر الكتاب الأول في جزأين وقد بيع في مزاد بلوفررس الجزء الأول منه وصل بتوقيع هتلر وطبع الكتاب في ٥٠٠ نسخة وحملت صور تذكارية موقعة لهتلر فضلاً عن توقيع كلمة شكر وكانت معظمها قد بيعت كما استبدلت مدينة بافاريا منزل هتلر الريفي بفندق يفتتح في أواخر شهر أكتوبر فندق فخم في منطقة بافاريا الجبلية التي اشتهرت بوجود المنزل الريفي للديكتاتور الألماني هتلر والتي كانت السلطات البافارية فجرته عام ١٩٥٥ خوفاً من تحوله إلى رمز بالنسبة لمؤيدي النازية.. الفندق هومنتجع برفيسفاون» قد بني في الموقع نفسه الذي كان يحتله منزل هتلر على قمة أوبرسالزرغ» البافارية من جبال الألب الألمانية كان قرار بناء الفندق عام ٢٠٠١ آثار غضب مجموعات يهودية في العالم، واحتفظت لسلطات البافارية بملكية الأرض بعد زوال منزل هتلر ووضعت شروطاً لبناء الفندق إضافة إلى اتخاذ احتياطات لإبقاء المجموعات للنازية بعيداً وأعلن وزير المال البافاري أن الفندق سيفتح أبوابه لاستقبال ضيوفه في الأول من مارس المقبل ويقع الفندق على مساحة ٦٠ ميلاً من مدينة موينج وفي هذه المدينة من الجبل توجد بقايا قليلة من المباني القديمة بعدما دمرها قصف الحلفاء عام ١٩٤٥

خلال الحرب العالمية الثانية.

ولأن شخصية «هتلر» شخصية مكروهة لدى اليهود فقد اختار المخرج اليهودي «داني ليفي» فيلمه الجديد بعنوان «قائدي» اختار فيه تجسيد شخصية هتلر في ثوب كوميدي ساخر من خلال إظهاره في مواقف هزلية مضحكة بدا فيها عاجزاً عن الكلام ومدمناً على الكحول إلى الفظائع التي ارتكبها النازيون ارتبط ذكر هتلر بفظائع المحارق والملاحقات التي قام بها نظامه النازي ضد اليهود وغيرهم ولكن بعد مرور أكثر من ٦٠ عاماً على حدوث كل تلك الأعمال تجرأ المخرج اليهودي على تناول شخصية هتلر بطابع كوميدي ساخر ويرى «ليفي» مخرج الفيلم أن فيلمه «قائدي» الذي يبدأ عرضه في دور السينما الألمانية في ١١ يناير القادم يقوم ببطولة الفيلم الممثل الألماني «هيلفي شتايد» فالديكتاتور النازي يظهر في الفيلم كرجل عاجز يتبول بشكل لا إرادي كما أن الفيلم يصوره على أنه مدمن للكحول كما سلط المخرج ليفي الضوء على طفولة هتلر في إطار كوميدي وذلك من خلال التطرق إلى علاقة هتلر بوالده الذي لم يمنحه العطف وقال المخرج على هامش عرض الفيلم الخاص مررت بأزمات كثيرة تساءت خلالها إذا كنت أملك الحق في القيام بعمل من هذا النوع.

الجدير بالذكر أن المخرج «داني ليفي» السويسري الجنسية يقيم في العاصمة الألمانية برلين وقد حقق نجاحاً كبير أيضاً من قبل في فيلم له بعنوان «السيد زوكر» الذي اعتبر أول فيلم هزلي يهودي ألماني بعد الحرب العالمية الثانية.

النار تظل مشتعلة في جثته لمدة ٤ ساعات

لقد كان المشهد الأخير في حياة هتلر مشهدا مأساويا وملتهبا ومشتعلا ومحترقا، حيث ظلت النيران مشتعلة في جسده في ساحة المستشارية ببرلين بألمانيا مايقرب من ٤ ساعات متواصلة هووعشيقته إيفا براون التي إنتحرتِ معه بأخذ السم من أنبوبة وجدت مكسورة علي المنضدة المقابلة لمكتب هتلر.

بدأ المشهد في الثالثة ونصف من ظهر يوم ٣٠ نيسان عام ١٩٤٥ وإستمر حتي السابعة ونصف من مساء ذلك اليوم. . .

كان هتلر محاصرا في قصر الرئاسة ببرلين والحلفاء يزحفون ناحية القصر للقبض عليه ليكون أسيرا لدي قوات الحلفاء. . لكنه يرفض الأستسلام تماما. . فكيف يقع في الأسر وهوالجنرال العسكري الذي كاد أن يغزوالعالم. . . كل الذين حوله فروا وهربوا حتي أقرب القادة إليه وجد نفسه وحيدا، لم يجد سوي عشيقته إيفا براون هي التي أصرت أن تكون معه لحظاته الأخيرة إنها إيفا الدلوعة الجميلة كما كان يخاطبها هتلر في رسائله لها. كان دائما يراسلها ويقول لها وهوعلي الجبهة أثناء القتال.

حبيبتي إيفا الدلوعة.

إنني علي ما يرام، إطمأني فإني بخير ولا تقلقي علي. . إنني مجهد وأتمني أن أعود في القريب العاجل فأخذ الراحة والهدوء بين يديك وأحضانك الدافئة. . . إن واجباتي تجاه شعبي فوق كل إعتبار إن المخاطر والمشقات التي أتعرض لها لا تقارن بشئ أمام مخاطر ومأس شعبنا وجنودنا علي جبهات القتال أقدر لك محبتي ونصائحك لي وإني فعلا لفخور بأخلاصك الذي لا يحتاج إلي دليل. . . أرسلت لك البدلة

التي كنت أرتديها يوم المصيبة (محاولة أغتياله في ٢٠ تموز ١٩٤٤) لكن تأكدي أن العناية الألهية تحميني ومن كان يحظي بمثل هذه الحماية فلا يخشي ويخاف أعدائه «

حبيبك / أدولف هتلر

لقد تسللت إيفا حتي دخلت إلي قصر الرئاسة ببرلين وحتي وصلت إلي حبيبها المحاصر. . . وأعطته الرسالة وقالت له

إيفا براون : أنظر يا حبيبي

هتلر : ماهذه يا إيفا

إيفا : إنها البدلة التي أرسلتها لي مع هذه الرسالة

هتلر : لقد بدأ عليها القدم

إيفا : لكنها ستظل معي إلي الأبد. . . .

هتلر : لا تشغلي بالك بها يا إيفا فنحن في مصيبة أكبر من تلك المصيبة التي تذكرنا بها هذه البدلة.

إيفا : إن هذه البدلة لا تذكرني بمصيبة إغتيالك منذ عام مضي فقط

هتلر : إذا بماذا تذكرك يا إيفا

إيفا : عندما أرسلتها لي مع رسالتك الرقيقة. . . إنهمرت الدموع من عيني وكنت قلقة جدا عليك يا حبيبي حينئذ أمسكت قلمي وأخذت أخط لك رسالة ليست مكتوبة بأقلام من الحبر.

هتلر : إذن كيف كتبتها يا إيفا

إيفا : كتبتها بدمائي ودموعي. . . أتذكر كلماتها يا حبيبي

هتلر : طبعا. . طبعا. . لكن الموقف الذي نحن فيه الأن لا أستطيع أن أفكر إلا في الموت الذي يحاصرنا يا أيفا

إيفا : لقد جئت إلي هنا لأموت معك يا حبيبي

هتلر : بل إهربي أنت يا إيفا إن قوات الحلفاء تقترب من القصر ولابد من أن يطلقوا الرصاص علينا

إيفا : لن أتركك. . . مهما حدث يا هتلر. . لا أنس ما فعلته معي

هتلر : أنا لم لك شيئا يا إيفا. . لقد كنت أنانيا في حبي لك كل الذي أحتاجته منك أعطيتني أنت كل إحتياجاتي دون مشقة أوعناء. . . أعطيتني الحب. . . أعطيتني الدفء في أحضانك الجميلة. .

أما أنا لم أعطيك أي شئ. . أي شئ

إيفا : أنا لا أريد أي شئ سوي أن تبقي لي ومعي وفي أحضاني وبين يدي. . فقط هذا الذي أريده يا أدولف

هتلر : غريبة هذه الحياة يا إيفا. . تعطينا ما لانريده وتأخذ منا ما تشتاق إليه نفوسنا.

إيفا : ألم تقل لي قبل ذلك إن أعظم الأحلام تموت عندما تتحقق

هتلر : أجل يا أيفا. . . أجل إن الأنسان يظل يحلم ويحلم ويحلم وكل حلم يتحقق يموت ويولد حلم جديد ثم يموت ثم يولد حلم آخر ثم يموت ويظل الأنسان يتأرجح بقلبه وعقله بين الأحلام حتي تأتي النهاية. . . نهاية الحلم الكبير

إيفا : لا. . . لا. . لا تتكلم عن النهاية. . لا تتحدث عن الموت يا أدولف.

هتلر : تعتقدين في مثل هذا الموقف الرهيب. . القوات تحاصرنا وتتقدم والقاده هربوا مثل الفئران التي دخلت حجورها. . تعتقدين عن أي الأشياء نتحدث ونتكلم.

إيفا : (تأخذه بين ذراعيها).

نتحدث عن حبنا العظيم الأيدي. . . نتحدث عن عشقنا السرمدي فجأة تري رسالة علي المكتب وهي تمضي أدولف فتذهب وتأتي بها.

إيفا : ما هذه؟

هتلر : إنها رسالتك الأخيرة لي يا أيفا.

إيفا : وماذا كنت تفعل بها الآن ؟

هتلر : كنت أقرأها.

إيفا : لماذا وأنت كما تقول محاصر من القوات

هتلر : لأن بها كلمات هي الملاذ والملجأ. . كلمات هي الشاطئ والمرفأ، أجل يا حبيتي لقد قرأتها مرات كثيرة وسوف أقرأها لك الأن

«حبيبي / هتلر

إني حزينة وقلقة جدا خصوصا أني أعلم مدي المخاطر التي تتعرض لها. . لم أعد أحيا وأنا أعرف أنك في خطر رجاء العودة سريعا قبل أن أفقد عقلي بالكامل لغيابك إذا أذا أصابك مكروه لن أبقي بعدك علي قيد الحياة، منذ لقائنا ألأول وعدتك ومازلت عند وعدي معك حتي الموت فأنا لا اعيش إلا لأحبك»

إيفا

الآن وجودك بجواري هذا أكبر دليل علي أنك تحبينني.

إيفا : وغيلي راوباك.

هتلر : أتغارين من إمرأة أصبحت رمادا الآن.

إيفا : ربما هي ذهبت عن الدنيا لكن ربما يبقي حبها في قلبك.

هتلر : لقد إنتحرت غيلي منذ أربع سنوات يا إيفا. . ولم يعد في

قلبي سواك.

إيفا : وما الدليل علي ذلك؟

هتلر : الدليل علي ذلك هذه !

إيفا : وما هذه ؟!

هتلر : وصيتي بعد مماتي.

إيفا : هل من الممكن أن أطلع عليها ؟

هتلر : لقد أعطيتها لك لكي تطلع عليها يا إيفا

إيفا : « تقرأها بصوت عال »

(أوصي أنا أدولف هتلر زعيم ألمانيا بأن تؤول ثروتي كلها إلي الحزب النازي شرط أن يدفع لأيفا براون زوجتي المخلصة علي مدي حياتها مبلغا وقدره ألف مارك شهريا، كما أوصي بجزء غير ضئيل لأخي وأخواتي)

أدولف هتلر

هتلر : أيكفي هذا الدليل علي حبي لك يا أيفا ؟

إيفا : لكن أكاد لا أصدق نفسي ؟

هتلر : لماذا

إيفا : لأنني لست زوجتك !

هتلر : بل زوجتي وحبيبتي وحياتي

إيفا : لم يحدث أن كتبنا عقدا للزواج قبل ذلك يا أدولف

هتلر : خذي

إيفا : ما هذا

هتلر : عقد زواجنا

إيفا : متي حدث ؟

هتلر : ليلة أمس

إيفا : أين ؟

هتلر : هنا في مكتب الأحوال الشخصية . .

إيفا : وهل شهد أحد علي زواجنا

هتلر : أقرب أصدقائنا . . في إنتظارنا الأن . .

إيفا : أنها مفاجأة كبري يا هتلر

هتلر : كنت سأبلغك بنيتي هذه . . لولا محاصرة قوات الحلفاء لبرلين . . ولذلك جهزت كل شئ لك قبل أن أنتحر .

إيفا : لا . . لا لن تنتحر

هتلر : ألم أقل لك إن أكبر الأحلام تموت عند تحقيقها . . لقد كان حلمك الكبير أن نتزوج وعندما تزوجنا سوف تنتحر . . والأن

حينئذ قام الزعيم النازي بشد زناد مسدسه وصوبه ناحية رأسه وقال لأيفا أكتبي أيضا في وصيتي يا أيفا

« بما أنني خلال سنوات الكفاح كنت أعتقد بعدم تمكني من حمل المسئولية

في الزواج فقد قررت الأن وقبل إنتهاء هذه الحياة الأرضية أن أتزوج تلك الفتاة التي جاءت بمحض إرادتها إلي هذه المدينة شبه المحاصرة وبعد سنوات طويلة من الصداقة المخلصة من أجل أن تقاسمني المصير إنها بناء علي رغبتها تموت معي كزوجة لي . . فإرادتنا هي أن نحرق فورا

وفي المكان نفسه الذي قمت فيه طوال إثني عشر سنة بخدمة شعبي وذلك تجنبا لعار الأسر «

وأطلق الزعيم النازي الرصاص علي رأسه وقامت إيفا بكسر زجاجة السم وإبتلعتها ومات العشيقان مع بعضهما البعض ونقل الجثمانان إلي ساحة المستشارية حيث تم حرقهما معا بناء علي وصيتهما وإندلعت النيران في الجثمانين لمدة تزيد علي ثلاث ساعات أوأربع ساعات حتي أصبحتا رمادا منثوراً «

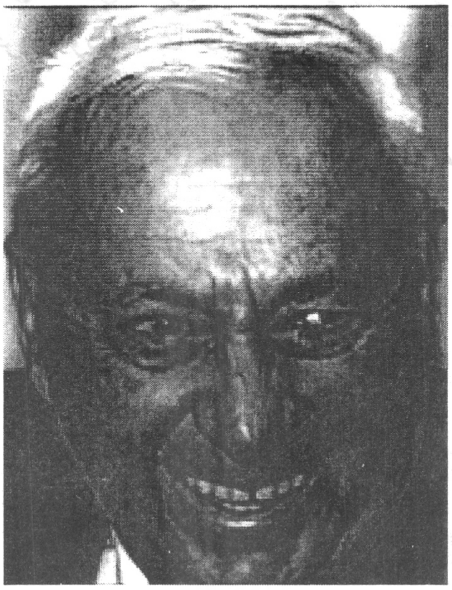
بسم الله الرحمن الرحيم

ولوتري إذ يتوفي الذين كفروا الملائكة يغربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق وذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد «

سورة الأنفال أية رقم ٢٥٠

(شارون)

من مجرمي الحرب
الملعونين في كل الأديان
حتي ديانة اليهود



ظهر كثير من السفاحين قبل الميلاد وبعده وكانوا يشكلون خطراً دائماً على البشرية على الكرة الأرضية فمنهم سواتن قبل الميلاد وكثيراً منهم بعد الميلاد مثل هيتلر وصدام حسين وشارون وغيرهم، ولوتحدثنا عن آخر سفاح في هذا العصر فنجد شارون السفاح القاتل مجرم الحرب ومصاص الدماء «دراكولا» ألقاب وصفه بها الساسة والدليل على ذلك عمليات الإبادة الجماعية والتدمير الشامل وعشرات الأحداث الدموية التي قادها منذ التحاقه بصفوف الاغانا قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره هذا القاتل السفاح شارون يرقد الآن في مستشفى هداسة بالقدس جثة هامدة في غيبوبة تامة ما يقرب من عامان.

ولأنه قاتل قتل الكثير من الأبرياء من الأطفال والشيوخ والزروع فقد دمر الكثير من المزارع وأهدر ثمارها تحت جرافاته التي نهى عنها الإسلام دمر الكثير والكثير بفلسطين الأرض المقدسة.

بداية المشهد قبل الأخير -

فقد تعرض شارون في أحد اجتماعاته بوعكة صحية شديدة مما استدعى نقله لمستشفى هداسة بالقدس حيث تعرض لصدمة عصبية استمر بغرفة الإنعاش فاقد الوعي وقال بعض المراقبون أن هذا الحدث يعتبر مفاجأ حيث أن شارون الذي يبلغ من العمر ٧٠ عاماً لم يسبق له أن شكا من أمراض أوأزمات صحية من قبل، ويرى البعض الآخر أن ما تعرض له رئيس الوزراء الإسرائيلي من ضغوط في الفترة الأخيرة من انشقاق وتفكك داخل حزبه القديم «الليكود» ثم تركه له وتكوين حزب جديد باسم

«كاديما» بالإضافة إلى قضية الفساد الكبرى التي تورط بها ابن شارون

الأكبر «عمري» أو «عومري».

لم يعي شارون أن لكل ظالم نهاية ولكنه سعد بخروجه من المستشفى بعد ٤٨ ساعة من إصابته بالجلطة في المرة الأولى وبادر شارون الملقب «بالجرافة» أو«البلدوزر» لبنيته الضخمة ممازحاً جمعاً من الصحفيين عند مدخل المستشفى وهويقول لهم إنكم افتقدمتوني.

وشكر شارون الفريق الطبي الذي أشرف على حالته مقدراً اهتمام ومشاعر شعب إسرائيل الذي غمره به، وقال شارون لقد تأثرت برد فعل المواطنين الإسرائيليين لقد تأثرت بمدى قلقهم علي، إنهم قلقون على صحتي.

وعلق شارون قائلاً للصحفيين علي التحرك والعودة إلى العمل والمضي قدماً وتوقع أطباء شارون أن يتعافى المسئول السبعيني بسرعة وكان رئيس قسم الأعصاب في المستشفى البروفسير تامير بن هور» ناقض التقارير التي قالت أن شارون كان فاقد الوعي عندما نقل على وجه السرعة للمستشفى وأنه كان مشوش الفكر لاحقاً.

ثم قال البروفسير رئيس الوزراء لم يفقد وعيه إطلاقاً ولم يكن مشوش الفكر. . عانى من صعوبة في التحدث أعاقت نقطة دماء متخدرة سيلان الدم في عروق الدماغ وأضاف الطبيب أنه تم تسييل التخثر الحاصل في الدماغ بواسطة الدواء، مؤكد أن ما أصاب شارون لن يسبب له أية أضرار كما لن يكون له أية آثار جانبية.

وتزامن رقاد شارون في المستشفى مع إعلان فوز نده «بنيامين نتنياهو» برئاسة حزب «الليكود» الذي انفصل عنه شارون قبل مرضه رغم أنه كان من بين الذين ساهموا في تأسيس الحزب فترة السبعينيات والذي أعلن

بعد ذلك «شارون» تأسيس حزب «كاديما» بعيداً عن القاعدة السياسية في الليكود التي عارضت الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يتم فرحة الظالم بالشفاء ولكنه عاد مرة أخرى للمستشفى فبعد أن قرر الأطباء إجراء جراحة عاجلة وهي عملية قسطرة لقلب شارون البالغ من العمر ٧٧ عاماً والذي يبلغ وزنه ١١٨ كيلوجرام وذلك بمستشفى هداسة بعين كارم وقال الأطباء أن إجراء عملية إصلاح فتحة في قلب شارون تهدف إلى منع تشكل جلطات مستقبلية.

والذي صرح طبيب القلب في مستشفى هداسة «حاييم لوتان» أن الفتحة في قلب شارون والبالغ قطرها ما بين مليمتر واحد ومليمترين عبارة عن فتحة قلب خلقية وهي توجد بنسبة من ١٥٪ إلى ٢٠٪ من الناس، وهذا تقرير طبيب القلب المعالج لحالة شارون ورأى الطبيب أنه لابد من إدخال ما يشبه المظلة في الفتحة الواقعة بين الأذنين الأيمن والأيسر بحيث تغلقها.

واستمر شارون يتناول عقار «كليكسين» الذي يعمل على ترقيق خلايا الدم مرتين في اليوم لفترة كبيرة وتضاربت أقوال الأطباء في توضيح الحالة الصحية لشارون كل برأي مختلف عن الآخر، فقال مساعد مدير مستشفى هداسة أن التحاليل والفحوص تظهر أن شارون يعاني من جلطة دماغية متوسطة.

ولأن الأطباء المعالجون ينفون فشلهم في تشخيص مرض شارون والذي تسبب في النزف الدماغي الذي أصابه نتيجة إعطاءه أدوية مسيلة للدم والذي أدى إلى زيادة النزيف بالمخ.

وقال مدير مستشفى هداسة في مؤتمر صحفي أن الأطباء كانوا على علم

بتشخيص دماغ رئيس الوزراء منذ دخوله المستشفى في المرة الأولى.

وتضاربت أقوال الصحف الإسرائيلية أن شارون كان يعاني من مرض في الأوعية الدموية للدماغ لم يتم تشخيصه بعد إصابته الأولى بالجلطة.

وأكد بعض الأطباء المعالجون لشارون أن الأطباء لم يشخصوا مرضه إلا بعد تصوير دماغه بالأشعة المقطعية عقب نقله إلى المستشفى.

وأضاف بعض الأطباء أن الدواء الذي وصف لشارون لعلاجه من جلطة دموية خفيفة أدى إلى النزيف الحاد.

ولم يتضح ما إن كان الفشل في تشخيص هذا المرض ناتج عن فشل في الإجراءات والفحوص الطبية بالمستشفى أونتيجة فشل وخطأ كبير ارتكبه الأطباء أنفسهم.

حياة شارون الفلاح

ولد شارون في ٢٧ فبراير ١٩٢٨ في كفار ملال تحت الاسم ارييل شايلرمان من أب بولندي وأم روسية في موسكووليس في فلسطين كما يشاع عنه في وسائل الإعلام العربية والشرقية، يسكن في مزرعة الجميز في النقب ولديه بيت في الحي الإسلامي في البلدة القديمة بالقدس أرمل ولديه ولدان عومري، وجلعاد قتلت زوجته الأولى مرغليت في حادث سيارة لقى ابن له يدعى غور حتفه برصاصة بارودة طائشة وهوفي الحادية عشرة من عمره في عام ٢٠٠٠ توفيت زوجته الثانية ليلى بمرض عضال، درس التاريخ والعلوم الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس «١٩٥٣ يحمل لقباً من كلية الحقوق في جامعة تل أبيب ١٩٥٨ إلى ١٩٦٢ يتكلم

العبرية والإنجليزية والروسية، مهنته مسجلة في الوثائق الرسمية للدولة الإسرائيلية «مزارع».

هذا عن شارون «رب العائلة» شارون المزارع الذي يحنوعلى الخراف ولكن شارون هوأيضاً رجل الدولة لابد من نظرة أخرى عليه كقائد وسياسي شارون بالنسبة إلى الإسرائيليين أقوى رئيس وزراء بعد ديفيد غوريون فهوبطل حروب اعتبر نفسه الرجل الذي سيكمل معركة استقلال دولة إسرائيل وذلك يعني بالنسبة إليه زيادة رقعة إسرائيل الجغرافية وأراد شارون أن يدخل التاريخ بزيادة تلك الرقعة من أجل ذلك غامر بالسلام وغامر بالمفاوضات حتى أنه أثار إعجاب الإسرائيليين.

شارون شخصية مثيرة للجدل في داخل وخارج إسرائيل فيراه البعض كبطل قومي ويراه آخرون عثرة في مسيرة السلام بل ويذهب البعض إلى وصفه كمجرم حرب بالنظر إلى دوره العسكري في الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢ شارك شارون في نشاط صفوف منظمة الهاجانه عام ١٩٤٢ كان عمره ١٤ سنة انتقل للعمل في الجيش الإسرائيلي ثم في حرب ١٩٤٨ ثم رأس قوة كوماندوز خاصة لمقاومة الفدائيين العرب اشترك في حرب ١٩٥٦ ثم في حرب ١٩٦٧ ثم ترأس الوحدة ١٠١ ذات المهام الخاصة وقد أبلت الوحدة ١٠١ بلاءاً حسناً في استعادة الهيبة لدولة إسرائيل بعد خوض الوَحدة لمهمات غاية في الخطورة إلا أن وحدة شارون العسكرية أثارت الجدل بعد مذبحة «قبية» في خريف ١٩٥٣ التي راح ضحيتها ٧ من المدنيين الأردنيين وبعدها عين قائد للمنطقة الجنوبية حيث عمل على إجلاء المئات من بدورفح لمع اسمه في حرب أكتوبر ١٩٧٣ بعد انهيار خط بارليف عندما قام بقيادة القوات الإسرائيلية

بفتح ثغرة في الدفاعات المصرية «الدفرسوار» استقال من الجيش وأصبح نائباً عن تكتل الليكود عينه رابين مستشاراً عسكرياً له مسئولاً عن مكافحة الإرهاب أعيد انتخابه في انتخابات عام ۱۹۷۷ وعين وزيرا للزراعة والاستيطان في حكومة «بيفن الأولى» وحدده على رأس وزارة الاستيطان بتسريح برنامج الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة وبعد انتخابات عام ۱۹۸۰ عين وزيراً للدفاع فكان المهندس الأول لعملية غزولبنان صيف ۱۹۸۲ ثم أقيل من وزارة الدفاع بسبب مسئوليته عن مجزرة صبرا وشاتيلا حيث ارتكبت الميليشيات المسيحية اللبنانية مجزرة فلسطينية في مخيم صبرا وشاتيلا في العاصمة بيروت وكانت الميلشيات اللبنانية الموالية للحكومة الإسرائيلية أخذت تعليماتها من وزير الدفاع الإسرائيلي لدخول المخيم وخرج تقرير للجنة التحقيق الإسرائيلي بتهمة وزير الدفاع «شارون» بسبب الإهمال وليس للتسبب في المجزرة وفي عام ۱۹۸۷ صدرت مجلة «التايم الأمريكية» بمقال يبين تورط شارون بمجزرة صبرا وشاتيلا وقام شارون برفع دعوى قضائية على المجلة ولم يكن بمقدور مجلة التايم تأكيد مزاعمها ضد شارون إلا أن المجلة ربحت الدعوى القضائية وفي بداية ۲۰۰۱ أقام أقارب ضحايا مخيم صبرا وشاتيلا دعوى قضائية في بلجيكا ضد شارون لتورطه في أحداث المجزرة إلا أن محكمة الاستئناف البلجيكي في يوليو۲۰۰۲ هذه المذبحة المروعة التي أرعبت العالم بل ورفعت أكثر من ربع مليون إسرائيلي إلى التظاهر في شوارع تل أبيب مطالبين بمعاقبة الجانيَ وفي فبراير ۱۹۸۳ تألفت لجنة التحقيق الإسرائيلية الخاصة وقدمت مطالبتها حول مسئولية شارون هذه المذبحة وطلب من شارون الاستقالة من وزارة

الدفاع فاستقال واستمر وزيراً للزراعة، استمر شارون رجلاً سياسياً مطالباً بالاستيطان وبطرد الفلسطينيين إلى خارج إسرائيل الكبرى.

ـ القتل هوالوسيلة الوحيدة

لقد آمن شارون بأن القتل هوالوسيلة الوحيدة المتاحة أمام يهود إسرائيل لبناء دولتهم وهوباشر ذلك منذ أن كان ضابطاً صغيراً نظم مذابح في السموع، وقبية، ونحالين في الخمسينيات حتى أطلق عليه شعوب الشرق والغرب صفة تطلق على شارون بالإجماع «القاتل».

هوالذي نفذ مذابح في غزة في السبعينات ونفذ مذبحة صبرا وشاتيلا في الثمانينات ونفذ المذبحة الشاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة طوال السنوات الخمسة الماضية ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٥ ويكفي أن نلقي نظرة على الضباط الذين اختارهم ليكونوا مساعدين له لنرى كيف أنهم جميعاً تخصصوا في القتل بداية من الجنرال دان إلى وزير الدفاع شاؤول موفاز كلهم يتباهون بأنهم رجال قتل وهم مستعدون للتصريح أمام الصحافة كيف صاغوا شعارات القتل والاغتيال وكيف شكلوا وجربوا الوحدات التي تولت عمليات التنفيذ وحدات «شيري» ودفدوفان، ووحدات المستعربين» قال أحدهم مؤخراً لقد قتلت من الفلسطينيين أكثر مما قتلت حركة حماس من الإسرائيليين معتبراً ذلك أمراً طبيعياً وكان هذا التصريح هومجرد تقرير عن حصيلة عمل شركة أومشروع تجاري ناجح وكما يفعل العلماء حين يكتشفون جرثومة جديدة ويطلقون عليها اسماً علمياً كذلك فعل شارون وضباطه ومساعدوه فهم أطلقوا على عمليات القتل والاغتيال وصفوا بالإسقاط في المكان ووصف الاعتراض باعتبار أنه لا يجوز لرجل متحضر أن يعترف بأنه قاتل وكأنهم أرادوا من وراء ذلك

تحويل القتل إلى علم.

هل لابد أن نتساءل.. هل نجحوا في ذلك؟ نجحوا بالتأكيد ويكفي أن يتابع تصريحات الذي اختاره شارون ليكون رئيس أركان الجيش أولاً ثم وزيراً للدفاع بعد ذلك حتى يعرف النجاح الذي تحقق في تحويل القتل إلى منهج ثابت «فشاؤول موفاز» يلقي يومياً بتصريحاته التي تشبه تصريحات قبضايات الأحياء أولئك الذي يتمنطقون بالسلاح ثم يقفون في وسط الشارع يهددون المارة والجيران إذا قمتم بعملية فدائية فسأدمر غزة إذا أطلقتم صاروخاً فسأدمر القطاع أما طائراته الإلكترونية التي تجوب السماء يومياً وتغتال الناس في بيوتهم أوفي سيارتهم فهويرى فيها عملاً طبيعياً عملاً مشروعاً لا يستدعي أي رد فعل من الفلسطينيين ولكن إذا مات إسرائيلي فإن القاعدة هي الرد والرد بعقاب جماعي أصبح بالنسبة لهم قانوناً مشروعاً تماماً كما هوالقانون الذي يجيز التعذيب وإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تجيز التعذيب بقانون وبهذا تتحول المؤسسة العسكرية كلها إلى مؤسسة تؤمن بالقتل.

لقد مارس شارون ومساعدوه القتل المنظم الجماعي والفردي وهدفهم كسر إرادة الفلسطينيين وكسر إرادة الانتفاضة الفلسطينية ودفع الفلسطينيين نحوالاستسلام السياسي نحو«الركوع» كما يقول الضباط الكبار في تصريحاتهم وكلما يئسوا من الوصول إلى لحظة كسر الإرادة هذه إزدادوا شراسة وقتلاً وعجزوا عن استخلاص الدرس الذي بلورته كل شعوب العالم في وجه الغزاة والمحتلين وقد أثارت سياسة شارون هذه غضب العالم باستثناء الإدارة الأمريكية ورجالها يرون أنهم دعاة سلام وحين قال استطلاع رأي أوروبي أن ٥٦٪ من الأوروبيون يعتبرون إسرائيل أكثر

دولة تهدد السلام في العالم غضب حكام إسرائيل ونعتوا الأوروبيون كلهم باللاسامية وبدأوا يروجون لرأي يقول بأن كل من ينتقد حكومة إسرائيل إنما هولاسامي يعادي اليهود جميعاً ولم ينجُ من هذه الحملة يهود من كبار الكتاب والصحافيين دافعوا عن إسرائيل طويلاً ولكنهم انتقدوا سياسة حكومة شارون ومساعديه.

فاتهموا باللاسامية وبنظرية «اليهودي الذي يكره نفسه» وما هي إلا فترة حتى خرجت سياسة القوة والقتل والاغتيال من إطارها العسكري إلى إطارها السياسي وبدأ ذلك أولاً مع خطة خارطة الطريق التي قتلها شارون في مهدها حين وضع أربعة عشر تحفظاً عليها يقول الكاتب الإسرائيلي عوفر اديرت يكفي أن تلقي نظرة على التحفظات الـ ١٤ التي طرحتها دولة إسرائيل على الخارطة لندرك كيف أن هذه الخارطة أعدت منذ البداية من أجل الفشل فقد منعت سلسلة التحفظات الإسرائيلية أي فرصة ملموسة للتقدم نحوالحل النهائي.

الجزار ينتقم

منذ التحاقه بصفوف الهاغانا قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره ولقد سجل باعتزاز في مذكراته أول مهمة أمنية أسندت إليه سنة ١٩٥٣ وكانت بفضل راعيه ومثله الأعلى «ديفيد بي كوربون» أورئيس وزراء لدولة إسرائيل واقتصرت المهمة على رصد عمليات التسلل التي يقوم بها الفلسطينيين عبر الشريط الحدود المحازي للأراضي الأردنية وعلى رغم صغر سنه فقد عينه بن لوريون قائداً لوحدة الكوماندوس ١٠١ التي تشرف على مراقبة تطبيق القرار المتعلق بهدنة ١٩٤٩ واستغل شارون

نفوذه كي يثبت لرئيسه أنه جدير بتحمل مسئولية حماية حدود الدولة الجديدة والرد على مقتل امرأة إسرائيلية وطفلها أم القائد الشاب بعملية انتقامية ضد سكان قرية «قبية» التي دمرت منازلها وقتل من أهلها العزل أكثر من ٦٩ شخصاً وبعد أن شق شارون مهمته بهذه المجزرة أمر أيضاً بنسف منازل قريتي خوسان، وشرافات مدعياً أنهما تمثلان خطراً محتملاً لكونهما يقعان قرب خط الهدنة.

شارون المحارب لم يكن غريباً أن ينتهي الأمر بشارون إلى الاستغناء عن الحزب الذي رباه وأعطاه ورفعه إلى أن يكون حاكماً شارون هوهولا يتغير طامع أوطموح وشخصاني في أبعد الحدود الشخصية وربما يحق له أن يحمل في ضميره ووجدانه هذا الحجم من الشهوانية فهوبالنسبة للإسرائيليين أحد أعمدة الهيكل لا يفوقه في الشعبية «موسى ديان» ذلك المحارب عنيد شجاع مغامر وخادع والحرب خدعة على أي حال بل في حرب ١٩٤٨ وبلغ ما لم يكن يبلغه سوى في حرب ١٩٥٦ وفعل المستحيل في سيناء ١٩٧٣ فلماذا لا يظن أنه داود الثاني ؟ حقق شارون ما لم يحققه سوى داود الذي انتصر على سوف، يلهب شارون مشاعر الإسرائيليين ويبعث في نفوسهم انتصارات ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢ ويعدهم بالمزيد إذا هم وقفوا إلى جانبه ودعموا ترشيحه وبرنامجه خصوصاً وأنه أحد أبرز أبطال هذه الحروب والانتصارات وإذا واجه شارون عقبات دولية أواعتراضات أمريكية أورفضاً فلسطينياً يلجأ كالعادة إلى إشعال المناطق الحساسة، فقد لجأ إلى افتعال عملية فدائية داخل إسرائيل كي يجعل منها حجة يقدمها لشعبه دليلاً على أن الفلسطينيين لا يريدون السلام، وقد يفتعل معركة حامية بين مزارع شبعا اللبنانية أومع

لبنان نفسه وهوقادر بما يملك من وسائل إعلامية دولية أن يبدوا وكأنه يرد العدوان عن الإسرائيليين وشعب إسرائيل وقد يسخن الجبهة السورية إلى درجة الغليان وقد يستفز السلطة الفلسطينية لكي ترفض له طلباً فيجعل من الحبة قبة فتبدوالسلطة معتدية وهي الضحية كذلك لكي يفوز في الانتخابات ولكي يحقق حلمه هوحب شعبه له والذي شعر بصدمة وقلق للجالية اليهودية الأمريكية بعد مرضه فقد تصاعدت الصلوات من الكنائس اليهودية في الولايات المتحدة الداعية لشفاء رئيس الوزراء الإسرائيلي «اريل شارون» الذي يرقد غائباً عن الوعي في مستشفى هداسا في القدس بينما أعرب قادة الجالية اليهودية عن قلقهم حيال المشهد السياسي غير الواضح في إسرائيل.

وتحدث حاخام الكنيسة في شارع «بارك افينيو» في نيويورك عن صدمته وقلقه مقارناً البلبلة التي أحدثها مرض رئيس الوزراء الإسرائيلي بتلك التي سادت بعد اغتيال اسحاق رابين عام ١٩٩٥، وقال «لنيكولن» الجالية اليهودية الأمريكية مرتبطة جداً بإسرائيل وقلقة على غرار السكان هناك دولة إسرائيل والشعب اليهودي تجاوزا الصعوبات من كل نوع وهذا مثل جديد الناس متألمون ويخشون المستقبل إنه شعور شبه عام.

وتؤيد غالبية الجالية اليهودية الأمريكية حكومة شارون والذي تحول من مهندس للاستيطان إلى خائن في نظر اليهود المتشددين ففي استطلاع للرأي أجرته اللجنة اليهودية الأمريكية في نوفمبر الماضي أيد ٦٧٪ الطريقة التي يدير بها شارون العلاقات مع السلطة الفلسطينية فيما عارضه ٢٦٪ وأظهرت استطلاعات عدة أن ثلثي هذه الجالية في معظمها تؤيد الإجراء التاريخي الذي تمثل في إخلاء قطاع غزة من المستوطنين

وقال كينيث باندلر المتحدث باسم اللجنة اليهودية الأمريكية اعتقد أن هذه المأساة تشكل صدمة في غير وقتها خصوصاً بعد التغيير الكبير في مواقف شارون السياسية ومقارنته لعملية السلام ونقل السلطة في قطاع غزة إلى الفلسطينيين وآفاق التقدم المستقبلي في الضفة الغربية في محاولة السعي إلى السلام مع جيران إسرائيل العرب وأضاف حتى منتقدوا شارون احترموه في نهاية المطاف لما قام به في غزة مفكراً في المستقبل ومجازفاً بحياته فقد تعرض لتهديدات بالاغتيال.

يقول «مورتون كلاين» رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا يظل شارون أهم جنرال أنجبته إسرائيل ومحارباً ناضل من أجل بقائها إلا أن قراره الانسحاب من قطاع غزة يبقى موضع انتقاد.

في نيويورك المدينة الثانية في العالم بعد تل أبيب من حيث الوجود اليهودي آثار الانسحاب من قطاع غزة بعض الاعتراض واستقبل شارون بمظاهرات في مايوالماضي حين زارها لعرض خطته أمام المنظمات اليهودية لكن هذه المظاهرات لم تنجح من جمع أكثر من بضع مئات من المعترضين.

قال القس» بات ربرتسون « أن الجلطة التي أصيب بها رئيس الوزراء الإسرائيلي اربيل شارون ليست سوى عقاب إلهي لانسحابه من غزة وتقسيمه أرض الله.

وقال القس المثير للجدل الذي عارض الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة أمام حشد من مشاهديه «الرب يقول هذه الأرض تعود ليّ ومن الأفضل أن تدعوها وشأنها» وتأتي التصريحات روبرتسون في الوقت الذي يتعلق فيه شارون بالحياة إثر إصابته بنزيف حاد في الدماغ حيث

يصارع الموت في غرفة العناية المركزة في مستشفى هداسا ويذكر أن الاتحاد المناوئ للقذف والتشهير انتقد في وقت سابق روبرتسون الذي حذر من عقاب إلهي على إسرائيل لانسحابها من غزة التي كانت تحتاج إليها إسرائيل منذ حرب ١٩٦٧.

وحول شارون قال القس أنه شخص محبوب للغاية وأنا حزين لرؤيته في هذه الحال إلا أنه عاد وقارن إصابته بالنزيف واغتيال الزعيم الإسرائيلي الراحل اسحق رابين الذي وقع اتفاقية أسلوللسلام التي منحت حكماً ذاتياً محدوداً للفلسطينيين توسع استيطاني.

أثناء مرض شارون شعر سكان معالية أدوميم أكبر تجمع استيطاني في الضفة المحتلة أنهم لم يتأثروا بالتغيرات السياسية بعد شارون الذي حماهم ورعاهم خلال السنوات الأخيرة وأكدوا أنهم سيواصلون توسيع مستوطناتهم.

وقال الناطق باسم بلدية المستوطنة «حزقي ريستان» أن هدفنا هوالتوسع نحن لا نخشى الزوال لكن إذا جاء رئيس وزراء عمالي بعد شارون ستتوقف مشاريع التوسع.

وأضاف أن شارون كان واضحاً في إفهام الجميع أن معاينة ادميم مقدمة ولا يمكن المساس بها كل وزارته تلقوا الأمر بتقديم تسهيلات لنا وأسهمت أسعار المساكن التشجيعية وموقع المستوطنة والضرائب المنخفضة والتعليم والرعاية الصحية المجانية لآلاف الإسرائيليين على شراء مساكن في المستوطنة المزدهرة التي تعتبر مدينة في ١٩٩٢ التي تقول مرسيدس خاكاك التي تسكن في المستوطنة منذ سنة ٢٠٠٠ نحن هنا نعتلي بالقدس ونزداد قرباً منها يوماً بعد يوم شارون جعلنا أقوى

وأكبر نكن له كل إعجاب ونتألم من أجله.

وقد حث الحاخامات الشعب الإسرائيلي على الصلاة من أجل شفاء شارون.

هل مات شارون اكلينكيا ؟

على الصعيد الدولي أشادت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس بشارون الذي وصفته بالرجل الذي لديه شجاعة فائقة كما أكد وزير الخارجية البريطاني جاك سترون أنه يصلي من أجل معجزة شفاء شارون.

كما يرد مدير مستشفى هداسا الشائعات المتناقلة حول وفاة رئيس الوزراء شارون إكلينيكياً قائلاً أن حدقتي عيني شارون تستجيبان للضوء كما يجب وهذا يعني أن المخ يعمل أضاف أن شارون لا يزال متصلاً بأجهزة الإفاقة فإن الأطباء لم يتسنى لهم اختيار ردود فعله المتعلقة بالإدراك والمعرفة والمعروف أن سياسة شارون تمثلت في قتل البشر، ثم القتل السياسي وجهان لعملة واحدة يكشفان أن من يؤمن بهما ليس رجل دولة على الإطلاق مع احترامنا.

الوجه القبيح

لم أجد أي رسالة أرسلها إلي الطاغية شارون الذي أمتد المشهد الأخير في حياته أكثر من ٣ سنوات وحتى طباعة هذا الكتاب مملوء بالعذابات الرهيبة... . حيث أنه ما زال قابعاً في المستشفي يعاني ويلات المرض وتجاهل الجميع له حتى أقرب الناس إليه ولديه أصبحوا لم يسألوا

عنه وتركوه للممرضات ترعاه مثل الكلب الأجرب أومثل ثعبان نائم بين الحفر يريد كل من يعرف أنه في الجحر أن يقتله أويتخلص منه... إنه جلاد وسفاح لم يأتي التاريخ بمثله... هذه الرسالة من قصيدة للشاعر الكبير فاروق جويدة

قبيح وجهك المرسوم من إشلاء قتلانا
جبان سيفك المسموم في أحشاء موتانا
وضيع صوتك المرصود في أنات أسرانا
قبيح أنت يا ملعون عند الله في الآديان إنجيلاً وقرآناً
قبيح أنت يا خنزير كيف غدوت إنسان
قبيح وجهك الملعون

حقاً إن وجهك الملعون قبيح وسيئ أيها الطاغية شارون وجه ملطخ بدماء الأطفال الأبرياء والشهداء الأوفياء لن تتساوى دماء الشهداء بعطر الغواني وكلامات المنافقين يا شارون... . فلماذا لا تذهب إلي الجحيم.

أيها الخنزير... ... ذق ويلات أعمالك.. اشرب من كأس المذلة والهوان فلقد أشربت الكثير من الأبرياء من هذا الكأس فكم من نساء لطمت الخدود وشقت الصدور ومزقت الشعور لأنك اغتلت البسمة البرئية من حياتهم بأيدي الغدر والخيانة... . يالك من ملعون في كل الأديان حتى ديانة اليهود.

(موسوليني)

طاغية إيطاليا

- علق من قدميه مع عشيقته كلارا كدجاجين في مجزر آلي
- تبول علي جثته رجل من العامة جهراً
- سيدة إيطالية أمطرت جثته بالرصاص في ميلانو»



إنه مشهد مرعب. . . . . . مشهد يثير الاشمئزاز في النفوس. . . . . . مشهد مخيف فيه قتل وسفك دماء وتشويه جثث وتقطيع أجساد وكأنك في مجزر آلي تري الذبائح معلقة وتسيل منها الدماء. . . . . لكن الذبائح في هذا المشهد ليست حيوانات تذبح أودجاج يؤكل. . . .إنها أجساد بشر، أجل أجساد بشر ها هوبنيتوموسوليني طاغية ايطاليا الذي حكم إيطاليا ٢١ عاماً بالحديد والنار وأسس الحركة الفاشية بإيطاليا يعلق كدجاجة في مجزر آلي مع عشيقته كلارا بيتاشي في ساحة» بيازالي لوريتو« بإيطاليا. . . . . لم تبعد عن محطة القطار الرئيسية في ميلانوبكثير. . . . والجماهير محتشدة لتري نهاية طاغية أدخل إيطاليا في حرب لا داعي لها مما قتل فيها الملايين من الإيطاليين حتى أن سيدة إيطالية شقت جموع الحاضرين في هذا المشهد المأساوي وظلت تبعد الناس عنها يمينا ويساراً حتى اقتربت من جثه موسوليني ونظرت إليه في اشمئزاز شديد وبصقت علي وجهه وقامت بإخراج مسدس من حقيبتها وأمطرت جثته بخمس طلقات من الرصاص ثم نفخت في فوهه المسدس وقالت لنفسها الآن هدأت ثورتي وأستطيع أن أنام بعد أن أطفئت الحريق المتأجج بين ضلوعي وجوانحي. . . الآن تستطيع أن تهدأ أرواح أبنائي الخمسة الذين راحوضحية لنزوات هذا الطاغية الذي يرقد جثه هامدة مثلهم. . . . الآن أيها الإيطاليون نستطيع أن نتنفس الصعداء ونستنشق نسمات السلام والآمن والحرية والديمقراطية.

بداية المشهد الأخير (إلي أي البلاد نهرب ؟)

ويبدأ المشهد الأخير في حياة موسوليني في يوم ١٩ نيسان ١٩٤٥ حيث بدأت الهزائم تتوالي علي موسوليني وبدأ الانحسار الفاشي مع

تقدم قوات الحلفاء علي كل المحاور ولم يعد أمام موسوليني سوي الهروب..... لكن إلي أي البلاد نهرب أيها الرفقاء؟.... هكذا وجه موسوليني السؤال إلي كل الحاضرين معه في العاصمة ميلانوحيث كان أعوانه ورفقائه وزوجته وعشيقته كلارا وأخيها (مرسلو) بيتاس وزوجته ووزيره نيقولا بومبانشي» فردت الزوجة قائلة

زوجة موسوليني: لقد تعبت جداً طوال حياتي الزوجية معك أيها الدوتش القائد... منذ أن كنت مدرساً حتى أصبحت قائداً لآيطاليا.

موسوليني: ماذا تقصدين؟

الزوجة: لا أريد أن أنهي حياتي بيدي... لقد كانت حياتي كلها معك شقاءاً لا سعادة... ولا أرغب أن يقبض علي الأنصار أوأودع في السجن أوأعدم رمياً بالرصاص أيها الزوج القائد.

موسوليني: أنا أعلم جيداً إنك إمرأة ضعيفة تميل دائما ألي الأمور السهلة البسيطة وتركنين إلي الأمور اللينة علي عكس كلارا.... المناضلة الثائرة.

زوجة موسوليني: فلتذهب هي معك حتى لووصلتما إلي الجحيم لكن أنا لن أهرب معكم.... سأبقي هنا في ميلانو.... لقد قمت بواجباتي كزوجة مخلصة لك.

كلارا: (في خبث ودهاء) لكن الدوتش يريد أن يطمئن عليك قبل رحلة الهروب.

الدوتش: أي واجبات تلك التي تتحدثين عنها..... أنا الذي صنعتك وجعلتك تدخلين التاريخ.... أنت زوجة أكبر سياسي جاءت به إيطاليا.

زوجة موسوليني: كفاك غروراً أيها الدوتش.... فأنت الذي أدخلت ايطاليا حرباً لا ناقة لنا فيها ولا جمل حتى طردك الحزب الاشتراكي لأنك تحث إيطاليا علي التحول في هذه الحرب العالمية.

الدوتش موسوليني: لقد أعطيت نفس ووهبتها للجيش الإيطالي في هذه الحرب حتى جرحت جرحاً غائراً ألم تعاني معي من ألام جرحي في هذه الحرب.

نيقولا الوزير: لا وقت الآن لسرد أحداث الماضي فالأنصار يطاردوننا ويتقفوا أثارنا ولابد أن نتحرك والرتل معنا الآن.

كلارا: كلامك هام جداً أيها الوزير نيقولا.... هيا أعد الرتل ورجاله فلسوف نتجه الآن إلي سويسرا.

نيقولا: ومن حدد سويسرا لنهرب إليها.

الدوتش موسوليني: أنا يا نيقولا... أنا الذي قلت وحددت فالحدود بيننا وبين سويسرا ليست بعيدة كما أنها أمنة.

كلارا: سوف ننطلق الآن ونحن جميعاً مع الدوتش.

الدوتش موسوليني: إلا زوجتي.... هي التي تركتني أواجه مصيري بمفردي... (يلتفت إليها قائلاً) اذهبي الآن من هنا!

الزوجة: أذهب إلي أين.

موسوليني: إلي أي منطقة أمنة تشائين أن تختبئ فيها من أنصار الحزب الاشتراكي حتى لا يقتلوك.....

الزوجة: وداعاً أيها الدوتش......... وداعاً. سأعود إلي بلدتي

وبدأ ركب الهروب إلي سويسرا حيث ضم ثلاثين عربة منهم عدة شاحنات ممتلئة بجنود الجيش الجمهوري وكان من بينهم شاحنتان من

أقوي الجنود بالجيش الجمهوري هم الصاعقة لكن يحمون الرتل ويحمون الدوتش. . . . وإستغل الدوتش موسوليني سيارة ماركة (ألفا روميو) علي سقفها إطار جلدي أي أنها مغلقة بهذا الإطار الجلد الآسود وأمسك رشاشة الكلاشينكوف ووضعه علي ركبته وذهب»جرازياني« رئيس الموكب وعدد كبير من الوزراء والموظفين الكبار في ثلاث سيارات من نفس نوع ماركة ألفا روميوغير أن هناك سيارة من نوع مختلف كان مرفوع عليها العلم الأسباني حيث قامت كلارا عشيقه الدوتش موسوليني برفع هذا العلم لتحمي نفسها هي وأخيها(مرسيلوبباتشي) وزوجته وفتحت الجماهير الطريق أمام هذا الموكب العسكري المدجج بالسلام والذي يحمل أكبر الشخصيات العامة في إيطاليا فضلاً عن الدوتش موسوليني وعشيقته كلارا ومرسيلوأخيها وزوجته والقائد جرازياني وبافوليني. . . .

وبدأت زوجة موسوليني تنظر إلي ذلك الركب الهارب إلي سويسرا وهي تشعر أنها لحظات محتومة وقدرية وسوف تبدأ النهاية من هنا. . . . .

موسوليني يستعيد ذكريات الطفولة

أخذ موسوليني ينظر من زجاج سيارته إلي الطريق الجانبي والسيارة تطوي الأرض طياً. . . . وبدأت الذكريات القديمة تتوالي عليه واحدة تلوالآخري يوم أن ولد في قرية»دوفيا« بمقاطعة فورلي شمال إيطاليا وذكرياته عندما التحق بمدرسة تدريب المعلمين ولم يكن يحب التعليم رغم أنه عمل مدرساً في عام ١٩٠٢وتذكر أيضاً أيام كان يعمل عاملاً في سويسرا. . . . . وكان يعاني شظف العيش ويحدث نفسه قائلاً حيث يدور هذا المونولوج الداخلي وهويضع رشاشة علي ركبتيه وينظر من

وراء زجاج السيارة إلي الطريق المؤدي إلي سويسرا.

الدوتش موسوليني: لقد عدت منك يا سويسرا منذ أعوام وأصبحت الآن الدوتش القائد لبلدي إيطاليا يا تري هل عندما أصلك هل سأعود منك مرة ثانية..... هل سأكون أولا أكون.

عندئذ توقف الركب فجأة فكانت العاشرة مساءً حيث تقع قرية «كومو» التي تبعد عن الحدود السويسرية ١٠ كيلومتر نزل الدوتش من سيارته ووراءه رجاله ؟ وعشيقته وسأل عن دار الشرطة الخاصة بتأمين قرية «كومو» وذهب إليها ونام نوماً عميقاً.

وفي اليوم التالي سقطت أمطار غزيرة أعاقت سير الركب ولكن الدوتش أمرهم بالسير حتى تحت هذه الأمطار الغزيرة فوصل الركب إلي (ميناجيو) الواقعة علي طريق البحيرة وبذلك أصبحت سويسرا قريبة جداً يبدوأن المسافة لم تعد تتعدي عدة كيلومترات لكن الحدود السويسرية الإيطالية ما زالت مغلقة..... وهنا كانت هناك قافلة ألمانية مكونة من ٢٠٠ جندي حاول الركب الإيطالي أن يخترقها لكن لم يفلح فاتجه موسوليني إلي أحد الفنادق الموجودة بتلك القرية في (ميناجيو) وقضي معظم يومه بالفندق مع عشيقته كلارا.

الأسرار في حجرة بفندق مينا جيو

تدخل كلارا حجرة الدوتش دون استئذان فتجده منكباً علي بعض من الأوراق والمستندات يقلب فيها ويحتفظ ببعض ويمزق البعض الآخر

كلارا: ماذا تفعل يا حبيبي.

الدوتش: أنسق بعض المستندات والوثائق الخطيرة.

كلارا: الخطيرة. . .

الدوتش: إن مستقبل إيطاليا يتوقف علي هذه الأوراق يا كلارا. . . . . فإذا مت أوقتلت احتفظي أنت بها يا كلارا فأنت مخلصتي إلي الآبد يا كلارا.

كلارا: سأنفذ كل كلمة من كلماتك أيها الدوتش القائد لكن ما هذه الحقائب التي هي بجوار حقائب المستندات.

الدوتش موسوليني: إنها ذهب

كلارا: ذهب

الدوتش موسوليني: أجل ياكلارا ذهب. . . . . أخذته معي عندما قررنا الهرب من ميلانو.

كلارا: لابد أن لي نصيب كبير فيها أيها الدوتش الرائع

الدوتش موسوليني: بل كله لك يا حبيبتي

كلارا: وماذا في هذه الحقيقة أيضاً؟

الدوتش موسوليني: إنها ليرات إيطالية. . . ملايين الملايين. . . هل كنت تظنين أن نهرب من جحيم الحزب الاشتراكي وأن لا أحمل حقائب الذهب والليرات والمستندات والوثائق الهامة هذه هي أهم الحقائب! كلارا

عندئذ تنظر كلارا من النافذة وقد هدأ المطر قليلاً وبدأت تتساقط قطرات قليلة علي زجاج الفندق فطلب الدوتش تكملة الرحلة إلي الحدود السويسرية لكي ينجومن ملاحقة الأنصار له.

كلارا: لابد من الانتظار قليلاً يا حبيبي حتي يصل بافوليني بكتيبة الفاشية المقدسة

الدوتش موسوليني: إن المذياع لا يذيع إلا أخبار الهزيمة وموت الإيطاليين في الحرب ويحملونني المسئولية كاملة. . . . أنا يا كلارا الذي بنيت إيطاليا العظيمة وأعدت أمجادها البالية أنا الذي دعوت إلي أن يعود المحاربين القدامى إلي الجيش لإعادة بناء مجد روما العتيق. . . . أنا موسوليني العظيم أنسيت إيطاليا غزوي لفرنسا وجنوبي فرنسا أنسي الشعب الإيطالي انتصاراتي العظيمة في إثيوبيا. . . لماذا يذيع المجلس الآعلي الفاشي علي الناس هزائمنا. . . . . . لماذا. . . . . . لماذا يا كلارا

(ويصرخ صرخة مدوية تهز أرجاء الفندق)

كلارا: فلتهدأ يا حبيبي. . . ها قد وصل بافوليني بكتيبيه الفاشية المقدسة التي سوف تحمينا حتى نصل إلي بر الآمان إلي سويسرا

الدوتش موسوليني: وهوينظر من زجاج الفندق ثم يضحك لآن الكتيبة ليس بها سوي ١٢ جندياً فقط ويسأل بافليوني. . .

أين أفراد الكتيبة المقدسة يا بافلويني؟

بافلويني: ؟ في الرد علي الدوتش! رفضوا أن يأتوا معي يا سيدي

الدوتش موسوليني: رفضوا. . . . كيف. . . وهم المدربون علي السمع والطاعة ؟! كان الشعار الذي اخترته لهذه الكتيبة بالذات (إيمان. طاعة. كفاح)

بافلويني: كنت دائماً تهتف أمامهم سيدي الدوتش وتلقنهم شعارات ثورية وهتافات قوية. . . . كنت دائماً تقول لهم سيدي الدوتش: « نحيا كالأسود يوماً واحداً خيراً من أن نعيش كالخراف مئة سنة»

الدوتش موسوليني: لقد كانوا خرافاً ولم يكونوا اسوداً أبداً

يا بافلويني... إنهم يخشون المجلس الآعلي الفاشي والحزب الاشتراكي... أجل أعلم إنهم الآن خائفون يرتعدون... لكن انظر يا بافلويني...... ها هي المرآة الوحيدة كلارا... رفضت أن تبقي بعيدة عني إنها امرأة بألف مقاتل في كتيبة الفاشية المقدسة.......... عندما أعود إلي الحكم سوف ألغي اسم الفاشية المقدسة......

بافلويني: وماذا ستسميها أيها الدوتش.

الدوتش موسوليني: أسميها كتيبة كلارا بباتشي

كلارا: (يتهلل وجهها من الفرح وتقبله قبلة طويلة) شكراً لك أيها الدوتش العظيم..... وحبيبي

الدوتش موسوليني: هذا أقل شئ نفعله لك يا كلارا العظيمة

حين دخل مارسليوبتاشي علي الدوتش موسوليني قائلاً له سيدي الدوتش

الدوتش موسوليني: ماذا بك يا مارسليو... هل هناك خطب فادح

مارسليوببتاشي: أجل سيدي الدوتش..... أجل

الدوتش موسوليني: وما هويا مارسليو؟

مارسليو: توجد كتيبة ألمانية قوامها ٢٠٠ جندي أمامنا؟

الدوتش موسوليني: هل تعلم من قائدها؟

مارسليو: أجل أيها الدوتش العظيم.

الدوتش موسوليني: من ؟

مارسليو: الليوتنان» فولماير «

الدوتش موسوليني: (فولماير) أني أعرفه جيداً..... أرسلوله»بيرزر« ليتفاوض معه أن يأخذنا معه في طريقه وسوف نرتدي القبعة الألمانية

والبدلة الألمانية حتى لا تعرفنا الأنصار

مارسليو: فوراً سيتم إبلاغ القائد «بيرز» ليتفاوض مع قائد الكتيبة الألمانية» فولماير».

لكن سيدي الدوتش.... عندي حيلة بارعة.

الدوتش موسوليني: وما هي يا مارسليو؟

مارسليو: أن تتخفى وراء تنك البنزين حتى لا يراك الأنصار..... وأنا أرتدي ملابس السفير الأسباني وكلارا وزوجتي ونقول للجنود الأنصار أننا سفراء أسبانيين...

الدوتش موسوليني: أجل إنها حيلة بارعة يا مارسليو.

بعد مفاوضات طويلة وافق فولماير قائد الكتيبة الألمانية على التستر على موسوليني وأعوانه.. لقد وافق فولماير لأنه يعرف أن موسوليني كان يحب الألمان فهوصاحب العبارة الشهيرة التي كان يرددها دائماً «أستطيع بمعاونة ٢٠٠ ألماني أن أبلغ أقصى المعمورة» وسارت الكتيبة الألمانية وموسوليني معها وقد عاودته الثقة من جديد لكن هذه الثقة لم تدوم كثيراً إذا توقف الركب عند قرية تسمى «موسو» فدوت طلقات نارية وإذا بشجرة ملقاة في الطريق.. أخذت كلارا تصرخ ومعها زوجة أختها مارسليوبيد أن رئيس الكمين قد تقدم نحوالركب واشترط عليهم المرور لكن دون أن يكون معهم إيطاليون وفي هذه اللحظة كاد موسوليني أن يسلم نفسه لولا أن القائد «بيرز» الذي كان مع (فولماير) أوحى له بأن يرتدي القبعة الألمانية والبدلة الألمانية وفعلاً قام الدوتش موسوليني بارتدائهما كما قام مارسليوبياتسي وكلارا برفع العلم الأسباني على سيارتهم وقالا لقائد الكمين أنه السفير الأسباني وهذه زوجته وأخته

ونجحت الخطة ومرت الكتيبة من قرية (موسو) بعد مناقشات ساخنة دامت ٤ ساعات من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشر ظهراً.

وزير موسوليني يبلغ عنه أعدائه

بلغت الكتيبة مدينة «دونغو» الصغيرة فأوقفها كمين آخر لكن هذه المرة كان الأنصار يعلمون أن موسوليني في هذا الركب مختبئاً فلقد أبلغ عنه وزيره «نيقولابومباتش» حيث خان الدوتش وأبلغ عنه الأنصار... فلقد تعب نيقولا من خدمة سيده الدوتش موسوليني فأراد أن يتخلص من هذا العبء الثقيل على كاهله... لقد كان يقول في نفسه أن موسوليني داهية وعبقري ومجنون أيضاً أحكم قبضته على كل شيء في إيطاليا.. إنه جبار. كانت كلمات الكونت (جراندي) أحد أقطاب الفاشية تتردد في أذان نيقولا بومباتش ذلك الوزير الذي أبلغ الأنصار عن حكاية الطاغية موسوليني إنه حصان جامح لا يستطيع أحد أن يروضه.. وهومجنون لا يقبل النصيحة من أحد مهما كانت قيمة.. لا يقبل النقد أوالتعليق على أفعال.. كمم أفواه الصحفيين بل أفواه الوزراء.. لا صوت يعلوعلى صوت موسوليني في الأراضي الإيطالية.. إنه يتشبث بالوزارة تلوالوزارة.. إنه جبار طاغي وظالم مستبد.. فأبلغ عنه نيقولا..

فماذا فعل الدوتش في هذا المشهد الحزين؟

دخل عليه الكولونيل بارون جيوفاني ساردانيا أوالكونت لويجي يبحثان عنه داخل السيارة ؟ لكنهما لم يجداه بداخلها فأخذ يبحثان في كل أجزاء السيارة حتى عثروا عليه نائماً فوق تنك البنزين ومعه الرشاش

نزل الدوتش موسوليني دون مقاومة وأخذ يغني في هيستريا

الدوتش: أنا أحب ألمانيا وإيطاليا.

موسوليني: وكلارا وكل من معي

أنا الدوتش القائد

والملهم والسياسي البارع والحاذق في السياسة والحرب والحب لا أريد أن أموت الآن

بل أريد الموت وأنا على كرسي العرش في إيطاليا أتركوني الآن.

أخذ الكونت لويجي والكولونيل ساردنيا ينظران إلى بعضهما البعض من تظاهر موسوليني بأنه سكران ويترنح كالثمل فلم يطلقا الرصاص عليه بل قبضا عليه وابلغوا ميلانوا بأنهم قبضوا على الدوتش الهارب موسوليني..

وقاموا بتغطية وجهه بالقماش الأبيض لكي يتوهم من يراه أنه جريح أوأسير وقاموا بنزع معطفه الألماني وقبعته الألمانية وحل الظلام مكان النهار والمطر قد انهمر ومع المطر انهمرت دموع كلارا عشيقة الدوتش الذي وقع في الأسر...

وألقوا عليه روب متقطع الأطراف وارتديه الدوتش موسوليني وأصبح كالمتسول الهارب الذي يهرب من الناس لأنهم يوسعوه ضرباً ولطماً على وجهه.. وكانت هذه أوّل علامات الذل والهوان في المشهد الأخير من حياة الطاغية موسوليني.. فقام الحراس بنقله إلى مركز المختار في «دنجو» إلى الثكنة الخاصة بموظفي الجمرك في «جرمازينو» وهم يعقدون النية على نقله إلى الناحية الثانية من البحيرة ليزلوه في ضيعة خاصة برجل صناعة كبير يسمى «كاديماروتي»..

فجأة وبدون مقدمات تقدم الكونت (بليني) إلى السيارات يتفحصها فعرف عشيقه موسوليني كلارا والتي ادعت أنها أخت السفير الأسباني. . . لم يستطيعا خداع بليني وبعد ذلك أصرت كلارا أن تذهب مع عشيقها موسوليني في سيارته التي تنقله إلى أحد بيوت الفلاحين في قرية «أزانوا» الواقعة على السفوح المشرفة على البحيرة. . وفي منزل صغير لعائلة دي ماريا قام الفلاح بإشعال النيران للتدفئة فقام الكونت بليني بطرد أبناء أسرة دي ماريا من المنزل لكي يستريح الأسيران المنهكان من السفر والتعب والإجهاد على وجهيهما.

يوم القتل

كان يوم القتل هويوم ٢٧ نيسان عام ١٩٤٥. . . الشمس ساطعة وتنشر أشعتها الذهبية في كل صباح على أرض قرية «أزانو» المطلة على البحيرة وكأنه صباح جديد أشرق على الدنيا كلها. . . يوم سوف تنتهي حياة طاغية إلا الأبد ليذكر في ظلمات الأيام وغياهب الزمن بأنه كان أسوأ طاغية على وجه الأرض. . . إنه موسوليني الفاشاستي.

بدأ اليوم بأن استيقظ الدوتشي موسوليني متأخراً حاول أن يبتلع كسرة خبز لكنه لم يستطع أن يبتلع شيئاً فمرارة الأحداث في الحلقوم ومذاق الأسر في البلعوم إنه ذليل ومنكسر أما كلارا فلقد تناولت طعام الإفطار ثم دخلت سريرها مرة ثانية وقامت بجذب أطراف الغطاء حتى ذقنها. . . وبدأ الرعب يدب في أوصالها وأخذت ترتعد فصائلها وترتعش شفتيها التي كثيراً ما قبلها الطاغية. . . أما الطاغية فأشعل سيجارة قد استعارها من أصحاب الدار أسرة (دي ماريا) ووضع يده على إطار النافذة الخشبي

وأخذ يفكر ويتأمل الجبال القادمة ويضع سيناريولما سيحدث في الدقائق القادمة.

فجأة ينادي على كلارا.. ويسألها..

الدوتش موسوليني: هل أنا طاغية يا كلارا؟

كلارا: من قال هذا يا حبيبي، أنت الذي أعدت أمجاد روما القديمة، جففت المستنقعات، خضت معركة القمع، أصلحت الصناعات ودعمتها، طورت التعليم ولفت أنظار العالم كلها إلى إيطاليا، إلى ميلانوفكيف تصف نفسك بالطاغية.

الدوتش موسوليني: إذن لماذا يطاردوننا يا حبيبتي كلارا.. لماذا يسمونني بالطاغية.. وهل يجوز قتل الطاغية؟

كلارا: كيف يقتلون من يرعاهم ويحافظ عليهم كيف يقتلون من خصه الرب بمعاونتهم ومساعدته.

الدوتش موسوليني: أحيانا تكون الرعية أكثر طغيانا من الطاغية ذاته يا كلارا...

كلارا: أجل يا حبيبي... أعلم ذلك جيداً...... فبرغم ما فعلته من إعادة مجد روما إلا أن الرعية تقول بسخرية

من هذا الذي طالت قامته إلي السماء

من هذا الذي اتسع منكبيه ليحضن الأرض بصدره

يا لها من رعية خسيسة دنيئة يا حبيبي

كان خارج منزل أسرة دي ماريا تدور مفاوضات سرية بين مندوب الحزب الشيوعي وبين البارور سردينا والكونت بليني حول تسليم الدوتش موسوليني إلي الكولونيل(فاليربو) مندوب الحزب والمفوض من السيد»

بالمروتولياتي « والذي أرسله من ميلانوإلي الحدود السويسرية حتى يأتي بموسوليني.

الكولونيل: في الواقع أنني في ميلانوننتظر علي أحر من الجمر رؤية الدوتش مفاليريو..... بل إيطاليا كلها...... في انتظار الدوتش سيدي سردانيا

سردانيا: تنتظروه علي أحر من الجمر وهوالذي أدخلكم الحرب وكان السبب في قتل أبناءكم وهزيمتكم...... كيف يستقيم هذين الآمرين أيها الكولونيل فاليريو: هل تعقدون النية علي قتله

الكولونيل: لا.....لا..... لن نقتله..... بل الأوامر الصادرة إلي من السيد بالميروتولياني رئيس الحزب الشيوعي أن أحضر موسوليني حياً»

الكونت بليني: إذا كان الآمر هكذا......فسوف نسلمك موسوليني الآن وأنت مسئول عن حمايته حتى ميلانو

الكولونيل: اطمئنا تماماً...... حتما سيصل الدوتش إلي النهاية

ثم دخل الكولونيل فاليريوالمنزل ونظر إلي الدوتش وإلي عشيقته كلارا وكان في عنق طويل وقبلة أخيرة وقال لهما»هيا أسرعا ورائي فلقد جئت لإنقاذكما وإعادتكما إلي ميلانو..... هيا أصعد سيارتي أيها الدوتش......هيا يا كلارا لا وقت الآن للعشق أوللحب

عندئذ نظر الدوتش موسوليني إلي كلارا نظرة طويلة وقال لكلارا.....إن قلبي يتوجس خوفاً من هذا الكولونيل الذي يسمي نفسه»فاليريو»

كلارا: لماذا؟

الدوتش موسوليني: لأنه ليس كلونيل وليس اسمه فاليريو

كلارا: إذن من هذا الذي جاء لينقذنا؟ وما هي حقيقته

الدوتش موسوليني: إنه ولتر أوديز

كلارا: باستغراب ودهشته «ولتر أوواديز»

الدوتش موسوليني: أجل يا كلارا.... ويعمل محاسباً بالحزب الشيوعي تحت رئاسة الكونت بليني

كلارا: لماذا يفعل هكذا ويقول أنه جاء لإنقاذنا

الدوتش موسوليني: إنها خدعة يا كلارا..... إنها الخدعة الكبري

لم ينتهي الدوتش من النطق بهذه الكلمة حتى انطلقت السيارة التي يركب بها الكولونيل «فاليريو» بجوار السائق «جيمنازا» وفجأة وبدون أي إشارات أوتنبيهات توقفت السيارة ونزل الكولونيل فاليريوومعه مسدسه وقام بانزال الدوتش موسوليني وعشيقته كلارا

الكولونيل فاليريو: أين حقائب الذهب والنقود والوثائق التي سرقتها وأنت هارب من ميلانوأيها الدوتش العظيم

الكولونيل فاليريو: لقد عرفت هويتي الحقيقية أيها الدوتش.... ها أنت كما أنت سياسي، داهية، عبقري ومجنون أيضاً

كلارا: أتسخر من قائد إيطاليا وزعيمها العظيم أيها الكلونيل؟

الكولونيل فاليريو: لست أنا فقط الذي يسخر الدوتش عشيقك يا كلارا لقد خدعتنا وجدع الشعب الإيطالي كله..... بل خدع العالم وورطنا في حرب دامية راح ضحيتها الملايين من الشباب

الدوتش موسوليني: أتحاكمنا أيها المحاسب الحقير؟

الكولونيل: المحاسب الحقير الذي تهزأ منه سوف يشنقك حالاً أيها

الحراس علقوا الدوتش من قدميه في هذه الأسياخ الحديدية هوومن معه.

يقوم الحراس التابعين للكونيل فاليريوبتعليق الدوتش موسوليني وبجواره عشيقته كلارا ومارسيلوأخوكلارا وزوجته ثم يقف من بعيد أن جمع كل الحقائب التي بها الوثائق والمستندات والذهب والأموال التي كان الطاغية قد أخذها وهويحاول الهرب من ميلانو

كلارا: لا...... لا....... لا يحق لكم أن تقتلوا حبيبي سأقف أمامكم... بل اقتلوني أنا... واتركوه هوينعم بالحياة

الدوتش موسوليني: لا تحاولي يا كلارا... لقد جاءت النهاية....

لا تحاولي يا كلارا.... لقد جاءت الآقدار.

بإحقر وبأتفه إنسان ؟؟ ليحصد أرواحنا.

هذه هي المأساة يا كلارا.

عندئذ يقوم الكولونيل فاليريوبإطلاق الرصاص عليهم جميعاً وهم معلقين كالذبائح في المجزر الآلي كان الكولونيل فاليريوقد قتل أكثر من ١٥ عشر فاشياً منهم مارسيلو، وبافوليني، ويهود أبومباتشي أونيقولا بومباتشي الذي أبلغ عن وجود الدوتش موسوليني.... ووضعت كل هذه الجثث في صندوق سيارة حتى وصلت إلي ساحة(بيازالي لوريتو) بالعاصمة الإيطالية ميلانووهناك تم تفريغ الجثث علي الأرض أمام الحشود من الجماهير غير أن أمين سر الحزب الفاش السابق السيد ستاراتش قد تم إضافته إلي هذه الجثث بعد ما أوسع ضرباً.

لم يشفي كل هذا غليل الإيطاليين فقامت امرأة وشقت جموع الحاضرين

وهي تمشي واثقة الخطوات حتى وصلت إلي مكان الجثث وصوبت فوهه مسدس كانت قد أخرجته من حقيبتها وأطلقت ٥ رصاصات في أنحاء متفرقة من جسد موسوليني وقالت هكذا شفي غليلي وهدأت نار الثأر في صدري أيها الطاغية ثم قام رجل من الحاضرين ويتبول علي وجهه أمام الجميع بهذا ينتهي هذا المشهد المأساوي لطاغية إيطاليا موسوليني.

الخاتمة

لقد استعرضنا المشهد الأخير لحياة عشرة من الطغاة والجبابرة ورأينا كيف كانت النهاية مأساوية ودرامية وقد يقول قائل أن هناك من الصالحين والعامة نهايتهم كانت أسوأ من تلك النهايات لكني أقول أن المشهد الأخير في حياة الطاغية دائماً يكون فيه عظة وعبرة والعظة والعبرة لا تأتي من أمر سهل أومسألة عادية. . فأيضاً الشخصية العادية لا يأتي منها عظة وعبرة إلا نادراً. . .

فهنا العظة والعبرة من صعود الشخصية إلى سلم المجد والسلطة وأثناء صعوده يلطخ ثوبه بالدماء ويدنسه بقتل الأبرياء مرتدياً عباءة الدين أوالعلم أوالمجد أوالإصلاح وإذا أردنا أن نتخلص من حكم أي طاغية فعلينا أولاً نشر الديمقراطية في المنزل وفي المدرسة وفي وسائل الإعلام وفي كل مكان فالديمقراطية الناقصة أفضل ألف مرة من حكم الطاغية والحرية العرجاء أحسن ألف مرة من حكم القهر علينا أن نأخذ العبرة من هذه القصص وتلك النهايات لنستفيد بها ولنضعها أمامنا نبراساً يضيء حياتنا. . ومن أهم هذه العبر أن موقف أي طاغية يشبه ذلك الرجل الذي يقطع شجرة لكي يقطف ثمرة فلنترك الشجرة تظلل علينا جميعاً، ونأكل منها الثمر جميعاً، ونرويها بدمائنا، إنها شجرة الديمقراطية.

(فرانكو)

طاغية أسبانيا

- قتل أكثر من ربع مليون أسباني
- نفي أكثر من نصف مليون أسباني
- ظل يعاني من سكرات الموت (٣٥ يوما)

يبدأ المشهد الأخير في حياة الطاغية فرانكوطاغية أسبانيا منذ يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٥ وينتهي يوم الخميس الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٧٥ أي ما يقرب من ٣٥ يوماً من المعاناة الرهيبة من آلام المرضى ونزيف الدماء من الأمعاء والمعدة وتوقف العضلات وتورم في القدمين وخاصة القدم اليمنى وارتفاع نسبة البولينا في الدم وتليف في الكبد وفشل كلوي وانتفاخ في البطن واصفرار في الوجه وامتقاع في اللون وهروب كل الأصدقاء من حوله اللهم إلا ابنته وزوجته هما اللائي بقين بجواره في غرفة الإنعاش بأكبر مستشفيات أسبانيا. . إنها اللحظات الرهيبة والفاصلة والقاتلة والمؤلمة والفارقة في حياة الطاغية (فرانكو) الذي حكم أسبانيا منذ عام ١٩٣٦ وحتي شهر أكتوبر الذي غادر فيه الحياة. . . يالها من عجائب القدر في نفس الشهر الذي وصل فيه إلى الحكم هونفس الشهر الذي فارق فيه الحياة لكن بعد ٣٤ عاماً من الظلم والطغيان والقهر والفساد حتى قيل عنه أنه قتل أكثر من ربع مليون شخص أسباني وشرد الكثيرين وأودع كل معارضيه السجون وعاملهم معاملة سيئة للغاية وصادر الحريات وأوقف صدور الجرائد. . . لكي يحتفظ بحكمه وهنا لابد أن نسأل ونتساءل:

ماذا يفعل الطاغية لكي يحتفظ بحكمه؟ والإجابة لن تكون اجتهادية أوإرشادية أوإبداعية ولكنها نقلاً من كتاب السياسية لأرسطو.

يقول أرسطو:

إن الطاغية يحتفظ بعرشه بإحدى وسيلتين تعارض كل منهما الأخرى تمام المعارضة وهما على النحو التالي:

الطريقة الأولى:

١- الغاية النهائية للطاغية لكي يحتفظ بعرشه هي تدمير روح المواطنين وزرع الشك وانعدام الثقة فيما بينهم وجعلهم عاجزين عن عمل أوفعل أي شيء حتي يتعود الناس على الخسة والضعة والعيش بلا كرامة بحيث يسهل.

عليهم أن يعتادوا الذل والهوان وهذا سوف ما نراه من خلال استعراضنا لحياة فرانكوالطاغية.

٢- القضاء على البارزين من الرجال وأصحاب العقول الناجحة واستئصال كل من تفوق أوحاول أن يرفع رأسه وقد أسماها أفلاطون بعملية التطهير أوطريقة التطهير على عكس ما يفعله الأطباء من تطهير الجروح من الصديد والقروح المتقيئة.

٣- منع الموائد المشتركة والاجتماعات والنوادي وحظر التعليم أوجعله لوناً من الدعاية للحاكم وحجب كل ما يعمل على تنوير النفوس أوكل ما يبث على الشجاعة والثقة بالنفس.

٤- منع المواطنين من التجمع لأغراض ثقافية أوأي تجمع مماثل واتخاذ كافة السبل التي تغرس في المواطن في نهاية الأمر الشعور بأنه غريب عن بلده بقدر المستطاع ويقصد بذلك قطع الحبل السري الذي يربط المواطن بوطنه ذلك لأن تعارف المواطنين وتوادهم يؤدي باستمرار إلى ثقة متبادلة وهذا ما فعله الطاغية فرانكومن تشريد وطرد الآلاف من أبناء إسبانيا.

٥- إجبار كل مقيم في المدينة أن يظهر للعيان بصورة مستمرة وإكراهه بوجه عام ألا يجاوز أبداً أبواب المدينة إلا إذا كان الطاغية وأعوانه على علم بما يعمل الناس في دولته هكذا يواصل الطاغية استعباده للمواطنين

وعن طريق الاستعباد المستمر يعتاد الناس الخسة والضعة والهوان وهذا يعطي للطاغية ثقباً صغيراً ينظر منه ليرى أفعال مواطنيه حتى يعتادوا الهوان ويألفوا العبودية اليومية.

٦- أن يجتهد الطاغية حتى تكون لديه معلومات منتظمة ودقيقة حول كل ما يفعله رعاياه أويقولونه وهذا يتطلب أن تكون له جواسيس وشرطة سرية في كل أنحاء البلاد وهذا يشكل قمعاً وقهراً للناس لأنهم يقللون من أرائهم ضد الطاغية خوفاً من الزج بهم إلى السجون والاحتفاظ بآرائهم داخلهم فقط.

٧- يعتمد الطاغية في هذه المرة على إغراء المواطنين أن يشي بعضهم بالبعض الآخر فتنعدم الثقة بينهم ويدب الخلاف بين الصديق وصديقه وبين العوام وعلية القوم وبين الأغنياء والفقراء فهويبذر بين الناس الشقاق والنميمة ويثير حقد الشعب على الطبقات العليا التي يجتهد أن يفرق بينها فبعض الناس يشتريهم الطاغية بالمال أوبالمنصب أوبرتبة عسكرية أوبوظيفة لم يكن يحلم بها والبعض الآخر يودعهم السجن أويفصلهم أويطردهم أويصفيهم جسدياً وهذا ما فعله فرانكوا طاغية أسبانيا مع معارضيه من العمال حيث فرض الأحكام العرفية وألغى الأحكام المدنية وجعل المحاكمات أمام المحاكم العسكرية وصفى أعضاء الحكومة الجمهورية السابقة عليه جسدياً دون هوادة أورحمة.

٨- يلجأ الطاغية إلى وسيلة قذرة لكي يحتفظ بحكمه وهي إفقار رعاياه ومواطنيه حتى لا يكلفه حرسه شيئاً من جهة وحتى ينشغل المواطنون من جهة أخرى بالبحث عن قوت يومهم فلا يجدون من الوقت ما يتمكنون فيه من التآمر عليه ويضيف أرسطوقائلاً «أن فرض

الضرائب أيضاً من الوسائل التي يتبعها الطاغية لإشغال العامة والدهماء عن التآمر ضده بل يصل الأمر في بعض الأحيان إلى إشعال الحروب حتى ينشغل المواطنون بصفة مستمرة ولا ينفكون ويحتاجون إلى قائد على الدوام ويضيف أرسطوقائلا :»إن السمات الأساسية للطاغية هي بذر بذور الشقاق وانعدام الثقة بين المواطنين على حين أن النظام الملكي يعتمد في حمايته على الأصدقاء فإن الطاغية يسير على المبدأ الذي يقول فيه لنفسه «إن الناس جميعاً يودون الإطاحة بي، غير أن الأصدقاء وحدهم هم الذين يستطيعون ذلك ومن ثم فينبغي أن تنعدم الثقة في الأصدقاء قبل غيرهم ولهذا نجد الطاغية يشجع التأثير الأنثوي في الأسرة على أمل أن تقوم الزوجات بالإبلاغ عن أزواجهن وللغاية نفسها تراهم يفرطون في تدليل العبيد والخدم حتى يتمكنوا من الإفشاء عن سادتهم ولهذا السبب أيضاً نجد أن الطاغية يختار الفاسدين من البشر في نظام حكمه ليكونوا له أصدقاء فهم عبيد النفاق والتملق والطاغية يسعده النفاق والتملق والمداهنة ويتهلل فرحاً من النفاق ومن التملق ومن عادة الطاغية ألا يحب رجلاً ذا كرامة أورجلاً شريفاً ذا روح عالية أوصاحب شخصية مستقلة ذلك لأن الطاغية يدعي أنه يحتكر لنفسه هذه الخصال الحميدة ومن ثم يشعر أن أي صاحب كرامة إنما يزاحمه في الجلال والإباء أوأنه يحرمه من النفوق والسيادة فذلك اعتداء على سيادته بوصفه طاغية ومن هنا يؤكد أرسطوأن الطاغية يكره جميع الأخلاق الشريفة لأنها اعتداء على سلطانه ومن عادة الطاغية أن يفضل صحبة الأجانب والغرباء على صحبة مواطنيه ولهذا يدعوهم إلى مائدته وعلى لقائه ويأنس لهم في حياته اليومية وهكذا يصبح المواطنون أعداء أما الغرباء فلا خطر منهم

لأنهم لا ينفاسونه ولا يزاحمونه.

ويعود أرسطوفيلخص هذه الأساليب في ثلاث غايات تضرب بجذورها في أعماق الشر على حد تعبيره ويتطلع الطاغية إلى تحقيقها:

الغاية الأولى: هي تدمير روح المواطنين لأن الطاغية يعلم علم اليقين أن صاحب الروح الفقيرة هوالذليل الخانع الذي لن يتآمر عليه على الإطلاق.

الغاية الثانية: ارتياب المواطنين بعضهم من بعض إذ أنه لا يمكن القضاء على الطاغية إلا إذا اتحد المواطنون وتشاوروا ووثق كل منهم بالآخر ولذلك نجد الطاغية يكاد يطارد الأخيار من الناس لأنه يراهم خطراً مزدوجاً على سلطانه منهم من ناحية خطر عندما يشعرون بأن من العار أن يحكموا كما يحكم العبيد وهم خطر من ناحية أخرى عندما يقومون بالولاء بعضهم لبعض وبالثقة المتبادلة بينهم وفي رفضهم أن يخون بعضهم بعضاً.

الغاية الثالثة: والأخيرة هي أن الطاغية يهدف إلى أن يصبح مواطنوه عاجزين عجزاً تاماً عن أي فعل ومن ثم يكون السعي إلى القضاء على الطاغية ضرباً من المحال ولا أحد يحاول أن يصنع المستحيل ومن ثم فلا أحد يحاول أن يطيح بالطاغية ماداموا قد أصبحوا جميعاً عاجزين عن الحركة.

الطريقة الثانية:

وهي أن يتحول الطاغية وطغيانه وظلمه إلى طبيعة النظام الملكي وهذا معناه أن يظل الطاغية محتفظاً بالقدرة وبالسلطة في حكم رعاياه ليس برضاهم بل رغماً عنهم فتنازله عن هذه الخاصية يعني تنازله عن الطغيان غير أنه متى ثبتت هذه القاعدة استطاع الطاغية فيما يبقى أن يسلك سلوك الملك الحق أوعلى الأقل أن يتخذ منه بمهارة كل سماته. . .

إن هاتين الطريقتين يتبعهما الطاغية لكي يُحتفظ لنفسه بالحكم ويظل يعمل لمصلحته الشخصية وليس لمصلحة الشعب أوالوطن. .

البداية في غرفة الأنعاش بالمستشفي المركزي بأسبانيا

فأي طريقة اتبعها فرانكوطاغية إسبانيا للحفاظ على حكمه المستبد لإسبانيا.

إن الإجابة سوف تعرفها عزيزي القارئ عندما تعيش معنا في المشهد الأخير لطاغية أسبانيا. . طوال ٣٥ يوماً في غرفة الإنعاش بالمستشفى المركزي بعاصمة أسبانيا حيث ضرب حول المستشفى سياج من أفراد الشرطة لحماية الطاغية والحفاظ على الأمن العام. . والأطباء يهرولون وراء بعضهم البعض إذا أعطت المؤشرات للأجهزة المعلقة على قلب وبطن الطاغية إنذار بأن هناك خللاً ما قد طرأ على الحالة يبدوأن هناك نزيف بالمخ أوبالمعدة قام كبير الأطباء مهرولاً إلى مدير المستشفى بإبلاغه بحالة الدكتاتور ارتعد مدير المستشفى قائلاً لكبير الأطباء

مدير المستشفى: لابد من التدخل الجراحي فوراً لإنقاذ الزعيم.

كبير الأطباء: لكن يا سيدي هناك تليف بالكبد ونسبة البولينا مرتفعة جداً في الدم. . . فضلاً عن ضيق التنفس الذي لا شك سوف يزيد

عندما نقوم بتخدير الزعيم لإجراء تلك الجراحة الدقيقة.

مدير المستشفى: لابد من التدخل.. لابد من إيقاف هذا النزيف فوراً.. بأي طريقة وبأي وسيلة.

ألا تعلم إذا لم ننجح في إيقاف هذا النزيف فوراً.. ماذا سيحدث لنا؟

كبير الأطباء: أعلم يا سيدي المدير.. أعلم أنه سيتم إيقاف حياتنا كلها.. فهوالذي قتل ربع مليون نفس من عمال المناجم وغيرهم من الأسبانيين.

مدير المستشفى: أغلق فمك لا تتكلم.. ولا تتحدث عما فعله الطاغية فينا نحن الأسبانيون... لا تفتح فمك.. فالتاريخ يعرف من هوفرانكو الطاغية الذي نفى أكثر من نصف مليون مواطن أسباني بعيداً عن الوطن الأم واستمر الناس في موات حقيقي وامتلأت السجون بالأحرار.

كبير الأطباء: أنت الذي تتحدث عن الطاغية بشكل سيء يا سيدي المدير.

مدير المستشفى: ماذا أفعل: فكل أسبانيا تتحدث عن ظلم الطاغية لها وتتحدث أيضاً عن أن فرانكوالذي تراه الآن جثة هامدة في غرفة الإنعاش عاش معزولاً عن شعبه يحكم من خلال البندقية ويظن أنه مبعوث العناية الإلهية.

كبير الأطباء: وهوالآن معزولاً في غرفة الإنعاش لا يوجد أحد حوله سوى ابنته وزوجته.

مدير المستشفى: وأين إخوته الكبير والصغير.

كبير الأطباء: أنت تعلم يا سيدي المدير أن علاقته بهما سيئة

للغاية.

مدير المستشفى: سيئة للغاية.

كبير الأطباء: أجل.

مدير المستشفى: لماذا؟!

كبير الأطباء: لأنه كان يحقد عليهم حقداً رهيباً.

مدير المستشفى: ولماذا كان فرانكويحقدِ على إخوته يا صديقي؟

كبير الأطباء: لأسباب كثيرة سيدي المدير؟

مدير المستشفى: وما هي هذه الأسباب؟

كبير الأطباء: هذا يتطلب مني وقتاً طويلاً يا سيدي المدير وهوَالآن في غرفة الإنعاش يلفظ أنفاسهِ الأخيرة ويتوجع من الآلام الشديدة المبرحة ببطنه وصدره ورجله.

مدير المستشفى: إن ضميرنا يحتم علينا أن ننتقل فوراً إلى غرفة الإنعاش لكن أيضاً أريد أن أعرف الكثير عن هذا الطاغية...

كبير الأطباء: لكن كيف لا تعرف من هوفرانكوطاغية أسبانيا سيدي المدير.

مدير المستشفى: أعلم عنه أنه يمثل إحدى الظواهر التاريخية في حياة أسبانيا.

كبير الأطباء: الظواهر التاريخية السيئة والمهنية للأسف سيدي المدير.

مدير المستشفى: لقد حكمنا بالحديد والنار وحول أسبانيا إلى مَعتقل كبير لقد منع الأحزاب وفرض الأحكام العرفية ولم يعط للصحافة حريتها.

كبير الأطباء: لعل هذه الأخيرة هي التي جعلت حياته الشخصية سراً من الأسرار العسكرية لا يعلم عنها أحد سوى بعضاً من التفاصيل الدقيقة.

مديرِ المستشفى: وأنت هل تعلم عن حياته الشخصية شيئاً يا عزيزي؟

كبير الأطباء: أعلم بالفعل سيدي المدير بالفعل أعلم كثيراً عن حياته منذ أن كان طفلاً صغيراً في مدرسة الآباء السيلزين الكاثوليكية.

مدير المستشفى: فلتحكي لي وأنا معك في طريقنا إلى غرفة الإنعاش الذي يرقد بها الطاغية.

وبدأ الاثنان في الاتجاه ناحية غرفة الإنعاش

في الطريق إلي غرفة الإنعاش

نرى ابنته حزينة تبكي بكاءاً حاراً وتنظر إلى أبيها من الخارج فنجد فرانكووالأجهزة الطبية على كل أجزاء جسمه.. غامض العينين يتنفس بصعوبة شديدة لونه شديد الاصفرار حيث أن البولينا مرتفعة جداً في الدم... البطن مرتفعة كالجبل يداري ارتفاعها ذلك الوجه الأسود الشاحب والممتقع لونه لقد ذهبت عنه القوة وحل حوله الضعف والمرض وأصبح كل شيء حوله مخيفاً مرعباً.. ترتمي ابنته في أحضان أمها وتسألها والدموع تنهمر من جفُونها كأنها سيل جارف من نهر ملتهب بالدموع..

الابنة: أمي

الأم: أجل يا ابنتي

الابنة: من هذا الذي يرقد جثة هامدة بتلك الغرفة الكئيبة الباعثة على

كبير الأطباء: لعل هذه الأخيرة هي التي جعلت حياته الشخصية سراً من الأسرار العسكرية لا يعلم عنها أحد سوى بعضاً من التفاصيل الدقيقة.

مدير المستشفى: وأنت هل تعلم عن حياته الشخصية شيئاً يا عزيزي؟

كبير الأطباء: أعلم بالفعل سيدي المدير بالفعل أعلم كثيراً عن حياته منذ أن كان طفلاً صغيراً في مدرسة الآباء السيلزين الكاثوليكية.

مدير المستشفى: فلتحكي لي وأنا معك في طريقنا إلى غرفة الإنعاش الذي يرقد بها الطاغية.

وبدأ الاثنان في الاتجاه ناحية غرفة الإنعاش

في الطريق إلي غرفة الإنعاش

نرى ابنته حزينة تبكي بكاءاً حاراً وتنظر إلى أبيها من الخارج فنجد فرانكووالأجهزة الطبية على كل أجزاء جسمه.. غامض العينين يتنفس بصعوبة شديدة لونه شديد الاصفرار حيث أن البولينا مرتفعة جداً في الدم... البطن مرتفعة كالجبل يداري ارتفاعها ذلك الوجه الأسود الشاحب والممتقع لونه لقد ذهبت عنه القوة وحل حوله الضعف والمرض وأصبح كل شيء حوله مخيفاً مرعباً.. ترتمي ابنته في أحضان أمها وتسألها والدموع تنهمر من جفونها كأنها سيل جارف من نهر ملتهب بالدموع..

الابنة: أمي

الأم: أجل يا ابنتي

الابنة: من هذا الذي يرقد جثة هامدة بتلك الغرفة الكئيبة الباعثة على

بدعوتي إلى حفل تكريم ولسوف تحضرين معي هذه الليلة ولا أنسى تلك الليلة يا ابنتي.

الابنة: لماذا يا أمي؟

الأم: أثناء تحركي وسط الحاضرين سمعت وزير الحربية «جيل روبلز» يقول لبعض المدعوين من القادة العسكريين رداً على سؤال أحدهم لماذا اختار فرانكولقمع إضراب عمال مناجم استوريا رغم أنه أصغر جنرال في الجيش الأسباني ولم يسمع أحد عن كفاءته ومجهوداته الحربية طيلة عشر سنوات..

فرد وزير الحربية «روبلز» عليه قائلاً

«لقد اخترته ليس لمهارة خاصة فيه أوكفاءة يتفوق بها على غيره ولكن لأنه شخص مطواع ينفذ الأوامر الصادرة إليه بصرامة كما يمكن تحريكه كما أشاء...

الابنة: إذن كان أبي ينفذ تعليمات رئيسه وزير الحربية آنذاك فهويؤدي واجباته العسكرية المنوط بها.

الأم: بل كان وسيلة يستخدمها (جيل روبلز) لتحقيق أهدافه الشخصية.

الابنة (بتعجب): أبي كان مجرد أداة لأهداف شخصية لوزير الحربية!

الأم: أجل

الابنة: كيف؟

الأم: كان جيل روبلز وزير الحربية آنذاك يحمل عداء قوياً للحكم الجمهوري في أسبانيا وكان يعمل جيداً أن فرانكوا يحمل بين جنبيه

نفس الشعور فاختاره لأنه سيقوم بالمهمة على أكمل وجه وسوف يقمع المتظاهرين والمضربين والمطالبين من العمال بحقوقهم وفعلاً قام أبوك بهذه المهمة الصعبة فقتل منهم ما يربوا على ٢٥٠ ألف عامل وشرد الباقي وطردهم ونفاهم خارج الوطن

الأم : ليقطع الحبل السري بينهم وبين الوطن.

الابنة: «يزداد البكاء عندها» وتنهمر الدموع على وجنيتها لماذا.. لماذا.. فعلت هكذا يا أبي ؟ ثم تقوم وتنظر من خلف النوافذ الزجاجية المحاطة حوله وهويتنفس الصعداء بصعوبة بالغة.

سكرات الموت في غرفة الانعاش

نرى كبير الأطباء مع مدير المستشفى يهرولان إلى غرفة الإنعاش لينقذا الطاغية فرانكومن الموت لكن هيهات أن يستطيعون عمل أي شيء مفيد أومجدِ لإنقاذ الطاغية.

كبير الأطباء: أنت تعلم أنه الآن فوق الثمانين عاماً سيدي المدير أي أنه في مرحلة الشيخوخة المتقدمة.

مدير المستشفى: كم من السنين له فوق الثمانين؟

كبير الأطباء: ثلاث سنوات يا سيدي.

مدير المستشفى: ثلاث سنوات فقط فوق الثمانين.

كبير الأطباء: أجل يا سيدي فلقد ولد في ٤ ديسمبر عام ١٨٩٢.

مدير المستشفى: في أي مقاطعة بأسبانيا.

كبير الأطباء: بمقاطعة فاليسبا.

مدير المستشفى: إنها في الشمال الغربي لأسبانيا.

كبير الأطباء: أجل يا سيدي بالتحديد في قرية «باهموند»

مدير المستشفى» (قرية باهموند). . إذن هومن الطبقة البرجوازية التي كانت في هذه القرية يا عزيزي.

كبير الأطباء: لا يا سيدي المدير.

مدير المستشفى: بل من الطبقة المتوسطة؟

كبير الأطباء: ولا المتوسطة يا سيدي.

مدير المستشفى: إذن هومن الطبقة الفقيرة هناك؟

كبير الأطباء: أجل يا سيدي. . فأبوه كان يحمل شهادة متوسطة يعمل بها محاسباً في البحرية الأسبانية.

مدير المستشفى: محاسباً في البحرية الأسبانية. . إنها وظيفة مرموقة يستطيع أن يعيل بها أسرة متوسطة.

كبير الأطباء: أجل يا سيدي. . استطاع الأب أن يلحق أخيه الكبير بسلاح البحرية حيث أصبح ضابطاً بالبحرية.

مدير المستشفى: والأخ الأصغر. . ماذا كان يعمل؟

كبير الأطباء: ضابطاً أيضاً لكن في سلاح الطيران.

مدير المستشفى: ولماذا أدخل فرانكوالسلاح البري أوالمشاة. .

لماذا لم يدخل سلاح البحرية أوالطيران مثل أخويه؟

كبير الأطباء: كان فرانكوكسولاً وكان قصير القامة. . قليل الوسامة والوجاهة وكان ذا كرش كبير دائماً كان مدعاة للسخرية والاستهزاء به فاعتزل الناس وامتلأ صدره بالغيرة وكان عندما يتذكر جده الفلاح الأجير الذي كان أشبه بعمال التراحيل.

مدير المستشفى (بتعجب): جده كان فلاح أجير يعمل مثل عمال

التراحيل.. يا للهول.. يا للعار.

كبير الأطباء: أجل يا سيدي المدير.. فكان جد فرانكوالراقد أمامنا الآن وزعيم أسبانيا يعمل لدى كبار الملاك متنقلاً من مزرعة إلى أخرى ويضرب بالكرباج على ظهره وهذا ما جعل فرانكويبتسم في صمت عندما يذكره أي أحد بجده الفلاح الفقير والأجير المظلوم.

مدير المستشفى: «متأملاً ومتعقلاً» إن هذا ليس عيباً.. فهويعمل لكي يجد لقمة عيشه لكن العيب أن يجلد فرانكوالفقراء والفلاحين ويقتل العمال ويقهر المظلومين كان عليه أن يتخذ من قصة جده عبرة وعظة فيعطي الحرية للفلاحين ويرفع الظلم عن المقهورين.

كبير الأطباء: بل العكس هوالذي حدث يا سيدي المدير

فبعد أن التحق فرانكوبمدرسة الحرب الملكية لم يلبث أن دب الغرور في عقله وغرس الكبرياء في نفسه وبعد أن ارتدى بدلة الضباط بدأت الأحلام تداعب خياله.

علاقة شاذة بين فرانكو وأمه

مدير المستشفى: كيف يا عزيزي؟

كبير الأطباء: لم يكن فرانكويمتلك أي عبقرية عسكرية لكن الحظ خدمه حيث انتظم في خدمة رؤسائه وإطاعة الأوامر العسكرية الصادرة له وتنفيذها حرفياً مما جعله يرقى سريعاً وقد عين جنرالاً في سنة ١٩٢٥ فكان بذلك أصغر جنرال في الجيش الأسباني.

مدير المستشفى: هل تزوج في تلك الفترة؟

كبير الأطباء: لم يتزوج؟

مدير المستشفى: لماذا؟
كبير الأطباء: كان أوديبياً؟
مدير المستشفى: يا إلهي.. فرانكوكان أوديبياً؟
كبير الأطباء: أجل يا سيدي المدير؟
مدير المستشفى: لا أصدق.
كبير الأطباء: فلنسأل زوجته.. ها هي بجوارنا تنتظر شفاء فرانكو؟
مدير المستشفى: تنتظر شفائه أم موته؟
كبير الأطباء: بل تنتظر موته لأنه عذبها عذابات كثيرة وانشغل عنها بحب أمه (ماريا) فكان على علاقة حب شاذة مع أمه رغم أن والده أدخله مدرسة الأباء السيلزين الكاثوليكية لكي يتعلم القيم الدينية ولكنه بعد عدة أعوام من الدراسة اكتشف أن القيم الدينية لا وجود لها عند والده حيث كان سكيراً ودائم لشرب الخمر والعربدة وكان زير نساء يعشق النساء ويهوى ممارسة الرذيلة معهن.
مدير المستشفى: لابد أن والد فرانكوكان يهمل زوجته (ماريا).
كبير الأطباء: أجل يا سيدي فلقد كان قاسياً معها أشد القسوة ولقد كان لذلك أثر كبير في أن فرانكوأحب أمه على طريقة أوديب في شذوذ جعله لا يعرف امرأة غيرها طوال حياته والتي وصلت إلى أكثر من ٨٣ عام.
مدير المستشفى: «متسائلاً في استغراب ودهشة:
إذن لماذا تزوج؟
كبير الأطباء: لم تمنعه علاقته بأمه من الزواج من المرأة التي تراها تجول أمام غرفة الإنعاش ولم ينجب سوى هذه البنت التي تراها تبكي.

مدير المستشفى: أراهما في قلق دائم واضطراب شديد فلم يكاد يمر يوم على فرانكوإلا وينهالا علينا بالأسئلة الحرجة... متى سيشفى فرانكو.. متى سيخرج من هنا... قلق واضطراب دائمان.

كبير الأطباء: إن حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم يا سيدي فمنذ ١٥ عام وهويعاني من تورم في القدم اليمنى ولم يعرف أحد من الشعب ولم يعالجه سوى أنا يا سيدي لكن الآن الحالة تزداد سوءاً والعالم كله يترقب الموقف «الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا وحكومة المنفى التي تشكلت في ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥ والتي ترأسها الجنرال المعارض «جوزيه جيرال»..

مدير المستشفى: وهل سينجح جوزيه جيرال في إقصاء فرانكوعن الحكم؟

كبير الأطباء: أرجومن سيدي المدير أن يعافيني من هذه الإجابة الآن...

مدير المستشفى: هل تخاف يا عزيزي؟

كبير الأطباء: أحياناً يكون الحذر مطلوباً يا سيدي.

مدير المستشفى: لكن الطاغية يرقد لا صوت له ولا أذن ولا يهمس بأي شيء.

كبير الأطباء: إنه لا ينسى شيئاً أبداً... فربما يسمعني الآن فيقتلني بعد خروجه من هنا.. كما فعل في أعضاء الحكومة الجمهورية التي نفته إلى جزر كناري وعندما عاد انتقم منهم جميعاً وقام بتصفيتهما جسدياً دون رحمة أومحاكمة بل قام بتصفية كل الذين ناصروه ووقفوا بجانبه حتى وصل إلى السلطة.

مدير المستشفى: لا شك يا عزيزي أن قصة وصوله إلى الحكم والسلطة كانت شائكة وصعبة للغاية.

كبير الأطباء: بل كانت بالغة الصعوبة.

مدير المستشفى: كيف يا صديقي؟

كبير الأطباء: بل ليس الآن أستطيع أن أقول لك يا سيدي؟ فالزعيم يعاني سكرات الموت؟

مدير المستشفى: لن نستطيع عمل أي شيء.. كل ما في وسعنا قدمناه له طوال ٣٥ يوماً... وضعنا كل إمكانيات المستشفى الطبية... لكن هناك دائماً أشياء لا نستطيع القيام بها كأطباء.

كبير الأطباء: عندي اقتراح جيد سيدي المدير؟

مدير المستشفى: تفضل به يا عزيزي.

كبير الأطباء: ندخل بالقرب من سرير فرانكو.. ونتظاهر بأننا نقوم بالكشف عليه طبياً وسأحكي لك على كيف وصل فرانكوإلى السلطة.

مدير المستشفى: ربما يسمع الحوار الدائر بيننا وأنت تخاف أن يقتلك إذا سمع جزءاً من الحوار.

كبير الأطباء: إنه جثة هامدة الآن... إنه في مرحلة متأخرة والحشرجة الحلقومية ويعاني سكرات الموت.. لابد أنه راحل اليوم بل الساعة بل في هذه اللحظات سوف تصعد روحه إلى السماء ليلقى مصيره... إلى الجحيم.

مدير المستشفى: وربما لا يذهب إلى الجحيم.

كبير الأطباء: بل حتماً سيذهب إلى الجحيم لتتعذب روحه هناك كما عذب الأسبانيين.

يا سيدي كانت أسبانيا في حاجة إلى ديكتاتور حيث توالت عليها الهزائم والنكسات وهزمت خلال الحرب الأسبانية الأمريكية عام ١٨٩٨ وتحطم أسطولها.

مدير المستشفى: لكن أسبانيا لم تهزم فقط في الحرب الأمريكية على حد معلوماتي السياسية القليلة فأنا لست مثلك يا عزيزي لا أقرأ كثيراً في السياسة.

كبير الأطباء: أنت تقصد وتلمح إلى هزيمة أسبانيا في الريف المراكشي بالمغرب عام ١٩٢١ على يد عبد الكريم الخطابي.

مدير المستشفى: أجل يا عزيزي لقد قرأت أن أسبانيا خسرت من قواتها ما بين خمسة عشر ألف قتيل في هذه المعركة النكراء.

كبير الأطباء: كانت هزيمة عسكرية شديدة الوطأة على الشعب حتى أنه أخذ يطالب بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق وخاصة أن بعض الفضائح بدأت تزكم الأنوف وتؤكد أن الملك ألفونسوالثالث عشر وحاشيته لهما ضلع في هذه الهزيمة فخاف على عرشه وقام بتعيين «برميودي ريفيرا» أحد الجنرالات المشهود لهم بالقسوة والغلظة رئيساً للوزراء في سبتمبر ١٩٢٢ فقام بمنع المظاهرات وعطل البرلمان وفرض الرقابة على الصحافة وحكم البلاد بالحديد والنار.

مدير المستشفى: لقد كان طاغية مستبد... لكن الشعب لم يسكت ولم يركن إلى الظلم فأنا أعلم مثل أي أسباني في أسبانيا أن قوى الشعب هي التي انتصرت في النهاية.. فبعد ٧ سنوات وبالتحديد في سنة ١٩٣١ وصلت الأحزاب السياسية المؤمنة بالحكم الجمهوري إلى السلطة.

كبير الأطباء: وهرب الملك ألفونسوالثالث مع حاشيته خارج البلاد وتشكلت حكومة اشتراكية يسارية وأعلن النظام الجمهوري في أسبانيا . . . وكانت الكنيسة ضد هذا النظام لأنه صادر أملاكها ولم يقدر النظام الجمهوري الحفاظ على الأمن العام في أسبانيا مما جعل البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب وزادت البطالة في البلاد.

مدير المستشفى: وأين فرانكومن كل هذه الأحداث يا عزيزي؟

كبير الأطباء: الأحداث خدمته بصورة كبيرة ولعب القدر لعبته العجيبة مع فرانكو.

مدير المستشفى: كيف لعب القدر لعبته العجيبة مع فرانكو؟

كبير الأطباء: كان هناك قائداً عسكرياً يسمى «كالفوسنيلو» يقود القوات الأسبانية فيما وراء البحار وشكل قيادة عسكرية تسمى قيادة الثورة أوثورة الضباط وكان يقود حركة معارضة قوية ضد الحكم الجمهوري وكان من ضمن أعضاء هذه الحركة «فرانكوالذي أمامك الآن راقداً بين الحياة والموت وأيضاً كان هناك جنرالاً يسمى «مولا» وجنرال يسمى «سان جورجو» وهوالذي خلف (كالفوسنيلو) بعد أن لقى مصرعه في حادث طائرة عسكرية كما أن القدر لعب لعبته أيضاً فلقى الجنرال مولا (وسان جورجو) حتفهما إثر حادث طائرة أيضاً.

مدير المستشفى: وأصبح الطريق خالياً أمام فرانكوليتولى هوقيادة ثورة الضباط بالجيش الأسباني باعتباره أقدم الرتب العسكرية.

كبير الأطباء: وفي ١٨ يوليوعام ١٩٣٦ أعلنت ثورة الضباط الحرب على الحكم الجمهوري وزحف فرانكوا بقواته وجوده ناحية أسبانيا حيث بدأت الحركة الثورية من مدينة (مليلة) بالمغرب وكانت معظم طوائف الشعب

مع فرانكووأيضا كبار الملاك وكبار رجال الصناعة والتجارة والكنيسة والقوات المسلحة لكن الحكومة الجمهورية أقام إيطاليا والمانيا فوقفت بجانب فرانكوقاومت ثورة الضباط وظلت الحرب الأهلية مستعمرة لمدة ثلاث سنوات متصلة وقامت روسيا وفرنسا بمساندة الحكومة الجمهورية حتى وصل إلى السلطة وأعلن نفسه رئيساً للدولة الأسبانية في أول أكتوبر عام ١٩٣٦ وفي نفس العام اعترفت به إيطاليا وألمانيا. . . فلقد أمده الدوتش موسوليني بما يقرب من ٦٠ ألف جندي منهم ٥٠ ألف مغزي بينما كانت حكومة الجمهورية لديها ٣٠ ألف جندي.

مدير المستشفى: لا أنسى ذلك اليوم يا عزيزي الذي سقطت فيه مدريد عاصمة أسبانيا في يد هذا الطاغية لقد خسرت أسبانيا بسبب هذه الحرب الأهلية ما يزيد على مائة ألف نسمة وبلغت نفقاتها نحو ٣ آلاف مليون جنيه إسترليني.

كبير الأطباء: هل تعلم أنها تعادل أكثر من مليار جنيه إسترليني الآن يا سيدي.

مدير المستشفى: أعلم ذلك جيداً يا عزيزي كما علمت أن فرانكوأعاد تأسيس (الكورتز) مجلس النواب أوالبرلمان الأسباني كما نسميه نحن.

كبير الأطباء: بل قل أنه أعاد تعيين أعضاء مجلس النواب فهوالذي اختارهم بنفسه وهم ٤٣٨ عضواً من فئات متنوعة ليكونوا طوع بنانه ووجد في الكنيسة سنداً شرعياً لحكمه فأيدها في كل ما تقوله وما تفرضه وصادر الصحف وفرض عليها الرقابة وزج بمعارضيه في السجون حتى أن أسبانيا تحولت إلى سجن كبير حتى وقف المجتمع الدولي في وجه فرانكووأعلن في مؤتمر سان فرانسيسكو«إبعاد أسبانيا عن عضويته كدولة

مؤسسة للأمم المتحدة كان ذلك في ٢٠ يونيو١٩٤٥.

وصية الطاغية (خارج غرفة الإنعاش)

نرى الزوجة ومعها ابنتها وهي تفتح لها ورقة مكتوب فيها بعض الكلمات

الأم: هل تعلمين ما في هذه الورقة يا ابنتي؟

الابنة: لا يا أمي.. هل هذه وصية أبي فرانكو

الأم: لا.. بل هي منشور من المنشورات التي صدرت ضد حكم أبيك عن الثوار والشعب الأسباني

الابنة: وماذا يقولون فيها؟

الأم: «على أولئك الحزانى البائسين على ما وصلت إليه أحوال الأمة الأسبانية من تمزق وتفتت وتشتت إلى الذين فقدوا الثقة حتى في أنفسهم في إمكانية إصلاح أحوال بلادنا وإلى المؤمنين بعقيدتهم والمناضلين من أجل ذويهم نقول لكل هؤلاء... لا تيئسوا فسوف نحطم الأسوار وننطلق لبناء مجتمع الأحرار فلا يوج قفص ليوضع في داخله شعب بأسره ولا يمكن أن تحبس رياح الحرية لأن هذه الحرية هي السوط الذي سنجلد به الظالمين يا إلهي إلى هذه الدرجة كان أبي ديكتاتوراً يا أمي

الأم: مازلت صغيرة يا ابنتي.. لقد كان والدك يحب السلطة ويعشق سفك الدماء أكثر من أيَ شيء كان دائماً يغير بقوته وكان يريد أن يبقى على كرسي الحكم حتى أبد الأبادين لكن الله فوق كل شيء...

لقد نفى أكثر من نصف مليون مواطن وأعدم أكثر من ٢٥٠ ألف مواطن أي ربع مليون وامتلأت السجون بالأحرار في عهده... فكان يحكم من خلال البندقية وكان يظن أنه مبعوث العناية الإلهية.

عندئذ خرج كبير الأطباء ومعه مدير المستشفى بعد أن رأى (فرانكو) قد جحظت عيناه وفتح فمه.. وأخذت الرغاوي مختلطة بالدماء تسيل من فمه ونزلت على وجهه هالة سوداء وكأن رأسه قد دخلت مدخنة وتلطخت بالسواد والهباب.. كل شيء يدعوا إلى الخوف الرهيب... لقد توقف القلب عن النبض كما توقف الأنف عن التنفس والصدر عن عمليتي الشهيق والزفير.

يقتربان من زوجة فرانكووابنته فيجدون أن ابنته تقرأ في منشور آخر كان الجبهات الشعبية الأسبانية قد وزعته ضد فرانكوالطاغية يقولون فيه إلى الشعب الأسباني

لا ترهبوا من الطغاة.. ولا تحسبوا أنهم سيحكمون إلى الأبد... إنهم يقفون على حافة نهر اللا نهاية الذي لونوا مياهه بالدم والموت وسرعان ما يسقطون فيه حيث تلحقهم لعنة الشعب ولا تنصفهم رحمة التاريخ.

(باتستا)

طاغية كوبا

- يقتل ابنه بنفسه ليخمد ثورة الثوار
- نهب ٣٠٠ مليون دولار من قوت الشعب الفقير

يقول أفلاطون عن الطغاة في التاريخ «أن الطاغية يتولى الحكم في الأصل لكي ينقذ البلاد في حالة الفوضى التي تتردى فيها ويبدأ في الأيام الأولى من حكمه في التقرب من الناس وفي مبدأ الأمر لا يلقى كل من يصادفه إلا بالابتسام والتحية ويستنكر كل طغيان ويجزل الوعود الخاصة والعامة وبعض من الديون ويوزع الأرض على الشعب وعلى مؤيديه ويتصنع الطيبة والود مع الجميع وفي الوقت ذاته يبدأ في تكوين حرس قوي حوله بحجة المحافظة على مطالب الشعب ومراعاة مصلحة الشعب ذاته وبعد تكوين الحرس الجيد الذي يلتف حوله لحمايته يبدأ في تأمين وجوده في الداخل والخارج فبالنسبة لأعداء البلاد في الخارج فإنه يتفاوض مع بعضهم ويقاتل البعض الآخر حتى يتخلص منهم بشتى الطرق ثم يتجه إلى الداخل فيتخلص من المناوئين له «وعندما يأمن هذا الجانب فإنه لا يكف عن إشعال الحرب تلوالأخرى حتى يشعر الشعب أنه في حاجة إلى قائد وكذلك حتى يضطر المواطنون الذين أفقرتهم الضرائب إلى الإنشغال بكسب رزقهم اليومي بدلاً من أن يتآمروا عليه وعندما يجد زعيم الشعب نفسه سيداً مطاعاً فإنه لا يجد غضاضة في سفك دماء أهله، فهويسوقهم إلى المحاكمة بتهم باطلة وهي طريقة مألوفة لدى هذه الفئة من الناس إنه يحتقر القوانين المكتوبة وغير المكتوبة ولما لم يكن شيء يقف فيَ وجه الطاغية المستبد فإنه يصبح عبدا للجنون أوينقلب حكمه إلى كارثة فهويقتل المواطنين ظلماً وعدواناً ويذوق بلسان وفم دنسين دماء أهله ويشردهم عندئذ يصبح هذا الرجل طاغية ويتحول إلى ذئب.

وهذا ما حدث مع طاغية كوبا باتستا ذلك الضابط العادي في الجيش

الكوبي والذي قفز من صفوف الجيش ليصبح قائداً للجيش الكوبي بل زيد على ذلك أنه أختير عضواً في مجلس الشيوخ واستولى على زمام الأمور معتمداً على ولاء الجيش له.

كان «ماشدوجيراردو» أخطر من باتستا حيث كان طاغية كوبا قبل باتستا فلقد عاش في الفترة من ١٨٦٢ إلى ١٩٤٠ وقد انتخب رئيساً لجمهورية كوبا عام ١٩٢٤ ولكي يستمر حكمه آثار فتنة طائفية بين شعب كوبا وهذا ما ذكره أرسطوفي كتابه السياسية،حيث قال إن الطاغية قد يلجأ إلى إشعال نار الفتنة بين الشعب لكي ينشغلون عن التآمر ضده وبعد ذلك قام الشعب بإجبار الطاغية «ماشادوجيراردو» على الهرب وكان ذلك في ١٢ أغسطس ١٩٣٣ بعد أن حكم كوبا لمدة ٩ أعوام بالحديد والنار..

فوق جبال (سييرا مايستيرا) بكوبا

نبدأ المشهد الأخير لنهاية الطاغية باتستا من فوق جبال سيبرا (مايسترا) بكوبا حيث نرى جزيرة كوبا الكبيرة والرئيسية وحولها تتناثر عدة جزر أخرى وصغيرة وعلى بعد ١٣٥ ميلاً أو٢١٧ كيلوا متراً نرى ولاية فلوريدا الأمريكية..

نجد شاباً ثائراً ذولحية طويل القامة أشعث الشعر غير مهندم في شعره يبدوأنه تعود على شظف العيش بين الجبال والهضاب ويمسك بندقية كلاشينكوف ويشد الزناد ويتركه ويقوم بعملية تنظيف أوبالأحرى صيانة لبندقيته نري حوله اثنى عشر رجلاً محارباً منهم من يقوم بعمل الشاي الكوبي ويشعل السيجار الكوبي ومنهم من يعطي القائد كأساً من الخمر

إن هؤلاء هم جماعة شيوعية اشتراكية أطلقت على نفسها (جماعة ٢٦ يوليو) بقيادة الشاب الثائر والمحامي الذي امتهن مهنة المحاماة فيدل كاسترو.

يقوم فيدل كاسترووينظر إلى المساحات الشاسعة من أرض كوبا ثم ينظر إلى السماء قائلاً ومحدثاً لنفسه:

أما أن الأوان يا وطني العزيز أن تتحرر من العبودية والاستعمار.. ثم يتجه إلى الاثنى عشر مقاتلاً معهم ويحدثهم عن تاريخ كوبا قائلاً لهم: «كان أول استعمار لكوبا هوالأستعمار الأسباني الذي قسم البلاد إلى مناطق محلية.

أحد الثوار: كانوا يريدون السيطرة على إنتاج كوبا من السكر الذي كان يمثل ٣٣٪ من الإنتاج العالمي.

فيدل كاسترو: كلهم يريدون نهب ثروات كوبا يا رفيقي.. حتى باتستا الذي يحكمنا الآن نهب أكثر من ٤٠ مليون دولار في فترة رئاسته الأولى لكوبا.

جيفارا: (غاضبا) وإلى كم من الملايين وصلت ثروته الآن؟

فيدل كاسترو: أكثر من ٣٠٠ مليون دولار... بينما الشعب جائع وفقير يعاني ويلات الفقر المدقع... لهذا لابد أن ننقض عليه انقضاض الأسود على الغنم.

أحد الثوار: هل نهجم على قصر باتستا؟

فيدل كاسترو: أجل... لن ننتظر حتى يأتي إلينا لملاقاتنا في المعركة بل سنذهب إليه وفي عقر داره ونقتله ونمثل بجثته ونسحقه تحت أقدامنا.

الثائر جيفارا: لكن باتستا يحكم البلاد بقبضة من حديد يا سيدي...

فله أكثر من عشرين جهة أمنية تحميه وتحمي نظامه الفاشستي القائم على القهر والظلم والغدر والخيانة.

فيدل كاسترو: إن حرية الإنسان أثمن ما لديه في هذه الحياة وأقدس ما يملكه يا رفيقي فإن فرط فيها أصبح لا وجود له ولا كيان لوجوده ودائماً التاريخ يتوقف يا رفاقي عند الاعتداء على حريات الشعب ومواطنين الدولة... التاريخ يقف دائماً عند اعتقال شخص بدون جريمة أوحبس مواطن بدون خطيئة أوتعذيبه أوإهانتة أوإذلال إنسانيته.

أحد الثوار: حقاً يا زعيم... إن كوبا لم تعاني ولم تقاسي في عصر الاستعمار الأسباني كما عانت في عصر هذا الطاغية باتستا لقد كان أكثر دموية وإرهاباً من الأسبان أنفسهم لقد أسس جهاز الجستابوللتجسس علينا وعلى الشعب الكوبي وتشبه بالنازيين وهوعميل للاستعمار الأمريكي حتى هذه اللحظة.

فيدل كاسترو(منزعجاً): إن الذي يغيظني ويكاد يفجر عقلي أنه خصص معظم ميزانية كوبا لأجهزة التجسس والمخابرات على الشعب حتى وصلت إلى ٢٠ جهة تجسس أخطرها منظمة (باتستا) التي تحمل اسمه والذي يزيدني حنقاً وغيظاً أنه وضع السفاح (ميجيل أوجالد كاريللو) على رأس هذه المنظمة.. يقوم ميجيل بعمل مقابر جماعية للمعارضين له.

أحد الثوار: هكذا هي كوبا يا سيدي لا يحكمها إلا الطغاة والمستبدين فمن قبل باتستا كان (ماشدوجيراردو) لمدة تسعة أعوام ثم جاء (جراوسان مارتان لامون) لقد ساءت سمعة كوبا يا سيدي بين دول العالم.

فيدل كاسترو: ولذلك أحلم بأن نصل إلى السلطة حتى لا يسلب

إنسان حريته وتقتل في داخله روح الانتماء والكرامة ولا يزرع في قلوب الناس الخوف والتردد ولا يمس وجدانهم قهراً أوظلماً حتى يسجل لنا التاريخ أننا عادلون وليس ظالمون وتحذف من تاريخ كوبا يا رفيقي كل الأمجاد التي اقترنت بالظلم والقهر والاستعباد.

أحد الثوار: متى. . . متى أيها الزعيم. . ؟

فيدل كاسترو: لقد خاضت كوبا صراعاً طويلاً ومريراً معركة طويلة وقاسية مع الاستعمار الأسباني حتى تحرر العبيد وانتهت العبودية من بلدنا كوبا عام ١٨٨٦ ودخلنا حربين متواليتين مع الأسبان الأولى كانت عام ١٨٦٨ واستمرت لمدة عشرة أعوام. . هل تذكرون تلك الحرب أيها الرفقاء جيداً.

أحد الثوار: ومن منا ينساها أيها الزعيم. . . لقد كان الأسبان في منتهى القسوة. . . يقتلون من يطالب بحريته ويصلبون الفلاحين في المزارع إذا لم يأتمروا بأوامرهم ولكن المقاومة استمرت والثوار ظلوا صامدين أمام الاستعمار الجبان حتى فقد أكثر من ٢٠٠ ألف جندي في هذه المعركة.

فيدل كاسترو: إن للاستبداد جذور قديمة ضاربة في أعماق التاريخ ولابد من استئصالها من كوبا. . فكوبا لن تعرف الطغاة من بعد باتستا فمنذ أن بدأنا حرب الاستقلال الثانية عام ١٨٩٥ والتي استمرت لمدة ٣ سنوات بمساعدة الأمريكان لكن الأمريكان لا عهد لهم ولا كلمة. . فبعد أن ساعدونا في حربنا مع الأسبان قاموا هم بمساعدة الطاغية باتستا لتكون لهم اليد العليا في إدارة مقاليد الحكم فلقد أعطاهم باتستا الطاغية ذلك الذئب المفترس حق الإشراف الكامل على سياستنا الخارجية.

الثائر جيفارا: ليس هذا فقط أيها الزعيم فيدل كاسترو.. بل حصلت أمريكا على حق إنزال القوات الأمريكية في كوبا في أي وقت تشعر فيه أمريكا أن كوبا في خطر.

فيدل كاسترو«صارخاً في السماء»: بل الأدهى من ذلك والأكثر خطورة أيها الرفاق.. أنه سمح لأمريكا بإقامة قاعدة عسكرية هنا في كوبا... أجل هنا علي أرض كوبا يدنس الأمريكان أرضها بأقدامهم.. يا للهول.. يا للعار

أحد الثوار: يا إلهي.. ما هذا الذي يحدث لنا... هل سمح بهذه القاعدة لكي يحمي نفسه وعرشه أم يحمي كوبا.

فيدل كاسترو: طبعاً لكي يحمي هذا الطاغية نفسه أولاً.. هناَ في جوانتانامو) يدنس الأمريكان أرض كوبا العظيمة.. أرضنا جميعاً أيها الرفاق.. لقد باع الطاغية أرض كوبا إلى الأمريكان... بل جعل كوبا أكبر منطقة استثمارية أمريكية وارتفعت نسبة الأموال المستثمرة في كوبا من ٤٠ إلى ٥٠ مليون عام ١٨٩٦ الآن وصلت إلى ٨٠٠ مليون دولار أمريكي أيها الرفاق.

الثائر جيفارا: إن الطاغية باتستا عقد معاهدة «بلات» مع أمريكا أيها القائد وبها أصبحت أمريكا تسيطر على كوبا بل أصبحنا مستعمرة أمريكية بعد أن كانت أسبانية.

فيدل كاسترو: ولذلك لابد أن نخطط لاغتيال باتستا وقتله حتى لا يتحول إلى ذئب مفترس يمص دماء كل من يقابله من البشر... إنه وضع لأول مرة في كوبا نظام السخرة للجنود فسخرهم لخدمة كبار موظفي الدولة من العسكريين الذين لطخت رؤوسهم إلى أقدامهم بدماء

الشباب الكوبي أمثالنا.

لقد اغتال الشباب وهم في عمر الزهور... سانده في ذلك مجموعة من الخونة والتعساء والأشقياء الذين حلفوا اليمين لخدمة البلاد وحنثوا فيه... بل ساعدوا الطاغية على طغيانه وهؤلاء هم المتملقين والمنافقين.

الثائر جيفارا: واقفاً ثائراً ويصرخ في الهواء

لابد من سحق باتستا تحت الأقدام

لابد أن نسحق الطاغية

لابد أن نسحق الطاغية

فيدل كاسترو: لقد كانت الخدعة الكبرى في حياة الشعب الكوبي هووصول باتستا إلى السلطة أيها الرفاق... إن ما حدث في انقلاب مارس الذي قاده الطاغية ما هوإلا خدعة كبيرة استغلها الطاغية حتى وصل إلى الحكم وعندما وصل وتربع على العرش لم يفعل أي شيء من الوعود التي وعد بها بل كرس كل موارد كوبا لشراء الدبابات والمدافع والطائرات متصوراً أن الجيش هوتلك العصا الغليظة التي يبطش بها ويكمم الأفواه.

لكن هيهات... هيهات... أن يفلح الطاغية.

أحد الثوار: الناس جوعى والنساء جفت ضروع اللبن في صدورها لم يعد هناك أم أومرضعة ترضع طفلها... الفلاحون معذبون... الشباب لا يعملون ولا يجدون وظيفة.

فيدل كاسترو: أيها الرفاق

الثوار: أجل

فيدل كاسترو: جاءتني فكرة عبقرية الآن وأريد أن أطرحها عليكم

أحد الثوار: ما هي

فيدل كاسترو: أن ندعوهؤلاء الشباب للانضمام إلى جماعتنا هذه ونشرح لهم أهدافنا... فلابد لهم من أن يساهموا معنا في صنع المستقبل...

أحد الثوار: سأدعوهم جميعاً للاشتراك في جماعتنا أيها الزعيم.

فيدل كاسترو: إني واثق أنهم سيلبون الدعوة خاصة أن حكم الطاغية باتستا رصف طريق الشعب بالآلام والخيانات والوعود الكاذبة.

الثائر جيفارا: أنسيت أنه يقوم الآن بالتصفية الجسدية لكل العناصر الوطنية في كوبا وملأ السجون والمعتقلات بهم حتى امتلأت السجون عن آخرها وتمنى الكثير من رجال كوبا الموت على أن يعيشوا في عصر الطاغية باتستا... فلابد أن يضحي الشباب معنا يا سيدي لكي يصنعوا مستقبلهم بأيديهم... ويحررون أرض بلادهم بدمائهم... فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بحد السيف وصوت البندقية.

في قصر باتستا

يجلس باتستا على كرسي فخم وثير وحوله الحراس يهفهفون على رأسه بريش النعام ويضحك ضحكات عالية ثم يقوم من مكانه ويمسك ذراع الحارس الأول ويقول له اسمع أيها الحارس..

الحارس: أمر مولاي

باتستا: عليك أن تموت من أجلي ومن أجل حكومة كوبا.. عليك أن تعطيها دمك وعرقك

الحارس: وهي ماذا سوف تعطيني يا مولاي؟
باتستا: أتسأل عن حقوقك أيها الوغد الحقير..
لا أحد يسأل عن حقوقه.. كلنا نعطي فقط ولا نأخذ... لكن أنا سأعطيك حقوقك
الحارس: حفظ الرب يا مولاي
باتستا: أتعرف ماذا سوف أعطيك من حقوق بعد أن تدفع دمك وعرقك من أجلي ومن أجل حكومة كوبا ومن أجل بقائك في هذا القصر؟
الحارس: ماذا يا مولاي... لابد أنك ستعطيني الكثير والكثير فأنت كريم جواد
باتستا: قه.. قه.. قه.. سوف تقدم لك خطاب شكر وترقية
الحارس: حفظك الله ورعاك يا مولاي الملك
باتستا: لكن بعد وفاتك لأنك لن تكون في حاجة إليه في حين نظل نحن نزداد ثراء وفي عيش رغد أرجوك أيها الحارس أنت وكل جندي على أرض كوبا اقتلوا كل معارض لحكمي.. عاملوا الشعب بالسوء واضطهدوه وحينما تضيق الناس ذرعاً بهذا كله فسوف تدفع أنت ثمن جرائمنا
(قه.. قه.. قه.. قه)
يضحك ضحكات هستيرية
أين هم الثوار الآن ؟ إنهم فوق الجبل يعانون الغربة والوحدة والوحشة ولابد أنهم مقتولون وسيلقون نفس المصير الذي لقيه المعارضين لي في كوبا..

لقد ظن كاستروو جيفارا أنهم يعبران عن كوبا وشعبها العريق، كوبا عشقي الوحيد...

لقد أعطتني الكثير والكثير.. وهبتني ما كنت أحلم به وما لم أحلم به...

ولن يستطيع أحد أن يسحب البساط من تحت قدماي أنا باتستا العظيم... وفيدل كاستروذلك الشاب الأحمق وجيفارا الحقير سوف يداسان بالأقدام وتسحقهم أقدام جنودي.

فوق قمة الجبل

نرى الثوار بقيادة الشاب فيدل كاستروومعه رفقائه في الحرب ضد باتستا

فيدل كاسترو: يمسك غليونه ويسحب نفساً عميقاً وينفثه في الهواء وعينيه تنظران إلى كوبا من فوق الجبل ويحدث نفسه قائلاً

ها هي كوبا مساحة شاسعة خضراء تصل إلى ٩٢٢, ١١٠كم٢ إنها تشكل نصف أراضي مساحة جزر الهند الغربية.. وها هي هافانا العاصمة تمتد ٧٨٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب وتتسع في الجنوب الشرقي إلى ١١٩ ميلاً فقط بينما اتساعها في الشمال الغربي ١٩ ميلاً فقط.. إني أحفظ كل هذه الأرقام أيها الرفقاء كما أحفظ اسمي فيدل كاسترو..

قبل الغزوالأسباني كانت الهنود الحمر تسكن كوبا لكن الاستعمار أباد ثلثهم حيث كان عددهم في تلك الحقبة يتراوح ما بين ٨٠ إلى ١٠٠ ألف أما العبيد الذين جاءوا من أفريقيا فكان عددهم إلى ٨٠٠ ألف عبد.

أحد الثوار: كل ما ذكرته سيدي القائد من معلومات دقيقة عن كوبا من حيث المساحة وتعدد السكان ليس له علاقة بما نحن فيه الآن.

فيدل كاسترو: بل على العكس يا رفيقي إن له علاقة وثيقة لأننا عندما نمسك مقاليد الحكم بعد باتستا الطاغية يجب أن نعرف ما هي كوبا العظيمة الذي حولها الطاغية باتستا لمدة ست سنوات إلى معتقل كبير لقد أمسك مقاليد الأمور كلها في يده لم يجري أي انتخابات نزيهة في البلاد لم يعط كوبا أي تقدم أوتطور حتى قام ذلك الانقلاب الدموي الرهيب الذي حدث في مارس عام ١٩٥٢ وتولى (كارلوس بريوكارس) الحكم

أحد الثوار: لكن الطاغية لم يهدأ.. لم ينام واستعاد الحكم مرة ثانية

فيدل كاسترو: إنها من عجائب الزمن وغرائب القدر بل إنه الطاغية الوحيد في العالم كله يتقلد مقاليد الحكم مرتين وعلى فترتين الأولى كما ذكرنا عام ١٩٣٣ - ١٩٤٤

والثانية من ١٩٥٢ - ١٩٥٩

أي أنه حكم كوبا بالحديد والنار ١٨ عاماً واعتلى السلطة عن طريق الدم.. لابد من الهجوم على القصر.

قصر الطاغية باتستا

نرى روبرت فرناندز أخوزوجة باتستا وهومدير البوليس ينزل من سيارته الفارهة ويدخل القصر في سرعة خاطفة يجري الحراس الذين يقفوا أمام بوابة القصر مهرولين إلى الداخل ليبلغوا الطاغية عن هجوم الثوار على القصر مرددين هتافات ثورية « الموت لباتستا... القتل

لباتستا «

كوبا فوق الجميع. . . كوبا تحيا للجميع

ارحل أيها الطاغية باتستا عن كوبا

فكوبا للجميع

كل من يرى مدير البوليس يهرول ويصرخ يفرح فرحاً في أعماقه الداخلية لأن المشهد الأخير في نهاية الطاغية قد بدأ ولن تتوقف الأحداث على مسرح الأحداث إلا بإغلاق الستارة على نهاية الطاغية قد تكون نهاية مأساوية تراجيدية لكنها في النهاية قد بدأت الآن وقد تكون نهاية مفتوحة وقد تكون نهاية مسرورة وفرحة. . قد ينهزم باتستا وقد ينتصر المهم أن النهاية بدأت ولابد أن تنتهي لابد أن ينتهي القمع والقهر والظلم والعدوان قائلين لأنفسهم بداخل أنفسهم

(أيها الوحش الكبير تكسرت في راحتيك جماجم الأموات وألقيت علينا الموت كل دقيقة ما بين جوعى عندما وعراة القتلي في الطرقات وأنت تطارد الشيطان في الحانات.

يا دولة البغي والظلم الطويل تمهلي فالأرض تحيا بعد طول موات

فجأة يفزع باتستا من الضجيج الذي بالقصر متسائلاً ماذا بك أيها الوغد الحقير.

روبرت مدير البوليس: إن الثوار قد نزلوا فوق (سييراماتسيرا)

باتستا: أي ثوار يا وغد؟

روبرت مدير البوليس: ثوار (جماعة ٢٦ يوليو) التي يقودها ذلك المحامي الثائر فيدل كاسترو.

باتستا: إنهم رعاة وأبقار لا يصلحون للأعمال الوطنية

روبرت مدير البوليس: لكن سمعت الشعب ينضم إليهم وقد دعوا الشباب واستجاب لهم الشباب وتطوعوا للثورة ضدنا.

باتستا: لماذا لم تستخدم أساليب القمع والقهر لإخماد هذه الثورة.

روبرت مدير البوليس: لقد استخدمنا كل الأساليب أيها الزعيم. . . لكن يبدوأن جيفار وكاستروا يقومون بعمل تحصينات للثوار حتى أن أخت ثائر منهم قد اعتقلناها وأخذنا عين هذا الثائر أيها الزعيم ووضعناها أمامها وقلنا لها إن لم تقولي لنا أين أماكن الثوار وأين يختبئون لسوف نحضر لك عين أخيك الأخرى.

باتستا: لابد أنها قد أرشدتكم عن مكان الثوار؟

روبرت مدير البوليس: لا يا سيدي الزعيم.

باتستا: لا. . كيف. . لابد أنها تحافظ على عين أخيها الثانية لكي يرى بها الأشياء ويعيش مبصراً.

روبرت مدير البوليس: (مندهشاً) لقد قالت لرجالي إذا كنتم اقتلعتم عيناً ولم يتكلم ولم يخبركم عن الأماكن التي يختبئ فيها الثوار أأتكلم أنا وتنتظرون مني أن أبلغكم الموت أفضل من أن أخبركم على أماكنهم.

باتستا: إلى هذا الحد يؤمنون بأفكار ذلك الشاب الخائن فيدل كاسترو.

روبرت مدير البوليس: وجيفار أيضاً أيها الزعيم؟

باتستا: ماله جيفارا؟

روبرت مدير البوليس: يقول دائماً للشعب أنه يشعر بلطمة على خده حينما يزور منطقة بها مظلومين أوفقراء حتى أن ابنك (ريين) يؤيدهم ويستمع إليهم.

باتستا: ابني أنا مع الثوار الأوغاد.. فبدل أن يساعدني في الحكم وإدارة البلاد ينضم إلى هؤلاء الأوغاد... يا إلهي... ماذا فعلت من جرائم... حتى أن ابني فلذة كبدي يقف ضدي مع الثوار الأوغاد.

روبرت مدير البوليس: بل يمدهم بالأموال والمعونات يا سيدي.

باتستا: اسحق هؤلاء الثوار... اذبحهم جميعاً.. حتى يبتعدوا عني وعن ابني (ريين).

روبرت مدير البوليس: أمرك أيها الزعيم.

غداً سنطلق عليهم القذائف من كل مكان ونمطرهم بوابل من النيران...

باتستا: لكن بعيداً عن ابني (ريين).

روبرت مدير البوليس: طبعاً سيدي.. طبعاً.. سوف نأتي بريين ونحيطه بسياج من حديد أونحضره إلى هنا في القصر حتى لا يشترك معهم في المظاهرات مرة ثانية.

باتستا: ثم إن أساليب القمع التي تتحدث عنها وأنت مزهوبنفسك مثل فقأ عين ذلك الثائر الذي قبضتم على أخته وأخذت عينه له.. هذه أساليب تقليدية لا تسمن ولا تغني من جوع أيها الحكمدار... أين تقطيع الأوصال؟ أين تصليب الأجساد؟ أين الكي بالنار.. أين (الثور النحاسي) الذي يوضع فيه هؤلاء الثوار الأوغاد وتشتعل النيران من أسفله ثم نضع المزامير في منخار ذلك الثور فتخرج أنات هؤلاء وهم يصرخون كأنغام وألحان نستمتع بها سوياً...

هذه هي الطريقة التي أريد أن استمتع بها وهؤلاء يتعذبون أمامي...

روبرت مدير البوليس: سوف ترافقنا في هذه الجولة الممتعة أيها الزعيم الخالد باتستا

باتستا: لقد رافقتكم جميعاً في مذابح كثيرة... صحيح كانت مذابح دموية قاسية ومصحوبة بحقد وحزن وبؤس عميق في قتل الأسرى.. في تعذيب السياسيين.. اليوم أريد أن أرى مذبحة مختلفة عن كل المذابح التي رأيتها في حياتي.

روبرت مدير البوليس: ستكون مجزرة (مولوزا) اليوم هي أكبر مجزرة وحشية أيها الزعيم.. سوف نسحق الجميع سحقاً سوف نقدم لك رؤوسهم وجماجمهم على صينية من ذهب وأطباق من فضة

باتستا: أريد أن أرى رؤوسهم طائرة في الهواء وأعناقهم في الوحل.. والدماء تسيل من أفواههم وعيونهم جاحظة من كثرة الرعب والخوف.. أريد أن أرى أجسادهم ممزقة إرباً إربا

روبرت مدير البوليس: أمرك أيها الزعيم الكبير باتستا

في الساحة التي أمام القصر

يلتحم البوليس مع المتظاهرين من الثوار المهاجمين لباتستا الطاغية ومن بينهم (ريين) ابن الزعيم الطاغية باتستا يأمر مدير البوليس بإطلاق الرصاص على الثوار والمتظاهرين فيسقط عشرات القتلى مقتولين برصاص البوليس ويبدأ البوليس في جمع جثث القتلى لعمل مقابر جماعية لهم ويبدأ في فصل الرؤوس عن الأعناق ويقوم بهذه العملية جلادين في منتهى القسوة والوحشية بلا قلب وبلا مشاعر.. قساة غلاظ لا فؤاد لهم ولا ضمير.. وإذا يتقدم أحد الجلادين يحمل جثة ممزقة بالرصاص

ويضعها في الصندوق الخشبي الخلفي لسيارة تنقل الجثث إلى المقابر الجماعية ويفصل الرأس عن الجسد وهولا يدري من هذه الجثة ومن هوصاحبها. . وأرسلها مع رؤوس كثيرة إلى باتستا الطاغية لكي ينعم ويستمتع بذلك المشهد الدموي. . . إنه عاشق لمنظر الدماء. . . إنه يترنح من سفك الدماء إنه طاغية.

ذهب الجلاد إلى القصر وأمر حاملي رؤوس ؟ الثوار أن يقدمهم إلى الطاغية السفاح. . وفعلاً تقدم حامل الرؤوس إلى الملك الطاغية وأخذ الطاغية يتفحص الرؤوس باحثاً عن رأس فيدل كاستروأوجيفارا هؤلاء الذين يقضون مضجعه ويزلزلون أركان حكمه. . . .

باتستا: يمد يده ويقلب في رؤوس القتلى أين جيفارا. . أين كاسترو. . . ما هذه. . . يا إلهي إنها رأس ابني. . أقتلتم (ريين) ابني بدل أن تقتلوا الثوار. . قتلتم ابني (ريين) إنه وجه يحرقني بكل نظراته لي. . . إنه يوجه لي نظرات كالسيف المسموم نظرات تذكرني بذلك اليوم الذي حدثت فيه مشاجرة بيني وبينه. . كلماته تتردد في أذني

« صار الملك طغياناً
صار القهر سلطاناً
صار العدل سجاناً
صار الحق بهتاناً
لابد أن أقضي الوقت. . . كل الوقت في القصر سكراناً «

عندئذ هجم الثوار على قصر باتستا الطاغية وهرب من الباب الخلفي للقصر لكنه سقط تحت أقدام الثوار وسحقوه بالنعال. . . لكنه استطاع أن يفر هرباً من تحت أقدامهم حتى وصل إلى جمهورية الدومنيكان

لاجئاً وذلك عام ١٩٥٩

لقد جمع الطاغية باتستا أكثر من ٣٠٠ مليون دولار أمريكي من قلب الشعب الكوبي كما أعطى كل المناصب الهامة لأقربائه فكان مدير البوليس في هافانا هوأخوزوجته لكي يدعم حكمه كما لجأ إلى تعيين ألاف من أعضاءه في وظائف وهمية تدر عليهم آخر الشهر مرتبات منتظمة نظير أعمال لم يؤدها فضلاً عن انتشار الرشوة والمقامرة والفساد والانحلال وكانت أسرته تقتسم المشروعات الاستثمارية والتجارية في البلاد وتجمع من وراء ذلك أرباحاً طائلة وكان روبرت فرناندوز أخوزوجته يشرف على شبكة كبيرة من القمار ووصل دخله السنوي أكثر من عشرة ملايين دولار كما قامت زوجة باتستا باستغلال اليانصيب لتجني من ورائه أموالاً كثيرة ووصلت ثروة باتستا الطاغية إلى ٣٠٠ مليون دولار نهبهم من دماء الشعب الكوبي. لكنه قتل إبنه فلذة كبده بيده.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنما جزاوا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أويصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلفٍ أوينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الأخَرة عذابُ عظيمٌ».

(سورة المائدة الأية ٣٣)

لقد نفي باتستا في الأرضِ بعد أن ضاقت به الأرض.

حجاج بن يوسف الثقفي

جبار بني ثقيف .. وطاغية بني أمية

- قتل أكثر من ٢٠٠ ألف رجل
  و٣٠ ألف أمرأة
- ضرب مكة والكعبة المشرفة بالمجانيق

لم أسمع ولم أقرأ في حياتي عن رجل مات من ٧ أمراض مستعصية في وقت واحد كل نوع من هذه الأمراض كفيل بأن يقضي على أي إنسان. . . إنه الحجاج بن يوسف الثقفي جبار بني ثقيف الطاغية الرهيب والدكتاتور الذي روع القلوب والأفئدة كان مصاباً بالسرطان فدعوا الله أن يحفظنا ويحفظ كل من يقرأ هذه الكلمات من هذا المرض اللعين فآلامه موجعة وأعراضه رهيبة فهومحطم لخلايا الجسد وهادم لجسد الإنسان وقد ذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد رأى في عيون من حوله علامات التشفي وأدرك مدى ضعفه من الأمراض المستعصية التي فتكت به كما فتك هوبأرواح الناس وكان من هذه الأمراض عسر الهضم، قرحة بالمعدة، ارتفاع في ضغط الدم، طنين في الأذن، صداع مستمر ودائم وقد تعذبت روحه كثيراً وهي تخرج من جسده حيث عانى من صراع طويل وآلام رهيبة تكسر عظامه وحيث دنت ساعته المحتومة كان يردد بيتين من الشعر يناجي فيها ربه أن يبعد عن وجهه النار حيث كان يشعر دائماً بأنه داخل النار لا محالة وكأنه كان يرى نفسه في الدرك الأسفل منها وكان يغمض عينيه ثم يفتحها فجأة ويقول

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا   أيمانهم أنني من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويحهم   ما ظنهم بعظيم العفوغفار؟!

إنه على فراش الموت يعاني سكرات الموت و؟ ويطلب من ربه العفووالصفح من ذنوبه الكثيرة والثقيلة فكم أزهق أرواحاً من المسلمين وكان من أشد أعداء آل البيت. . وهل يعادي أحد آل البيت إلا أحمق ومتهور قد اعترف الحجاج قبل وفاته بقليل وهويعاني من حشرجة الروح في الحلقوم ومن مجاصبه النفس في الجسد قاتلاً

أن ذنبي وزن السماوات والأرض وظني بخالقي أن يحابي
فلئن منّ بالرضا فهوظني ولئن من الكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظلم وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب؟

لقد أقر الطاغية بأن ذنبه وزن السماوات والأرض ويتبجح إنه شيء مفزع حقاً أن تكون ذنوب إنسان وزن السماوات والأرض والغريب حقاً أنه يطمع في عفوربه عنه لقد قتل العلماء الأجلاء وشرد الأبرياء ومن هؤلاء العلماء الذين شردهم الحجاج الصحابي الجليل سعيد بن جبير الذي تلقى العلم عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عم رسول الله r والذي أطلق عليه أنه «حبر هذه الأمة» وكان سعيد بن جبير قد أخذ العلم أيضاً عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي وهب حياته للدين والفتوى فلقد أفتى الناس ٦٠ عاماً وكانت فتواه جامعة مانعة أفادت المسلمين كثيراً في أمور حياتهم ودينهم كما كان يماثل أباه ويشبهه في الفضل التقي وكان ابن جبير عالم جليل لا يخاف الله لومة لائم ولا طغيان حاكم فوقف في وجه الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية ولم يجزع ابن جبير ذلك العالم التقي الورع عف اللسان محبوباً من جميع المسلمين ومن أهم خصاله كانت الشجاعة وقول الحق والمروءة والشهامة . . .

ولذلك نسجل له هذا المشهد الأخير في حياته وهوأيضاً قبل وفاة الحجاج بخمسة عشر يوماً أنه مشهد يضم الحق والظلم والعدل والطغيان والحرية والقهر مشهد درامي مأساوي نرصده لكل طاغي وكل باغي يعبث في الأرض فساداً وينشر على ظهر البسيطه قهراً وظلماً ولم يترك سوى مواكب القتلى وأنات النساء ولم يستخدم إلا سيوف داحس وسهام

الغبراء ولم يتركوا سوى دماء آل البيت وعين الشمس مشنفة يعلق فيها رقاب العلماء وسيف البطش والقهر يقطع به رقاب العباد والخناجر تحصد قلوب الأولياء والفوارس تحت، أقدام الخيول تئن في كمد وتصرخ في استياء وكل جلاد يحدق النظر في الغنيمة ثم يسرق ما يشاء.

ويبدأ المشهد بجلادي الحجاج يجرون ابن جبير جراً لا يليق بعالم جليل ورع تقي قال عنه ابن عباس لأهل الكوفة وهم يستفتونه في مسألة فقهية «أتسألونني وفيكم سعيد بن جبير وجاء رجل إلى ابن عمر يسأله عن فريضة فقال له «أذهب إلى سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني وهويفرض ما أفرض.

ها هوالعالم الجليل شهيد الحق يجره جلادي الحجاج مكبلاً بالسلاسل مصفداً بالأغلال ويدخلون به إلى بهوالقصر الذي يجلس على كرسيه الفخم الوثير الحجاج الثقفي لكن يبدوعليه التعب والإرهاق والأعباء من شدة المرض أوداجه منتفخة من شرب الخمر.

الحجاج: أأنت سعيد بن جبير؟

بن جبير: ألم تعرفني من قبل يابن يوسف الثقفي

الحجاج: أتناديني هكذا دون ألقاب وأنا الملك

بن: لقد سألتني وناديتني دون ألقاب وناديتني باسمي كما أنني أرى إضافة الألقاب قبل الاسم هوضعف ونقص في القدر والمقام

الحجاج: لكنني أمير ذوقدر كبير وأنت شخص حقير؟

بن جبير: أنا عالم جليل ولي قدر رفيع بين جميع المسلمين

الحجاج: قلت لك أنك شخص حقير

بن جبير: سامحك الله يا بن يوسف الثقفي

الحجاج: أتنعتني مرة ثانية وتناديني بابن يوسف الثقفي اختر لنفسك موتة تموت بها الآن

بن جبير: لولا أن جدك أول شهيد في الإسلام بالطائف وأبوك يوسف بن الحكم بن أبي عقيل كان رجلاً تقياً وعلى جانب من العلم والفضل والشرف وقد قضى معظم حياته يعلم أبناءه القرآن وأصول الدين تقرباً إلى الله وطعماً في كرمه وعفوه وصفحه لبصقت في وجهك الآن.

الحارس: وينزل بالسياط على ظهره

صه يا أبله... تبصق في وجه الحجاج بن يوسف الثقفي مولانا ورب نعمتنا جميعاً

بن ؟: بل رب نعمتك أنت يا وغد

الحارس: (يضربه بالسياط مرة ثانية)

لابد من أن قتلك الآن وتطير رقبتك بهذا السيف البتار

الحجاج: قل أن تختار موتتك التي ستموت بها يا بن جبير قل لنا لماذا تهاجمني وتثير الناس ضدي وأنت تعلم أنني قاهر كل أعدائي وقاتل كل معارضي

بن جبير : كنت تحكم أهل العراق بالحديد والنار وكانت سياستك ممزوجة بالظلم والجبروت وأخذت الناس على غرة وقتلتهم وأزهقت أرواحهم بناء على الريبة والظن لا على اليقين والحق

الحجاج: تقصد من يابن جبير

بن جبير: أقصد (ابن الأشعث) الذي تعقبته ومثلت بجثته حيا في موقعة دير الجماجم

الحجاج: أيرضيك أن يعصي أومر الخليفة ولا يطيعه وأتركه دون

عقاب ؟

بن جبير: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

الحجاج: لكن الخليفة هوممثل الله في الأرض ويستمد حكمه من رعاية الله له في الأرض.

بن جبير: لا تتخذ الخليفة ذريعة لطغيانك يا بن يوسف إن حبك لسفك الدماء والطغيان الذي يجري في عروقك هما السبب في قتلك آلاف الأسرى والتمثيل بجثثهم بل إن الخليفة قد أرسل إليك قولته الشهيرة «إذا أعطاك الله الظفر على قوم فلا تقتل جانحاً أوأسيراً».

الحجاج: أنا لم أفعل سوى الذين تمردوا على ووقفوا ضدي كما سأقتلك أنت الآن يابن جبير.

بن جبير: لقد ضربت مكة بالمجانيق ورميت الكعبة بالنيران وصلبت عبد الله بن الزبير ولم ترحم شيخوخته فكيف ترحم شيخوختي يابن يوسف...(يابن جلا)

الحجاج: اضربوه بالسياط.. والله لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

بن جبير: (مبتسماً) لوعلمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

الحجاج: فلذلك اختر القتلة التي تريد أن تقتل بها.

بن جبير: بل اختر أنت يا حجاج.. فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة يابن جلا.

الحجاج: أيها الجلاد.. افصل رأسه عن عنقه حتى يتعظ الجميع

بن جبير: (في رباطة جأش) اللهم لا تسلطه على أحد بعدي

الحجاج: يحدث نفسه قائلاً في صوت منخفض

لابد أن أكون قاسياً حتى أكون رحيماً

وهنا يذهب الحجاج إلى حجرة نومه تاركاً الجلاد يقطع رأس عالم جليل كان ينادي بأن يكون الخليفة إمام فاضل عالم حسن السياسة يمنع الظالم وينصف المظلوم وأن يكون عادلاً لكي لا يجور عاقلاً ليصلح التصرفات بالغاً لقصور عقل الصبي حراً لكي لا ينشغل بخدمة السيد ولذلك قتله السفاح الذي لا يعرف عن العدل شيئاً وليس فيه من هذه الصفات شيئاً ولاسيما في معاملة خصومه فكان يسير على مبدأ الطاعة المطلقة لولي الأمر فالأمر الذي يصدره الحاكم لا يناقش ولا يجادل بل ينفذ فوراً مهما يكن تافهاً أوبغير معنى وإلا أصبح دمه حلالاً للحاكم فقد قال «والله لا أمر أحداً أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه. . أي قسوة هذه أيها الطاغية وما أرخص عنق المواطن لديك أيها الطاغية فأنت تطلب من الناس الطاعة العمياء.

إننا أمام نظام استبدادي ما في ذلك من شك والسلطة المستبدة هي تلك التي تمارس حكم الناس دون أن تكون هي ذاتها خاضعة للقانون فالقانون في نظر هذه السلطة قيد على المحكومين دون أن يكون قيداً على الحاكم ومن هنا ففي وسع هذه السلطة أن تتخذ ما تشاء من إجراءات أومواجهة الأفراد لمصادرة حرياتهم أوممتلكاتهم فحياة المواطن ملك يمين الحاكم لا ينقذه إلا الله أوالذكاء وسرعة البديهة التي تخلصه من الموقف مثلما فعل عبد الملك بن مروان خليفة الحجاج الثقفي حيث أتى برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال اضربوا عنقه. . فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك فقال ما جزاؤك؟ فقال والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر إليك ذلك أني رجل مشئوم، ما كنت مع رجل

قط إلا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما أدعيت فضحك أمير المؤمنين وخلى سبيل الرجل هكذا كان أمير المؤمنين يطلق بعض الخوارج لظرفهم ودعابتهم أما من أصر على إعلان رأيه بصراحة فقد انتهى أمره مثلما فصل الحجاج بن يوسف الثقفي مع سعيد بن جبير.

وبعد أن عهد إلى سريره أخذ يتألم من الآلام الشديدة التي عاودته من شدة المرض وأخذ يتذكر حينما كان في الطائف في قبيلة بني ثقيف يرعى الغنم والصغار تجري ورائه وينادونه (بابن المتمنية) حيث كانت والدة الحجاج متزوجة قبل والده من لحارث بن كلدة طبيب العرب ولكن الحارث طلقها بسبب اشتغالها بالسحر وقد ذكر بن عساكر هذه الواقعة في كتاباته لكن ذكر أن (المغيرة بن شعبه) هوزوجها وهذا ما أكده (البلاذري) في رواياته التاريخية أيضاً لكنني أرى أن الحارث بن كلدة هوالأصح لأنه كان أول من ذهب إلى الحيرة وتعلم الغناء على العود فمن المنطق أن تلتقي كاهنة السحر والشعوذة مع رجل يغني ويسهر الليالي الملاح فهما مشتركان في الفسق والفجور فتمنت والدة الحجاج أن تمارس الفحشاء مع نصر بن الحجاج الذي كان حسن الطلعة وسيم الخلقة حتى قيل أنه من أجمل شباب المدينة وقالت الفارعة فيه شعراً وهي في خدرها:

هل من سبيل إلى الخمر فأشربها   أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

وعندما افتتن النساء بنصر بن حجاج لوسامته أمر الفاروق عمر بن الخطاب بنفيه إلى البصرة فأطلقوا عليه ابن المتمنية لأنها تمنت نصر بن حجاج فشكلت له عقدة نفسية.. أخذ الحجاج يتذكر كل هذه الأحداث وأيام الطفولة في قرية بني صخر بالطائف في قبيلته ثقيف ويسأل نفسه

لماذا سموني بالحجاج؟ لماذا لم يسموني كليباً مثلاً أوخضراً أوسيفاً فأنا أعشق الأشياء التي تدعوا إلى القسوة... فأخذ يحدث نفسه وهونائم مستيقظاً على سريره قائلاً:

لا أنسى تلك الذكريات المؤلمة حينما أخذوني وأنا صغير يعبثون في دبري فلقد كانت مشوهة لا فتحة فيها أخرج منها البراز كم كنت أعاني وأنا وليد صغير وأصرخ وأبكي بكاء تجتمع له بني ثقيف حتى قام ذلك الطبيب بكيي بالنار في دبري لم أنسى تلك اللحظات القاسية لقد رضعت القسوة قبل الماء ورضعت الألم قبل اللبن.. القسوة هي الشيء الوحيد الذي أعانقه ويعانقني... وأيضاً الدماء وسفك الدماء لا أنسى تلك الليلة التي أتوا بها بدماء جدي أسود ولطخوا به وجهي حينما كنت أرفض الرضاعة من ثدي أمي... لا أنسى طعم الدماء ومذاقه المر لقد أرضعوني دماءاً... لعنه الله على الحارث بن كلدة الذي وصف لهم هذه الوصفة لكي أرضع من ثدي أمي... لقد أرضعوني دماءاً بدلاً من اللبن كما أن خلقتي الدميمة وصغر جسدي كانوا من أهم الأسباب التي جعلتني أكره كل جميل وكان العرب يعايروني بصغر جسمي ويقولون أن الحية كلما كثر سمها صغر جسمها لأن السم يأكل في لحمها.. فهل أنا حية رقطاء.. وهل أن ابن المتمنية حقاً..

آه.. آه..

أنقذوني من آلامي الشديدة.. أشعر أن الروح بلغت الحلقوم... يا حراسي..

يأتي الحراس مهرولين مسرعين خائفين مذعورين.

كبير الحراس: أمر مولاي

الحجاج: أريد أن أنام

كبير الحراس: بل أنت نائم الآن على سريرك يا مولاي

الحجاج: آه منك يا أبله!... أريد أن أغمض عيناي وأذهب في نوم عميق وسبات طويل.

كبير الحراس: كيف يحدث هذا يا مولاي؟

الحجاج: أحضر الأطباء حالاً ليعطوني دواء أستطيع أن أنام وأتخلص من هذه الوساوس وتلك الآلام.

يخرج كبير الحراس مهرولاً ومنادياً بصوت عالي..

كبير الحراس: أحضروا الطبيب أحضروا الطبيب.

يأتي الطبيب مهرولاً من بهو القصر فهوكان جالساً في انتظار رؤية الملك الحجاج بن يوسف الثقفي للاطمئنان على صحته فهوفي شدة مرضية ومحنة نفسية.

يدخل الطبيب يقبل يد الحجاج بن يوسف.. قائلاً في همهمة

الطبيب: حفظ الله مولانا الحجاج من المرض العضال والموت الزؤوم.

الحجاج: لعنة الله عليك.. أتبشرني بالموت الزؤوم

الطبيب: لا.. يا مولاي.. لا.. بل أدعوالله لك لكي يحفظك منه.

الحجاج: بل أدعولي بأن أنام ولو لحظة واحدة.

أريد أن أغفوولولحظة واحدة.

أريد أن يتوقف عقلي عن التفكير ولولبرهة صغيرة... أريد أن تتوقف الآلام التي في بطني.

أريد أن يتوقف ضميري عن التأنيب ولولومضة متوهجة.. أريد أن يتوقف هذا الطنين الذي في أذني أريد الراحة والسكون والهدوء يا طبيبي أقبل يدك وقدمك... أريد أن أغفو أغفو... أغفو (يحدث نفسه بهمس).

الطبيب: يا إلهي الحجاج يقبل يدي وقدماي لكي أعطيه دواء يريحه الجبار العاتية والسفاح الرهيب يتوسل لمثلي أن أبحث له عن الراحة والسكينة والهدوء.. لكنه لم يرح إنسان فيَ هذه الدنيا قتل الكثيرين والأبرياء والمظلومين.. لكنني إن لم أفعل سيقتلني وسيطيح برأسي حالاً.. سيأمر الجلاد فوراً بقطع رأسي.

ألم يفعلها مع بن جبير وبن الجارودي.. أجل فعلها حيث كان عبد الله بن الجارودي العبدي من وجهاء أهل البصرة وكان لا يرعى في الحق لومة لائم ولا يخشى المجاهرة برأي مخالف للحجاج بن يوسف أوغيره إذا اقتنع بصواب رأيه فأعلن بن الجارودي رفضه لرغبة الحجاج في تخفيض رواتب الجند فكيف يخفضها ومن قبله وافق أربعة أمراء وملوك على زيادتها وهم مصعب بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، وبشير بن مروان، بل وافق الخليفة نفسه عبد الملك بن مروان على الزيادة وشكل بن الجارور جبهة معارضة لرأي الحجاج والي العراق وأميرها وكانت هذه الجبهة هي قتيبة بن مسلم وعبد الله بن حكيم المجاشعي، والهزيل بن عمران البرجمي وكانت هذه الجبهة تشكل خطورة على حكم الحجاج في العراق وقالوا طالما أن الحجاج فرض التجنيد إجبارياً وإذا كان الحجاج قد فرض الجهاد على كل من بلغ مبلغ الرجال وليس به عاهة تبرر تخلفه عن الالتحاق بجيش المهلب بن أبي صفرة فلا يحق له تخفيض رواتب

الجند.

وخاصة أنه وضع عقوبة الإعدام لمن يتخلف عن الجيش دون عذر شرعي وطبق العقوبة على عمر بن ضائي البرجمي قائلاً لأهل البصرة «إني لم أجد دواءً أدوي لدائكم من هذه المغازي والبعوث لولا طيب الإياب وفرحة القفل فإنها تعقب الراحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم!!

وما أراكم كارهين لمقالتي وأنا والله لرؤيتكم أكره!! ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم لما حملت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر إليكم! والله أسأل حسن العون عليكم.

ينتحي الطبيب جانباً في حجرة الحجاج ويتظاهر بأنه يبحث عن دواء لعلاج الأمير ويحدث نفسه هامساً حتى لا يسمعه أحداً قائلاً :

والله إني لم أجد دواء أدوي به دائك العضال من كل هذه الأمراض المستعصية وتلك الآهات المتفجرة يا ابن الحجاج.

يدخل حينئذ كبير الحراس ويتقدم نحوالطبيب وهويبحث عن دواء للداء العضال.

كبير الحراس: ماذا فعلت أيها الطبيب بمولاي الحجاج ؟ لقد نام وغمضت عينيه ونامت جفونه الطبيب وقد تهلل وجهه من الفرح لأن الحجاج قد ذهب يغط في نَوم عميق.

الطبيب: فلنخرج جميعاً لكي يستريح الأمير ويهنأ بنوم عميق.

كبير الحراس: الكل يخرج حالاً لكي ينام الأمير ويغط في نوم عميق.

الحجاج في منطقة العماء

ومنطقة العماء هي تلك المنطقة المظلمة التي نشعر بها عند إغلاق عيوننا فنرى شيء هلامي وأطياف سوداء تتأرجح يميناً ويساراً وهي منطقة مظلمة لا نرى فيها غير السواد. . لقد ذهب الحجاج قبل مماته وقبل أن تخرج الروح من الحلقوم. . فماذا رأى الحجاج في المشهد الأخير من حياته

جاءه شبح من الأشباح يضحك ضحكات هستيرية يقول له «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» هذا قول الحق سبحانه وتعالى. . .

الشبح: وقد قال عز وجل

كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين

الشبح: وقال أيضاً عزل وجل «أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون»

ألم يكفيك كل هذه الكلمات يابن يوسف الثقفي زجراً ووعيداً وتهديداً وتوبيخاً ومذكراً ونذيراً. . .

هل كنت متنبهاً من نوم الغفلة أم مستيقظاً من رقدة الجهالة يابن الثقفي

الحجاج مفزوعاً من الشبح الذي يتحدث معه وهوفي منطقة العماء في اللحظات الأخيرة من حياته. .

أنا لم أفعل أي شيء يغضب الله

الشبح: ضاحكاً ضحكات هستيرية. .

لقد اعترفت بارتكابك ذنوب ملئ الأرض والسماوات منذ قليل وأنت

يقظ منذ لحظات ألم تنشد شعراً قبل أن تأتي إلينا في منطقة العماء وتطلب العفووالمغفرة من الحق عز وجل

ألم تقل وتناجي ربك قائلاً وأنت تعاني سكرات الموت:

إن ذنبي وزن السماوات والأرض وظني لخالقي أن يحابي
فلئن من بالرضا فهوظني ولئن من بالكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظلم وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب؟

الحجاج: ترتعد فرائسه وتحدث تشنجات عصبية في جسده لا يراها أحد فهوفي الغرفة وعلى سريره وتخرج رغاوي من فمه ويبقلل مثل الجمل الذي تخرج منه رغاوي عند البقللة أيها الشبح العظيم لقد كرست حياتي لخدمة المسلمين والإسلام الحنيف.

الشبح: أنت كذاب أشر يا بن يوسف الثقفي..

لقد كنت غافلاً عن إقامة شرع الله وصدق الله العظيم حين قال فيك وفي أمثالك من الطغاة «لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون».

لم تكن يا ابن الثقفي تعقل من أمر معيشتك شيئاً عشت لتنفيذ شهواتك وتلبية رغباتك ونسيت أمر الآخرة والميعاد فقال فيك وفي أمثالك من الجبابرة والطغاة قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون)

وقال أيضاً عز وجل:

(الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون).

الحجاج: لم أكن مستكبراً على أحد..

الشبح: لقد استكبرت على كل من حولك ابن جبير . ابن الجاروري عبد الله بن الزبير وغيرهم وغيرهم

الحجج: لقد كانوا بهاجمونني ويسبونني بأفظع الألفاظ ها هوعبد الله بن الزبير يقول على قبيلتي في خطبة الجمعة وأمام حشد هائل من المسلمين «بني ثقيف قصار الجذور، لئام الجدود، سود الجلود وهم بقية عاد وثمود.

الشبح: بل أنت كنت تفخر بأنك من صلب عاد وثمود فأنت تحب سفك الدماء ونار الحروب.

الحجاج: كان لابد من هذه القسوة لكي يهابني الجميع وتخافني الشعوب وأرسي قواعد حكمي الجديد في الحجاز والعراق..

الشبح: لقد كرهك أهل الحجاز لقسوة حكمك وتجردك من مشاعر الرحمة وصفات الإنسانية.

الحجاج: لم أفعل شيئاً بأرض الحجاز وأرض العراق.

الشبح: وهل نسيت أنك ضربت مكة بالمجانيق والتاريخ يقول إنه لما تولى عبد الملك بن مروان الحكم بعد وفاة أبيه كانت حال البلاد الإسلامية في غاية الفوضى والاضطراب.

الحجاج: أجل لقد انقسم أهل العراق في ذلك لحين إلى ثلاث فرق.. الزبيرية الذين بايعوا بن الزبير ودخلوا في طاعته وشيعته تدعوإلى آل البيت وخوارج وهم لا يريدون البيت الأموي أوالبيت العلوي وإنما يريدون أن من يستحق الخلافة الأكفأ في الحكم وإدارة البلاد.

الشبح: وهل أنت كنت الأكفأ لولاية العراق في ذلك الوقت يا بن يوسف الثقفي.

الحجاج: أجل فلقد قضيت على فتنة الحجاز وقتلت عبدالله بن الزبير وصفا الأمر لمولاي عبد الملك بن مروان

الشبح: لقد قلت أنك قتلت عبدالله بن الزبير.. بل مثلت به ولم ترحم شيخوخته.

الحجاج: إنه كان من المعارضين والمارقين.

الشبح: إنك لم تقتله لأنه معارض لك ولسياسة مولاك.

الحجاج: وما ظنك أيها الشبح في أنني قتلته؟

الشبح: لأنك متعطش للدماء وتحب السفك والقتل؟

الحجاج: لا تظلمني.

الشبح: بل أنت الذي ظلمت نفسك يابن يوسف الثقفي.. ألم تعتلي المنبر في البصرة تلوح بسيفك للناس وتهددهم قائلاً لهم «من استطال أجله، فعلي أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه، وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره، قصرت عليه باقيه.. إن للشيطان طيفاً وللسلطان سيفاً فمن سقمت سريرته، صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه، رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه التهلكة إني أنذر ثم لا أنظر وأحذر ثم لا أعذر وأتوعد ثم لا أعفوإنما أفسدكم تهاون ولاتكم ومن استرخى لسببه.. ساء أدبه. والله لا آخر أحدكم بأن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه. لقد أرهبت العباد وأطرت الرقاب وأفسدت البلاد فحق عليك العذاب.

الحجاج: (ينتفض جسده نفضة قوية وهوعلى فراش الموت..) لكن الروح لم تخرج بعد من الجسد فما زالت تصعد إلى الحلقوم ثم تهوى إلى أخمص القدمين... إنها لحظات عذاب رهيبة يقولون إن صعود

الروح إلي الحلقوم ثم رجوعها مرة أخري إلي أخمص القدمين توازي ضربات ٣٠٠ سيفاً دفعة واحدة. . . . . يا إلهي. . . . . .

إن ما فعله الحجاج من بطش وظلم كان أفدح من هذه الضربات فعندما تولي ولاية الحجاز كان يأخذ الناس بالشبهات دون أن يتأكد. . . . . . فمجرد أن يعرف عن إنسان أنه زبيري الاتجاه يرصده ويقتله ويمثل به ووضع معظمهم في غياهب السجون كما فعل هذا أيضاً مع الهاشميين وأهل المدينة المنورة. . . . لقد قتل أكثر من مائتي ألف نفس وهذا عدد من قتل في الحروب بل مات في سجون الحجاج أكثر من ٥٠ ألف رجل وثلاثون ألف امرأة بل كان يعذب النساء بوضعهم مع الرجاء في مكان واحد ولم يكن لهذا المكان سقف يحميهم من حرارة الشمس في الصيف أوالبرد والمطر في الشتاء وقد قال أبوالفرج الآصفهاني في كتابه الأغاني في أن الحجاج حبس أسماء ابن خارجة فضيق عليه حتى كان يخلط عليه الخل بالماء ويعكره بالرماد وكان يعمل علي إذلال القبائل والأسر ذوات الحسب والنسب.

الحجاج: أرجوك أن لا تعلق بي الآذي أيها الشبح

الشبح: أنت الآن في وادي الأحزان حيث يضرب المنافقون والقتلة من الأمراء هنا سوف ترتدي معطفاً من رصاص سميك تنكسر منه عظامك وتتفصد منه جبينك أيها الطاغية العاتية ثم تنتقل بعد ذلك إلي الجحيم.

الحجاج: لا. . . لا. . . . أتوسل إليك أن لا تلقي بي إلي الجحيم. . . . فأنا ما زلت في وادي الأحزان كما تقول وأسمع تأوهات وأنات أليمة ونار مستعرة.

الشيخ: إنهم يقاسون ألوان العذاب.... فهؤلاء قد مثلوا الصراط المستقيم فهؤلاء أمثالك من الطغاة المتجبرين فمثواهم النار فهم فيها داخلين

وهذا هومقعدك الذي يليق بك يا ابن الثقفي

هنا ينتقض الحجاج نفضة الموت وتصعد روحه إلي السماء ولا يحزن عليه أحد حتى زوجاته وأولاده فلقد أنجب الحجاج بن يوسف الثقفي ٥ أبناء هم بالترتيب محمد عبد العزيز، عبد الملك، وبنت تزوجها ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك أما زوجاته فهن أرملة عدوه اللدود الصريع عبد الله بن الزبير المسماة بزجلة بنت منظور الفزارية ولكن هذه الخطبة لم تتم حيث رفضت زجلة خطوبة الحجاج ولطمته لطمة قاسية علي وجهه إذ أرسلت له تقول: ماذا يريد الحجاج من امرأة ثكلي حرة؟!

ولم يلبث الحجاج أن يغسل عار الإهانة ويتغاضى عن هذا الرفض وتقدم إلي قريبة زجلة الفزارية وهي هند الفزارية التي تزوجها ولكن هذه الزيجة لم تستمر كثيراً فلقد طلقها بعد عدة أشهر وقيل أن الحجاج تزوج ثلاثا وهوأمير الحجاز وقد كانت هند امرأة علي قدر كبير من الجمال ولكن الحجاج كان مشغولاً عنها..... فقالت تنشد شعراً

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت فحلاً فلله درها وإن ولدت وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج هذه الآبيات طلقها طلقة لا رجعة فيها أما زوجاته الأخريات فهن بنت عبد الله بن أسيد وهند بنت المهلب بن أبي صفرة، وبنت عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب........

إن روح الحجاج بن يوسف الثقفي القاسية الطاغية التي لا تحمل بين

حشياتها أي رحمة أوعطف أوشفقة هي التي جعلته يصعد من راعياً للأغنام ثم دباغاً للجلود إلي حاكماً علي الحجاز والعراق فعندما رشحه رئيس العسكر بن زنباع إلي الأمير عبد الملك بن مروان ليقود العسكر كان أول شئ فعله في المعسكر جلدهم وحرق خيامهم وحصرهم في المعسكر وعندما سأله عبد الملك بن مروان لماذا كل هذه القوة علي الجنود يا حجاج فقال:

إنما يدي يدك وسوطي سوطك يا أمير والعسكر هنا لا ينفع معهم إلا الحسم والحزم والقسوة والقوة..

حتى في أحلامه ورؤياه كان الحجاج بن يوسف الثقفي عنيفاً قاسياً فحينما جلس بين يدي عبد الملك بن مروان يحكي له رؤية قد رآها وهي أنه صرع وقتل من بني مروان عبد الله بن الزبير ورأى أنه يسلخ جلده مثل الشاه حتى ظهرت عظامه وصار هيكلاً.

لقد كان لدى الحجاج بن يوسف الثقفي استعداداً كبيراً للقسوة والانتقام نتيجة لما تعرض له في طفولته من إهمال وثقب دبره وقبح منظره وهذا ما يجعلنا أن نربي في أولادنا الخلق الحسن قبل الخلقة الحسنة وأن نغرس بداخلهم أن الإنسان بأفعاله وأعماله لا بمظهره أوماله.

توفي الحجاج عام ٩٥هـ وولد في ٤٠هـ ودفن بمدينة (واسط) في شوال سنة ٩٥ ولم يترحم عليه أحد لأنه كان يأمر الناس بالكفر في معركة دير الجماجم وإلا قتلهم.

إنه طاغية بني ثقيف .. وجبار بني أمية..

وكان عثمانياً أموياً يحبهم حباً جما حتى أنه كان يعتبر من يخالفهم في الرأي والمشورة كافر ويهدر دمه وعن هشام بن حسان أحصوا ما قتل الحجاج فزيد على مائة ألف وعشرين ألفاً وقال الذهبي في ترجمته

«كان ظلوماً، جباراً، ناهبيا، خبيثاً، سفاكاً للدماء قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير حصاره لابن الزبير ستار الكعبة وإذ ؟ لأهله الحرمين، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله، فنسبه ولا نخبه، بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان وقال عمر بن عبد العزيز.. لوتخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

وقالت له أسماء بنت أبي بكر لما دخل عليها بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير وقال لها إن ابنك ألحد في هذا البيت وأن الله أذاقه من عذاب أليم وقتل قالت كذبت يابن الثقفي كان باراً بوالديه صواماً قواماً لقد سمعت رسول الله r يقول «يخرج من ثقيف رجلان مُبير وكذاب.. فأما الكذاب فابن أبي عبيد وأما المبير فأنت يا بن الثقفي وعندما تجرأ الحجاج بن يوسف الثقفي وقتل العالم الجليل سعيد بن جبير كان يأتي له في المنام ويأخذ بمجامع ثوبه ويقول له يلـه عبد الله لما قتلتني، وفيم قتلتني فيقول الحجاج «مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير ولما مات الحجاج قام الإمام حسن البصري وسجد على الأرض لله شاكراً ويقول «اللهم أمته فإذهب سنته كما بكى من شدة الفرح لموته العالم الجليل إبراهيم التحسعي

إنه أسوأ طاغية ظهر في شبه الجزيرة العربية

ألم يطلقوا عليه جبار بَني ثقيف وطاغية بني أمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

«ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار»

(سورة أل عمران ايه رقم ١٩٢)

صدق الله العظيم

(نيرون)
طاغية روما

- قتل ٥٠ ألف روماني وقدم معظمهم طعاما للوحوش
- قتل ١٠٠ ألف مواطن في أرمينيا وحدها
- أجبر « سينيكا « أعظم فلاسفة روما ومعلمه علي الأنتحار



عندما يشعر العصفور بالموت تكون زقزقته أقرب إلى الحزن منها إلى السرور والإشراق وعندما يشعر الغراب بدنوأجله يكون صوته أقرب إلى الحشرجة منها إلى (الغوغقة) (والغوغقة) هي صوت الغراب الطبيعي حين يصدر أصواتاً هي «غاق. غاق. غاق) ثم تصدر منه حركات هستيرية أقرب إلى الجنون منها إلى الاعتدال والاتزان.. فيطير شمالاً وجنوباً ثم يحط على الأرض ثم يقف على الأشجار ثم ينقر في الأرض مرة ثانية ثم يرتفع قليلاً بجناحيه ثم يهبط ويظل هكذا في حالة من التخبط الشديد حتى يموت ويلقى حتفه هذا ما حدث لغراب روما (نيرون) الحاكم الطاغية في المشهد الأخير من حياته كان ذلك في شهر يونيومن عام ٦٨ ميلادية.

لوثة عقلية هي بداية المشهد الأخير

كان (نيرون) في ذلك اليوم مذعوراً مرتعداً ومجنوناً به لوثة عقلية حيث خرج من القصر الملكي ليرى ما حدث من حريق هائل في العاصمة «روما» يتنقل من مكان إلى مكان مثل الغراب الأسود الذي اقترب أجله ثم ينظر إلى السماء ويصرخ قائلاً ما أعظم الفنان الذي سيخسره العالم بموتي وما أعظم الشاعر الذي سيفقده الشعب الروماني بقتلي آه كم أنا فنان عبقري وشاعر عظيم لم تلده أي إمرأة من قبل ولم يوجد في أي أمة من قبل

ها هي قيثارتي التي أعزف عليها لحن الخلود ها هي روما مضيئة بأنوار ألحاني وحرارة أشعاري.. يقولون أن روما تحترق وأنني الذي أمرت بإحراقها.. وأنا أقول أن روما تضيء شوارعها وميادينها ومنازلها

بقناديل شعري ومصابيح ألحاني أما الذين أحرقوها هم المسيحيين الأوغاد إنهم فئة مقززة محتقرة تذيع نبوءات خاطئة بعودة المسيح قريباً ويرددون أقوالاً بأن النيران سوف تشتعل وتتأجج في روما وفي أرجاء الدنيا. . أنا سوف أعذبهم وأقتلهم جميعاً.

ثم يعود نيرون إلى فينارته ويغني بصوت عالي وروما تحترق وتشتعل النيران في كل أرجائها وهويغني ويرقص مثل غراب يقترب منه الموت. . يضحك ضحكات هستيرية ثم يبكي بكاءاً حاراً ثم يصمت قليلاً ثمن يصرخ كثيراً ثم يقعد على الأرض ثم يقفز قفزة هائلة ثم ينام على الأرض ثم يهب واقفاً ثم يشد في شعره الكثيف المموج على رأسه الكبيرة ثم يخبط بيديه على صدره العريض خبطات سريعة الواحدة تلوالأخرى كان صوت الضربة الواحدة على القفص الصدري تصدر أصواتاً قوية من شدتها وقوتها تدخل الرعب في قلوب من يسمعها كان (نيرون) الطاغية ممتلئ الجسم متوسط القامة أسمر اللون. . عيناه زرقاويتين وفمه غليظ وعيناه زائغتان وأنفه روماني وحواجبه كثيفة الشعر. . دمائه من علاقة محرمة وغير شرعية حيث جاء من زواج محرم شرعاً في كل الأديان السماوية حيث تزوجت أمه (أجريبنيا) من خالها الإمبراطور (كلوديوس) قيصر روما بعد أن قامت بإغرائه ونصبت حبائلها حوله رغم أنه أخوأمها. . لكن المرأة لا تعرف حدود الله وحدود الأديان التي أنزلها الله لتنظيم العلاقة بين الناس. . (فنيرون) جاء إلى الدنيا نتيجة علاقة آثمة بين أمه وخالها قيصر روما الإمبراطور «كلوديوس» فلابد أن يكون مشهده الأخير مشهداً مأساوياً وهذا ما حدث بعد أن ثارت كل الجنود عليه وتخلى عنه كل من حوله وقامت الثورة في البلاد وجابت الثوار

كل أرجاء العاصمة تبحث عن الطاغية لتشفي غليلها منه ولتقتله كما قتل الملايين من أبناء الرومان لكن الطاغية هرب فقط وأمر الطاغية قبل هروبه من القصر بإشعال النيران في كل مكان بالعاصمة حتى تتطهر البلاد من المسيحيين اللذين أشعلوا النيران وقاموا بالثورة ونادى نيرون على «بوبيه» زوجته اليهودية العاهرة التي تزوجها بعد أن طلق أبنة الإمبراطور «كلوديوس» (أوكتافيا) والتي اتهمها بالعقم وعدم القدرة على الإنجاب رغم أنه هوالذي لم يقترب منها ولم يعاشرها جنسياً. . ؟

يا إلهي ما هذه الحياة المأساوية التي عاشها طاغية روما (نيرون) إنها حياة المستنقعات لا حياة الملوك والأمراء والنبلاء. . فعلم أن كثيراً من حياة الملوك والأمراء والنبلاء هي حياة المستنقعات والصعاليك. . لكن حياة (نيرون) هي المستنقع ذاته بما فيه من طحالب وحشرات وثعابين بل هي أم المستنقعات.

يا إلهي ما هذا الوحل الذي عاش فيه حاكم روما الطاغية نيرون طوال ١٤ عاماً. .؟ حكم روما بالحديد والنار وحرق أهلها وسجن شعرائها وجلد علمائها رجل ليس له قلب ولا شفقة بأحد حتى أمه التي وهبت نفسها للشيطان لكي يصل ابنها نيرون إلى الحكم قام بإلقائها في البحر حتى تغرق ويتخلص منها تماماً لكن الأقدار ساعدتها وظلت تسبح في البحر الذي ألقاه فيه ابنها نيرون وعادت مرة أخرى إلى روما ليأمر حراسه أن يقتلوها بالسم لكنها نجت أيضاً في المرة الثانية فلم يجد بداً من استخدام السيف فأمر حارسه أن يضرب عنقها بالسيف فماتت دون أن تصدر صوتاً واحداً لم يكن نيرون يعلم أن القدر يخط بقلمه نفس الموتة التي ماتتها أمه. . ولكن نهايته كانت أكثر بشاعة. زمنهاهوخائف

مرتعد من الثورة عليه يخشى على نفسه من القتل ولأن الانتظار ولحظات الخوف الشديد هي أشد أنواع العذاب لم يتحمل نيرون أقسى لحظات العذاب فقام بإخراج خنجره من ردائه وظل ينظر في نصله الحاد ويقربه شيئاً فشيئاً إلى رقبته لكي يخلص نفسه من أشد لحظات العذاب وانتظار الموت فهولم يتحمل قسوة انتظار الموت ويحدث نفسه قائلاً

«الموت سوف يريحني من العذاب الذي أنا فيه فالحياة حقيرة، دنيئة، كلها شرور لقد قال لي يوماً أستاذي (سينيكا) وهويعلمني درساً في الحياة والموت أن من يحتقر حياته يكن سيد حياة الآخرين ومن يتقبل الموت بسهولة ليس إنسانا بائساً حينئذ يتقدم السكرتير الخاص قائلا لنيرون يا مولاي؟ ماذا تفعل؟ هل ستقتل نفسك بهذا الخنجر يلتفت (نيرون) وهوخائر القوى زائغ البصر.. قائلاً لصديقه وسكرتيره الخاص في نبرات صوت متهدج وضعيف:

ليتني أقدر على ذلك حتى أتخلص من هذا العذاب الشديد.

اسمع يا سكرتيري الخاص

السكرتير: أجل يا مولاي.

نيرون: هل تقدر أن تمسك بهذا الخنجر وتغزني غزة واحدة أنتقل بعدها إلى العالم الآخر وأخلص نفسي من هذا العذاب الرهيب.

السكرتير: أنا أقتل سيدي ومولاي حاكم روما؟

نيرون: لم أعد حاكماً ولا سيداً.. لقد قامت الثورة والثوار قادمون إلى هنا لا محالة وعند القبض علي سيكبلونني بالأغلال ويسوقونني إلى الشعب وربما يقتلونني في ميدان عام أمام أهل روما.. فالأفضل والأحسن أن تضرب هذا الخنجر في عنقي هنا ثم تواري جسدي في

التراب وترحل أنت يا حارسي.

السكرتير: ليتني أقدر يا مولاي.

فأنا أخشى الموت مثلما يخشى الأولاد الظلمات.. فلتفعلها أنت يا مولاي.

نيرون: سأفعلها الآن.. أعطني الخنجر.. يتأمله ويفحصه بعينيه الزائغتين ويسأل:

هل هذا الخنجر ذونصل حاد ؟

السكرتير: أجل يا مولاي نصله حاد جداً

نيرون: (يصرخ) يبكي.. لا.. لا..

إن نصله غير حاد.. إنه سيأخذ وقتاً حتى ينفذ في رقبتي..

هل تستطيع أن تأتي بخنجر حاد حتى يخلصني ويجز رقبتي في سرعة خاطفة كالبرق

السكرتير الخاص: ومن أين أجيء به الآن يا مولاي إن الثوار قادمون إلى هنا.

نيرون: لعله يكون مع (بوبيه) زوجتي الإمبراطورة إمبراطورة الرومان.. قه. قه. قه.

السكرتير الخاص: منذ أن تزوجت (بوبيه) اليهودية يا مولاي والكوارث والمصائب حلت علينا كالمطر.

نيرون: ماذا تقول (المصائب والكوارث حلت علينا كيف تقول هذا على (بوبيه) محبوبتي وزوجتي يا وغد.

السكرتير الخاص: صدقني يا مولاي منذ أن طلقت (النبيلة) «أوكتافيا» وتزوجت (بوبيه) اليهودية والنيران بدأت تضطرم في البلاد وأنت لا

تشعر ولا تدري وكأنك ثمل من الخمر.

نيرون: كيف لم أشعر ولا أدري بغضب أهل روما وأنا الحاكم لروما يا وغد.. الخمر.. أين هي الخمر؟ هل لي من كأس معك أيها الوغد الحقير؟ خمر.. خمر.. لا توجد معي خمر وإعلم يا نيرون أنك

السكرتير: لم تشعر ولم تدري لأنك قتلت (يوروس).. أجل لأنك قتلت يوروس.

نيرون: مستشاري الخاص.

أجل مستشارك الذي أرسلت له طبيبك الخاص ليضع السم في حلقة.

نيرون: لأنه كان معرضاً لزواجي من (بوبيه)

السكرتير: ليس هوالمعارض الوحيد يا مولاي بل شعب روما كله

نيرون: لماذا يعارضني الشعب يا حارس.. لماذا وهذه مسالة خاصة.. بي إن أوكتافيا بنت (كلوديوس) زوج أمي وخالها صحيح أنها كانت طاهرة ونبيلة وجميلة ولكنها كانت عقيمة لا تنجب وأنا أريد ولد يحمل اسمي ويجلس على العرش من بعدي.

السكرتير: أوكتفيا لم تكن عقيمة يا مولاي

نيرون: قلت لك أنها عقيمة كالأرض الجدباء لا يصلح فيها زرع ولا ماء.

السكرتير: بل أنت لم تقربها يا نيرون ولم تعاشرها معاشرة الأزواج..

نيرون: لا.. لا.. لا.. من قال لك هذا يا حقير.

السكرتير: كل من يعمل في القصر كان يعلم ذلك تماماً.

نيرون: (في هدوء تام) يبدوأن لا شيء يخفى على الشعب

السكرتير: لقد سادت روما موجة من الفساد يا مولاي فشاع الفجور بين السيدات وانتشرت الخنوثة بين الرجال وأطلقت الغرائز من عقالها وساد حكم اللذة وبات الشعب لا يفكر إلا في ضروب اللهووأفانين التمتع.

نيرون: وهل أنا السبب فيما حدث للشعب؟

السكرتير: أجل أيها الوغد الحقير.

نيرون: أتسبني وتصفني بالوغد الحقير وأنا مولاك وملك روما.

السكرتير: لأنك حقا وغد من الأوغاد.

نيرون: كيف تتجرأ علي مولاك.. علي نيرون حاكم روما العظيم؟

السكرتير: لقد قتلت أكثر من ٥٠ ألف روماني.

وقدمتهم طعاماً سائغاً للوحوش وأنت تضحك على منظرهم والخوف على وجوههم والذعر على جباههم من الوحوش الضاربة أثناء احتفالات كبرى كنت تقيمها بالقصر.

نيرون: لقد كانوا خونة وجبناء.

السكرتير: هل كان (سينيكا) الفيلسوف ومعلمك السكرتير الأول خائناً وجباناً عندما أجبرته على الانتحار.

نيرون: (سينيكا)... آه... ليتني ما سمعت كلام (بوبيه) لوأنه معنا الآن لقام وخرج إلى الثوار وأقنعهم ببلاغة أسلوبه وعظمة تفكيره أن الثورة لن تفيد، وحرق روما لن يجدي وقتلي لن ينفعهم.

السكرتير: صدقت إن (بوبيه) اليهودية هي وراء كل مصيبة حدثت لك أيها الوغد.

نيرون: أجل.. أجل.. أنا وغد وحقير أيضا حقاً إن بوبيه هي وراء قتل أمي وهي التي أوغرت صدري ضدها وضد المسيحيين في روما وقتلتهم وسفكت دمائهم.

السكرتير: هل تعلم كم قتلت في أرمينيا وحدها يا مولاي.

نيرون: كم؟

السكرتير: مائة ألف نفس.

نيرون: يا إلهي.. أنا قتلت مائة ألف نفس؟

السكرتير: وزيادة.

نيرون: لكنهم كانوا أعداء لنا.

السكرتير: إن أرمينيا لا تستحق أن تغزوها مرتين وتقتل منها كل هؤلاء البشر.

نيرون: كان لابد من إسكات أصوات المعارضين لي ولحكمي سواء في إسبانيا أوأرمينيا أوجرمانيا أوإفريقيا.. كان لابد من قهرهم وإذلالهم

السكرتير: لقد لاح شبح الموت فوق أرض الإمبراطورية يا مولاي بعد أن قتلت أمك وأصدقاؤك ومعلمك ومستشارك بل وابن الإمبراطور (برثنيكوس) صاحب الحق الشرعي في عرش روما..

والآن جاءت اللحظة الحاسمة.

نيرون: ماذا ستفعل أيها الوغد؟

السكرتير: سأفعل ما لم تقدر أنت فعله.

نيرون: هل تقتلني؟ وتترددات أهاته كصدي في الهواء.

حينئذ ضربه السكرتير الخاص بالخنجر في رقبته ضربة قوية أطاحت برأس الطاغية.. فسقط على الأرض والدماء تسيل من فمه وعيناه

جحظتان ولسانه متدلي على شفتاه. . وشعره المموج المنكوش يختلط بدمائه التي تسيل من زنديه ورفع السكرتير رجله ورفسة رفسة قوية ظل يتدحرج من على صخرة عالية حتى سقط في هوة واسعة وكأنه أصبح في مزبلة التاريخ.

كيف وصل نيرون إلي الحكم ؟

ولكن كيف اعتلى نيرون العرش وكيف وصل إلى الحكم رغم أنه ليس الابن الحقيقي لكلوديوس حاكم روما وأن الابن الحقيقي هو(بريتانيكوس) ابن كلاديوس وهوالوريث الشرعي للحكم واعتلاء كرسي العرش؟

في الواقع إن الإجابة على هذا السؤال ترجع إلى كلمة واحدة وهي (المرأة) وكلمة فتش عن المرأة وراء كل كارثة هي في الواقع كلمة حقيقية عن تجارب حقيقية في الحياة ولذلك ذكر القرآن الكريم عن كيد النساء (إن كيدهم عظيم) صدق الله العظيم فالذي رفع الطاغية نيرون إلى العرش إمرأة راكذي هوى به إلى القاع إمرأة، فالمرأة إن كانت صالحة تدفع الرجل إلى الأمام وإلى الطريق المستقيم وإن كانت فاجرة وعاهرة وغير صالحة تدفع الرجل إلى الوراء وإلى الرذيلة. . ها هي «أجرينيا» بنت ماركوس تزوجت من (جرمانيكوس) أخذت تلف حبائلها حول «كلاديوس» حاكم روما رغم أنه خالها وفعلاً تزوجها وبعد أن تم الزواج أقنعته بأن يتولى الحكم «نيرون» ابنها من جرمانيكوس رغم أنه له ابن شرعي لكن المرأة إذا إرادات شيئاً فلابد أن تنفذه وتنفث كل سمومها وكل حيلها حتى تقضي على الفريسة وتلتهمها تماماً كالعنكبوت الذي ينسج خيوطه حول الفريسة حتى تقع في حبائله حينئذ لا تستطيع

الفريسة الفرار من تلك الخيوط ويبدأ العنكبوت في الانقضاض على هذه الفريسة ويأكلها جزءاً جزءاً بعد أن قطعها إرباً إربا . .

بعد ذلك قام نيرون بإيعاز من والدته بدس السم للابن الشرعي (بريتانيكوس) للحاكم (كلاديوس) فمات بريتانيكوس وهوأحق من (نيرون) بالحكم.

يا إلهي ما هذه الأقدار العجيبة، الأحق بالحكم وكرسي العرش يتناول السم ويقتل وابن المرأة العاهرة الفاجرة يتولى حكم روما . . إنها قصة هابيل وقابيل تعاد على وجه البسيطة عبر الأزمنة المختلفة قصة الظلم وسفك الدماء والطغيان على الحق والجور على العدل . . وقصته كيد النساء فالمرأة خنجر مسنون يقطع رقبة الرجال أوهي حفرة تقعَ منها الرجال بأي فخ ومصيدة لكل الرجال، كما وقع نيرون الطاغية.

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مُهطعين مُقتنعي رُءوسهم لا ترتد إليهم طرفُهم وأفئدتهم هواء».

صدق الله العظيم

(سورة إبراهيم الأية رقم ٤٢، ٤٣)

(روبسبير)
طاغية فرنسا

- أصغر طاغية في التاريخ
- كان يشنق كل أسبوع ألف مواطن فرنسي
- شنق هوبنفس المقصلة النقالي التي شنق بها أعدائه

روبسبير . . . . أصغر طغاة العالم

لم أكن أتصور أن هناك طاغية في سن الثلاثين عاماً . . . . فالإنسان في الثلاثين من حياته يكون في ريعان شبابه يبحث عن الزواج والاستمتاع بالحياة وإثبات الذات إما أن يكون الشغل الشاغل لإنسان في هذه المرحلة سفك الدماء ووضع المقصلة علي رقاب الناس حتى ولوكان من هؤلاء الناس أصدقاء أوفياء . . . . . فلابد أن هذا الشخص لديه أمراض نفسية وعقد كثيرة في حياته . . . .

لم يكن في أحلام روبسبير أي شئ سوي الوصول إلي كرسي الحكم في فرنسا حتى لوقطع رءوس أصدقائه قبل أعدائه . . . .

لقد أعدم ستة الآلف فرنسي في ستة أسابيع وسماهم بأعداء الثورة أي أنه كان يقتل ويعدم بالمقصلة ألف مواطن كل أسبوع . . . . . يا له من طاغية قاسي وجبار عاتي.

كان يعتقل معارضيه في الثامنة صباحاً وفي التاسعة يقفون أمام المحكمة الثورية التي لا تقبل أي دفاع ولا يحق لأي محامي أن يقف أمامها مدافعاً عن متهم أوبرئ ثم تنعقد المحكمة وتحكم عادة بحكم الإعدام فتؤخذ الضحية إلي المقصلة التي بها سكين حاد ويتم جز عنق الضحية . . . . يا لها من وحشية رهيبة . . . . .

يقول عبد الرحمن الكواكبي في كتابه«طبائع الاستبداد» أن الاستبداد أحيا سنه أكل البشر فجعل الأقوام طعمة للظالمين المستبدين المستعمرين وتمتع رجال السياسة والأديان بنصف ما يكسب البشر ينفقونه في الإسراف والرفاهية فيزينون الدنيا بملايين المصابيح لمرورهم مثلاً ولا يفكرون بالفقراء الذين يبيتون في الظلام . . . . ويعيش التجار الشرهون

المحتكرون في إسراف مما يعيش به سائر الشعب والبرية فتتفاوت الأقوات بسبب الاستبداد السياسي ويعيد الإنسان المال والجمال فيجنح إلي الإدخار ويطبع علي التمول ويحرم الآخرين الرزق ولهذا قامت جمعيات تسعي للتساوي والتقارب بين أفراد البشر لتمحوا عار الاستبداد المالي وتقضي علي الاحتكار ومزاحمة الضعفاء وقام لها المستبدون الظالمون فسنوا القوانين لحماية احتقارهم وكان من ذلك إحتقارهم في الملكية فأصبح أناس يملكون الأراضي وعاشت طبقة لا تجد أرضاً تنام عليها. . . . عندئذ لابد من صدور قوانين تعالج هذه الأوضاع السيئة وإلا زاد الفقر وطغي المحتكرون وفسدت الأخلاق وعم الاستعمار وبغي الغني علي الفقير واشتري ضميره وسخره لآمره وجعله مستعبداً له وسلبه ما لديه وهذا الاستبداد مجلبة للبلاء يخيف الفقراء كما يخاف ؟ من العقاب فلا يفكرون ولا يجرءون علي طلب الحرية

إن هذا ما فعله روبسبير فلقد خدع الشعب وأشعل له المصابيح. . . . . مصابيح الحرية حتى أن العبارة الشهيرة التي ذكرت «كم من الجرائم ترتكب باسم الحرية» قد قيلت في روبسبير أصغر طاغية في العالم حيث كان سنة٣٦ سنة وحكم لمدة عام واحد كان بمثابة ألاف السنين علي الفرنسيين حيث فعل فيه من قتل وحبس وتعذيب لمعارضيه ما لم يفعله فيه طاغية في التاريخ. . . . كان يضع ضحاياه في قبر وهم أحياء ثم يأتي في كل صباح أحد جلاديه ينادي قائمة سوداء لمجموعة من الأسماء ليخرجوا من القبر وتعتريهم الفرحة لخروجهم من القبر وهم أحياء وما أن يصعدوا من هذا القبر حتى يقتادهم الجلاد إلي(الجيلوتين) أي المقصلة التي بها سكين حاد فيجز أعناقه جزاً. . . . .يا للرعب الذي كان يفعله

روبسبير طاغية فرنسا.....إنه ليس عنده أي وزاع من الضمير إن قلبه قاسي كالحجر الصلد.... ليس عنده رأفة أورحمة بضحاياه...... يا الهي ما هذه القسوة التي أودعتها في جوف هذا الطاغية«روبسبير» لكن الله عز وجل يمهل ولا يهمل لقد شرب من نفس الكأس..... أعدم بنفس المقصلة التي أعدم بها معارضيه....

دار البلدية بالعاصمة الفرنسية

يبدأ المشهد الأخير في حياة الطاغية روبسبير ذلك الشاب الذي في ريعان شباب أمام دار البلدية بالعاصمة الفرنسية باريس حيث كان يجلس الطاغية علي كرسي العرش. . . . . وفي بهوالقصر يأتيه السكرتير الخاص له

السكرتير: صباح الخير سيدي

روبسبير: ماذا وراءك من أخبار؟

السكرتير: إن باراس، وتاليان يريدان مقابلة سيدي

روبسبير: باراس، وتاليان. . . . إنهما من رجال الثورة الفرنسية لكنهما دائماً يعارضنني ويهاجمونني

السكرتير: لماذا لم تقدمهما للمحكمة الثورية سيدي

روبسبير: سأفعل. . . . حالاً. . . .

أرسل إلي رئيس المحكمة الثورية يحضر فوراً

ما أن ينتهي روبسبير بهذه الكلمات حتى يدخلا باراس وتاليان. . . . . . مدججين بالسلاح وشاهرين المسدسات في وجه روبسبير. . . . وصوبا المسدس علي رأسه

تاليان: لن يحضر إليك رئيس المحكمة يا روبسبير

روبسبير: من تاليان

تاليان: أجل تاليان ؟القديم. . . وصديقك في جمعية السيعاقية. . . . . أنسيت أم أن طغيانك جعلك تنسي كل شئ وتتخلص من كل أصدقائك القدامى

روبسبير: كيف تتحدث معي بهذه الطريقة السخيفة يا تاليان فأنا

رئيس فرنسا وحاكمها الأوحد

باراس: أكفرت بالآلهة ونصبت نفسك إلهاً علي فرنسا ألم يكفيك بأنك ألغيت الديانة الكاثوليكية من فرنسا كلها. . . . . . . ألم يكفيك ما فعلته لكنيسة روتردام.

روبسبير: لقد طهرت الكنيسة من الدنس الذي كان يعيد بها ووضعت تمثالاً للحرية وسط قدس الأقداس.

باراس: تمثالاً لممثلة عارية هذا هورمز الحرية عندك يا روبسبير. . . . أتحول قدس الأقداس إلي معبد العقل بهذا التمثال العاري

روبسبير: أجل. . . فالحرية تعني أن الناس أحرار بالطبيعة وأن الإنسان يولد حراً لكنا نراه مكبلاً بالأغلال في كل مكان

تاليان: هذا كلام معلمنا جميعاً. . . . . والفليسوف الأكبر روسوولكنك لم تفعل أي شئ منه. . . . لقد خدعتنا جميعاً وخدعت شعب فرنسا كله حتى وصلت إلي الحكم.

روبسبير: أنا وصلت إلي الحكم بمجهودي وعبقريتي السياسية.

باراس: بل وصلت بالتجسس علي الشعب أولاً. . . . . أنسيت الدور الذي لعبته في لجنة الآمن العام لقد سيطرت عليها من جديد وأثرت قلوب العامة بكلمات نارية وشعارات سياسية جوفاء وأخذت تلعن الطغاة في كل مكان ونسيت أنك أسوأ طاغية في العالم. . . فقتلت رفقائنا (هيبر وشومت).

روبسبير: لقد كانوا من الملحدين والآباحين. . . . وكانوا يمثلان خطراً علي الثورة.

تاليان: لقد وضعت رقبتها تحت المقصلة بدون ذنب ولفقت لهما

بهمتي الإلحاد والآباحية ليخلوا أمامك الطريق إلي كرسي العرش مثلما فعلت مع الرفقاء دانتون، وديمولان

روبسبير: أيضاً كان هؤلاء من الزنادقة والملحدين

باراس: من الملحد يا روبسبير.... أنت أم هم من الذي ألغي الدين من فرنسا.

من الذي ألغي التقويم الميلادي للسيد المسيح

من الذي أقام تمثالاً لمثلة عارية وسط قدس الأقداس لكنيسة نوتردام ومن الذي أغلق كل الكنائس في فرنسا...... وألغي الدين المسيحي.... من الزنديق ومن الملحد؟

روبسبير: وماذا تريد مني الآن؟

باراس: أن ببرك كرسي عرش فرنسا

روبسبير: كيف أتركه وأنا لم أقضي فيه إلا عام واحد

تاليان: لقد كان بألف عام علي فرنسا.....

روبسبير: حكمي كان بألف عام.... كيف يا تاليان؟

تاليان: لقد أصبح منظر الدماء عادياً في شوارع فرنسا كان جلاديك يجرون الضحية كالكلب الأجرب ويهتفون حوله ويصفقون ويسبونه ويذلونه.

روبسبير: لابد أنهم كانوا أعداء للثورة؟

باراس: بل أنت العدوالأكبر لمبادئ ثورة فرنسا....

أنت وسان جوست، وجون بارير.

روبسبير: إنهم رفقاؤنا في الثورة يا باراس.

باراس: بل أعدائنا... سان جوست كان العقل المدبر لكل أعمال

القتل والطغيان حتي وصل عدد من حكمتم ضدهم بالآعدام نحو١٧ ألف مواطن و٤٠ ألف سقطوا في غياهب السجون وتوفوا قبل الحكم عليهم بالآعدام.

روبسبير: قلت لك لقد كانوا أعداء للثورة؟

تاليان: لا يا روبسبير.... أنت كنت لا تتأكد من أي شئ من هوالعدوومن هوالصديق للثورة.... حتى أن عدد المواطنين الذين أخذتهم بالشبهات وصل إلي ٣٠٠ ألف مواطن

روبسبير: ومن أفشي لك بهذا السر الخطير؟ فلا يعرفه أحد سواي وسان جوست

باراس: لا تنس يا روبسبير أن دماء الشهداء وجثث القتلى الذين قتلتهم خلال عام واحد سوف تشكل لك حبل المشنقة التي سوف تشنق به(وهومرتعد وخائف)

روبسبير: لا..... لا..... أنا أشنق...... أنا توضع رقبتي تحت المقصلة.

تاليان: وسوف تكون مقصلة نقالي..... أي أنها نفس المقصلة التي شنقت بها ضحاياك

روبسبير: منادياً: يا سان جوست، أقبضوا علي تاليان وباراس وضعوهما في قبر تحت الأرض.

باراس(يضحك) لن يأتي سان جوست ولن يأتي جون بارير....

روبسبير: كيف لن يأتي إلي..... فأنهم يأتمرون بأمري.

تاليان: إنهم في قبضتنا.... إنهم خارج القصر خارج الدار... مقبوضاً عليهم والدبابات أمام الدار وفرنسا كلها تنتظر نهايتك أيها الطاغية.

روبسبير: لا . . . . . لا . . . . . . أنتم أوغاد.

تنطلق رصاصة تصيب كتف روبسبير وتسيل الدماء منه يقع علي الأرض لكن تاليان وباراس يأمران الثوار بالقبض عليه ويأخذونه والدماء تسيل إلي المقصلة النقالي التي نصبت أمام دار البلدية في فرنسا وخرجت جموع الجماهير لتري المشهد الأخير لطاغية الثورة الفرنسية فلقد وجهت إليه تهمة الخيانة العظمي لفرنسا حيث قتل من أنحاء فرنسا ٣٠ ألف قتيل ومن باريس العاصمة ٢٦٠ ألف قتيل وأخذ الطاغية يجر قدمه قدما حتى صعدوا إلي المقصلة التي طالما شنق أعدائه فيها وضعت رأسه داخل الحبل وهوفي حالة هستيرية يصرخ ويقول عبارات غير مفهومة من الهلع والخوف وتشد أطراف الحبل فتزهق روحه الشريرة التي طالما قتلت وعذبت الآلاف بل الملايين من الفرنسيين وبذلك أسدل الستار علي ماكلميان روبسبير طاغية فرنسا الذي ولد في سنة ١٧٥٨ والذي كان مريضاً بحب السلطة وسفك الدماء في أن واحد.

لقد ولد في(أراس) في فرنسا وأمتهن المحاماة بعد أن درس القانون وقد أنتخب في الجمعية الوطنية سنة ١٧٨٩ وأصبح عضواً مؤسساً لنادي اليعاقية ووصل إلي الحكم ١٧٩٣ وشنق هووأخوه في يوم ٢٧ يوليوسنة ١٧٩٤ في ذلك المشهد الرهيب الذي تحدثنا عنه وخرجت فرنسا عن بكرة أبيها لتري سفاح فرنسا وهويعدم هووأعوانه سان جوست وكرنون وبارير فهؤلاء كانوا أعداء للعدل أنصار للجور والظلم.

ففي تلك الفترة كانت الجماهير الفرنسية تعيش تحت وطأة القهر والظلم والعدوان والتعصب الدموي كان يسود فرنسا وكان هناك مشهداً يتكرر كل صباح وهوأن تجد مواطنين فرنسيين يصل عددهم بالآلاف

أن يساقوا كالقطيع إلي المقصلة حتى أبدي روبسبير نفسه قلقه من زيادة أعداء الثورة لكن سان جوست العقل الشيطاني المدبر له كل الحيل الماكرة اقتراح عليه أن يقوم بمصادرة أملاك كل من تثبت عليه شبهة العداء للثورة أما بارير ذلك الشخص المدبر لكل المصائب والكورات الدموية كان يقترح عليه القتل والسفك والإعدام قائلاً له عباراته الشهيرة

«لن تبلغ السفينة المرفأ إلا فوق بحر كان لحجه الدماء ثم يؤكد قوله سان جوست».

«لا يصلح حال أمة إلا علي تلال الجثث»

لقد قال الجنرال «جوفيون دي سان سير» في مذاكرته عن المحكمة الثورية التي شكلها الطاغية روبسبير لقتل ضحاياه:

«كانت هذه المحكمة لا يقبل أمامها محامون وشخصية المبلغ لا تظهر أمامها ولا يجئ ذكر اسمه ولا يواجه بمن أبلغ عنهم لأوراق لهم ولا سجلات وحتى الحكم لا يكتب ولا الاستجواب أنما كان الآمر يجري شفاهة فيقبض علي المتهم الساعة الثامنة ويحاكم في التاسعة ويعدم رمياً بالرصاص في العاشرة وكانت ترصد مكافأة مالية للمبلغ دون أن يظهر اسمه بأي حال».. ويواصل الجنرال «جوفون دي سان سير» وبهذه الوسيلة الدنيئة أمكن الحصول علي بعض الضحايا الذين كانوا يطفئون أكلة لحوم البشر من أمثال روبَسبير وسان جوست.

لم أجد أي رسالة أرسلها إلي الطاغية شارون الذي أمتد المشهد الأخير في حياته أكثر من ٣ سنوات وحتى طباعة هذا الكتاب مملوء بالعذابات الرهيبة... . حيث أنه ما زال قابعاً في المستشفي يعاني ويلات المرض وتجاهل الجميع له حتى أقرب الناس إليه ولديه أصبحوا لم يسألوا عنه وتركوه للممرضات ترعاه مثل الكلب الأجرب أومثل ثعبان نائم بين الحفر يريد كل من يعرف أنه في الحجر أن يقتله أويتخلص منه... إنه جلاء وسفاح لم يأتي التاريخ بمثله... هذه الرسالة من قصيدة للشاعر الكبير فاروق جويدة:

قبيح وجهك المرسوم من إشلاء قتلانا
جبان سيفك المسموم في أحشاء موتانا
وضيع صوتك المرصود في أنات أسرانا
قبيح أنت يا ملعون عند الله في الآديان إنجيلاً وقرأناً
قبيح أنت يا خنزير كيف غدوت إنسان
قبيح وجهك الملعون

حقاً إن وجهك الملعون قبيح وسيئ أيها الطاغية شارون وجه ملطخ بدماء الآطفال الآبرياء والشهداء الأوفياء لم يتساوى دماء الشهداء بعطر الغواني وكلامات المنافقين يا شارون... . فلماذا لا تذهب إلي الجحيم.

أيها الخنزير... ... ذق ويلات أعمالك. . اشرب من كأس المذلة والهوان فلقد أشربت الكبير من الأبرياء من هذا الكأس فكم من نساء لطمت الخدود وشقت الصدور وفرقت ؟ لأنك اغتالت البسمة البرئية من حياتهم بأيدي الغدر والخيانة... . يالك من ملعون في كل الأديان حتى ديانة اليهود.

المؤلف في سطور

- خريج كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم الصحافة والنشر عام ١٩٨٥
- عضو بالمنظمة العالمية لكتاب أفريقيا وأسيا.
- عضو اتحاد كتاب مصر
- كبير المخرجين بالقناة الثالثة حيث قام بإعداد وإخراج كثير من البرامج الجماهيرية والثقافية منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن.
- سينارست وعضوبنقابة المهن السينمائية (شعبة سيناريو) حيث قام بكتابة القصة والسيناريووالحوار للعديد من المسلسلات الدرامية (مدينة العباقرة - رحلة وضحكة ومعلومة - ريشوملك الغابة - مغامرات فرفوش أفندي - المأذون اسمه سعاد - مغامرات إليكترونية - القائد هوالمطلوب، عاشق لكتابه دراما السير الذاتية.
- نائب اتحاد المبدعين العرب والجمعية المصرية للثقافة والإبداع.
- كاتب عمود (كلمات حرة) (وقراءة في وجه مسئول) بجريدة الخيمس.
- صدر له كتاب هوجوشافينز صداع في رأس أمريكا.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الطاغية... سلسلة عالم المعرفة تأليف أ.د إمام عبد الفتاح إمام يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت.
٣- جذور الاستبداد.. سلسلة عالم المعرفة تأليف أ.د عبد الغفار مكاوي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويتي.
٤- الأخلاق.. لأسرطو طاليس سلسلة الذخائر ترجمة إصحاق بن حنين وحققه وشرحه الدكتور عبد الرحمن بدوي.
٥- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء... مكتبة الأسرة عام ١٩٩٨.
٦- الدكتاتور... مسرحيته من سلسلة المسرح العالمي تأليف جول رومان وترجمة وتقديم عبد المسيح سيتي مراجعة د/ علي درويش.
٧- السياسية لأرسطو طاليس.
٨- قصص من رانتي ترجمة أمين حسان كامل مكتبة الأسرة.
٩- ستالين بقلم فرج جبران.
١٠- طغاة التاريخ دار المعارف سلسلة اقرأ د/ محمود متولي.
١١- الفردوس المفقود جون ملتون
ترجمة وتقديم د/ محمد عناني مكتبة الأسرة
١٢- ٦٣ قصة من نهاية الظالمين دار الفجر خلف الجامع الأزهر تأليف سعد يوسف أبو غرير.
١٣- الحجاج بن يوسف الثقفي - بن جلا سلسلة الطغاة والجبابرة للشباب والناشئين تأليف جمال بدران مكتبة الدار العربية للكتاب.
١٤- غرام العظماء... دار الحسام للطباعة والنشر إعداد أيرفنج وآمي والسن - لبنان.